

في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ

للإمام القاضي الفقيه

أبي بكر بن محمد بن العربي المالكي

(٤٦٨-٥٤٣هـ)

تحقيق

مصطفى أبو المعاطي

دار الغد الجديد



في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي

للإمام القاضي الفقيه

أبي بكر بن محمد بن العربي المالكي

(٤٦٨-٥٤٣هـ)

تحقيق

مصطفى أبو المعاطي

دار الغد الجديد

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فبين يديك أخا الإسلام كتاب من أنفس كتب التراث لإمام من كبار أئمة المسلمين فى مسألة من مسائل الدين العظمى .

إنه كتاب (العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبىﷺ) . للإمام القاضى أبى بكر بن العربى .

وهذه المسألة العظيمة التى بحثها المؤلف فى هذا الكتاب من أمهات المسائل التى ضل بسبب الجهل بها خلق كثيرون . وثبت الله أهل الحق بما هداهم إلى معرفته من كتاب ربهم وسنة نبيهمﷺ ومعرفتهم لقدر سلفهم الصالح رضى الله عنهم أجمعين .

وقد طبع هذا الكتاب المبارك عدة طبعات أشهرها وأفضلها الطبعة التى علق عليها الشيخ العلامة محب الدين الخطيب رحمه الله . وخرج أحاديثها وعلق عليها الشيخ الفاضل / محمود مهدى الاستانبولى .

وقد عُهد إليَّ بالاعتناء بالكتاب . ومراجعته وتحقيق أحاديثه .

فقمت بذلك حسب الأنشطة الآتية :

١ ـ مراجعة الكتاب على عدة نسخ مطبوعة حتى يتسنى لنا ضبط المتن .

٢ ـ الإبقاء على الحواشى التى وضعها الشيخ محب الدين الخطيب . وبعض حواشى الشيخ الاستانبولى .

٣ ـ تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها من كتب السنة وذكر درجتها من الصحة.

٤ ـ الإبقاء على الملاحق التى وضعها الشيخ الاستانبولى مع الإضافة إليها .

خير هذه الأمة بعد نبيها : أبو بكر ثم عمر .

ويثلثون بعثمان ويربعون بعلى ﷺ كما دلت عليه الآثار وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان فى البيعة .

مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا فى عثمان وعلى ﷺ بعد اتفاقهما على تقديم أبى بكر وعمر أيهما أفضل ؟ فقدَّم قوم عثمان وسكتوا أو ربعوا بعلى .

وقدم قوم عليا . وقوم توقفوا .

لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم على .

ـ وإن كانت هذه المسألة ـ مسألة عثمان وعلى ـ ليست من الأصول التى يُضَلَّل فيها المخالف عند جمهور أهل السنة .

لكن التى يُضَلَّل فيها مسألة الخلافة .

وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على(١) .

ومن طعن فى خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله .

ـ ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم .

ويحفظون فيهم وحدة رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خم : « **أذكركم الله فى أهل بيتى**» (٢) .

وقال أيضا للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بنى هاشم فقال ﷺ : « **والذى نفسى بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتى** » (٣) . وقال : « **إن الله اصطفى بنى إسماعيل واصطفى من بنى إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشًا . واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم** » (٤) .

---

(١) قال شيخنا ابن عثيمين فى شرح الواسطية (٢/ ٢٧٢) :(وهذا ما أجمع عليه أهل السنة فى مسألة الخلافة).

(٢) رواه مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم .

(٣) إسناده ضعيف : رواه أحمد فى (المسند) (١/ ٢٠٧) وفى فضائل الصحابة (١٧٥٧) بنحوه من طريق يزيد ابن أبى زياد وهو ضعيف .

(٤) رواه مسلم (٢٢٧٦)، والترمذى (٣٦٠٩ ، ٣٦١٢) من حديث واثلة بن الأسقع .

- ويقولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين .

ويؤمنون بأنهن أزواجه فى الآخرة خصوصا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده . وأول من آمن به وعاضده على أمره وكان لها منه المنزلة العالية . والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها .

والتى قال فيها النبى ﷺ : « **فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام** » (١) .

- ويتبرؤن من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل .

- ويمسكون عما شجر بين الصحابة . ويقولون : إن هذه الآثار المروية فى مساويهم منها ما هو كذب . ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه الصريح والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره . بل يجوز عليهم الذنوب فى الجملة .

ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التى تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون وأن المُدَّ من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم .

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه . أو أتى بحسنات تمحوه . أو غفر له بفضل سابقة . أو بشفاعة محمد ﷺ الذين هم أحق الناس بشفاعته .

أو ابتلى ببلاء فى الدنيا كفر به عنه .

فإذا كان هذا فى الذنوب المحققة فكيف الأمور التى كانوا فيها مجتهدين : إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطؤوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور .

ثم إن القدر الذى يُنكر من فعل بعضهم قليل نذر مغمور فى جنب فضائل القوم ومحاسنهم :

---

(١) رواه البخارى (٣٧٦٩) ومسلم (٢٤٣١) عن أبى موسى الأشعرى .

فضيلة الصحابة رضي الله عنهم (*)

فى هذا الزمان الذى غابت فيه القدوة الصالحة . وتنكب الناس طرق الهدى وتنكر كثير منهم لأهل الفضل يحسن بنا أن نتوقف قليلاً مع خير جيل شهدته الدنيا ـ بعد الأنبياء ـ إنه جيل الإيمان والتوحيد ـ إنه جيل العبادة والإخلاص ـ إنه جيل العدل والوفاء ـ إنه جيل الصبر والصمود . إنه جيل الجهاد والجلاد ـ إنه . . . إنه جيل الصحابة الكرام .

ذلكم الجيل الفريد الذى عاش الإسلام . نعم عاش الإسلام بكماله وشموله . علم فاستقام له العلم . وفهم فحسن منه الفهم .

(إنه الجيل الذى تم فيه اللقاء بين المثال والواقع فترجم مثاليات الإسلام إلى واقع وارتفع بالواقع البشرى إلي درجة المثال . . ونحن فى حاجة ملحة لأن نتعرف علي هذا الجيل لنعرف مكان الأسوة لنا فيه فى واقعنا المعاصر ولنقيس على ضوئه مدى قربنا وبعدنا عن حقيقة الإسلام ؟) (١) .

ـ لقد طلب الله سبحانه من المسلمين أن يتأسوا برسول الله ﷺ وأن يقتفوا أثر ذلك الجيل الفريد ويصلوا أنفسهم به .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (٢١) ﴾ [الأحزاب] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠) ﴾ [الحشر] .

ـ إن هذا الجيل الفريد الذى صنع الله به للإسلام مجدًا وعزًا من الممكن أن يتكرر فى واقع الحياة إذا سار اللاحق على هذا الدرب مع أن فضل الصحبة لا يدرك .

(*) عن كتابي (العشرة المبشرون بالجنة) ص٤ ـ ١١ .

(١) واقعنا المعاصر للأستاذ محمد قطب ص ١٥ .

- وإن من حق هذا الجيل (جيل الصحابة) علينا أن نحبه ونواليه ونعرف له فضله وهذا من صلب عقيدة المسلمين التى يتميز بها أهل السنة من أهل البدعة . فحب الصحابة دين وإيمان وسب الصحابة وبغضهم ضلال وهوان .

ومن هو الصحابى :

الصحابى : هو من لقى النبى ﷺ فيدخل فى ذلك كل من لقى النبى ﷺ وطالت مجالسته من روى عن النبى ﷺ ومن لم يرو . ومن غزا معه أو من لم يغز ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه . ومن لم يره لعارض كالعمى ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافرًا ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى (١) .

عدد الصحابة :

لقد صحب النبى ﷺ عدد كبير جدًا من الصحابة رضي الله عنهم .

يقول أبو زرعة الرازى : (توفى النبى ﷺ . ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة كلهم قد روى عنه سماعًا أو رؤية) (٢) .

عدالة الصحابة :

الصحابة كلهم عدول ثقات أثبات فالله سبحانه هو الذى عَدَّلهم وأخبر عن طهارتهم وزكاهم نبيه ﷺ وبين فضلهم .

وكيف لا يكونون بتلك المكانة وهم صفوة الله من خلقه الذين اصطفاهم لصحبة نبيه ﷺ .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : (إن الله نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته . ثم نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن . وما رأوه سيئًا فهو عند الله سيئ) (٣) .

---

(١) الإصابة لابن حجر (١/ ١٠) .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٣٠٩) .

(٣) حسن : رواه الإمام أحمد فى مسنده (٣٦٠٠) موقوفًا .

وجل : ﴿وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ (١) ونحوه قال ابن الجوزي فى تفسير آية الفتح (محمد رسول الله) . قال : هذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور ـ زاد المسير ٨ / ٤٤٩) .

٦ـ وقال تعالى : ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧)﴾ [التوبة].

وقد حضر غزوة تبوك جميع من كان موجودًا من الصحابة إلا من عذر الله من النساء والعجزة . أما الثلاثة الذين خُلِّفوا فقد نزلت توبتهم بعد ذلك (٢) .

ـ وهناك آيات آخر فى تزكية الصحابة منها : قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤)﴾ [الأنفال] .

وقوله تعالى : ﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩)﴾ [التوبة ٨٨، ٨٩] (٣) .

(١) الفصل ٤/١٤٨ ، ١٤٩ .
(٢) إعتقاد أهل السنة في الصحابة للشيخ محمد بن عبد الله الوهيبى ص ١٩ .
(٣) وانظر أيضًا سورة الفتح آية (٢٦) وسورة الحجرات (٧) .

الأحاديث فى فضل الصحابة وعدالتهم

١ ـ عن أبى سعيد قال . كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شىء فسبه خالد . فقال رسول الله ﷺ : « **لا تسبوا أحدًا من أصحابي . فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه** » (١) .

والنصيف : هو النصف .

قال ابن تيمية : « وكذلك قال الإمام أحمد وغيره : كل من صحب النبى ﷺ سنة أو شهرًا أو يومًا أو رآه مؤمنًا به فهو من أصحابه له من الصحبة بقدر ذلك .

ـ فإن قيل : فلم نهى خالدًا عن أن يسب أصحابه إذ كان من أصحابه أيضًا ؟ وقال : « **لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه** » ؟

قلنا : لأن عبد الرحمن بن عوف ونظراءه من السابقين الأولين الذين صحبوه فى وقت كان خالد وأمثاله يعادونه فيه وأنفقوا أموالهم قبل الفتح وقاتلوا وهم أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى فقد انفردوا من الصحبة بما لم يشركهم فيه خالد ونظراؤه ممن أسلم بعد الفتح الذى هو صلح الحديبية وقاتل . فنهى أن يسب أولئك الذين صحبوه قبله ومن لم يصحبه قط نسبته إلى من صحبه كنسبة خالد إلى السابقين وأبعد (٢) .

٢ـ وقال ﷺ لعمر : « **وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** » (٣) .

قيل : المعنى أن أعمالهم السيئة تقع مغفورة فكأنها لم تقع (٤) .

وقال النووى : قال العلماء : معناه الغفران لهم فى الآخرة وإلا فإن توجب على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه فى الدنيا . ونقل القاضى عياض الإجماع على إقامة الحد

---

(١) رواه البخارى فى كتاب فضائل أصحاب النبى برقم (٣٦٧٣)، ومسلم فى الفضائل (٢٥٤١) واللفظ له .

(٢) الصارم المسلول ص ٥٧٦ .

(٣) رواه البخارى (٣٩٨٣) ، ومسلم (٢٤٩٤) .

(٤) معرفة الخصال المكفرة لابن حجر ص ٣١ .

ترجمة المؤلف
القاضي أبي بكر بن العربي

اسمه ونسبه ومولده :

هو الإمام القاضي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافرى الإشبيلي المعروف بابن العربي المالكي . يكنى أبا بكر .

ولد : ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة ٢٢ شعبان سنة ٤٦٨ هـ (٣١مارس ١٠٧٦م) .

وكان مولده بمدينة إشبيلية فى أحضان أسرة كانت لها حظوة لدى المعتمد بن عباد فى عصر دول الطوائف .

وقد كان أبوه من فقهاء بلدة إشبيلية ورؤسائها سمع فى بلده من أبى عبد الله بن منظور وأبى محمد بن خزرج .

وبقرطبة من أبى عبد الله محمد بن عتاب . وأبى مروان بن سراج .

وحصلت له عند أصحاب إشبيلية رياسة ومكانة .

فلما انقضت دولتهم خرج إلى الحج مع ابنه القاضى أبى بكر يوم الأحد مستهل شهر ربيع الأول سنة خمسٍ وثمانين وأربعمائة وسِنُّ القاضى أبى بكر إذ ذاك نحو سبعة عشر عامًا .

رحلته العلمية :

* وقد كان القاضى أبو بكر قد تأدب ببلده وقرأ القراءات فلقى بمصر أبا الحسن الخلعي . وأبا الحسن بن مشرف . ومهديا الوراق ، وأبا الحسن بن داود الفارسي.

ولقى بالشام : أبا نصر المقدسي ، وأبا سعيد الزنجاني ، وأبا حامد الغزالي ، وأبا سعيد الرهاوي ، وأبا القاسم بن أبى الحسن المقدسى ، والإمام أبا بكر الطرطوشى ، وتَفقَّه عنده ، وأبا محمد هبة الله بن أحمد الأكفانى وأبا الفضل بن الفرات الدمشقى .

ودخل بغداد وسمع بها من أبى الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفى المعروف بابن

الطيوري . ومن أبي الحسن على بن أيوب البزار ومن أبي بكر بن طرخان، ومن النقيب الشريف أبي الفوارس طراد بن محمد الزينى، وجعفر بن أحمد السراج . وأبى الحسن بن عبد القادر وأبي زكريا التبريزى . وأبى المعالى ثابت بن بندار الحمامى .

ـ وحج فى موسم سنة تسع وثمانين . وسمع بمكة من أبى على الحسين بن على الطبرى وغيرهم من العلماء والأدباء . فدرس عندهم الفقه والأصول . وقيَّد الحديث . واتسع فى الرواية وأتقن مسائل الخلاف والأصول والأحكام على أئمة هذا الشأن من هؤلاء وغيرهم .

ـ ثم صدر عن بغداد إلى الأندلس . فأقام بالإسكندرية عند أبى بكر الطرطوشى. فمات أبوه بها أول سنة ثلاث وتسعين .

ثم انصرف هو إلى الأندلس سنة خمس وتسعين (وقيل: سنة ثلاث وتسعين) .

ـ وقدم بلده إشبيلية بعلم كثير لم يأت به أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق . وقد ذكر فى بعض كتبه بعض ما أفاد من هذه الرحلة .

ـ وكان رحمه الله من أهل التفنن فى العلوم والاستبحار فيها والجمع لها متقدما فى المعارف كلها متكلما فى أنواعها نافذًا فى أحكامها وحريصا على آدائها ونشرها . ثاقب الذهن فى تمييز الصواب منها .

ـ وكان يجمع إلى ذلك كله : آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة ولين الجانب وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود .

وسكن بلده . وشوور فيه وسُمع . ودرس الفقه والأصول وجلس للوعظ والتفسير ورُحل إليه للسماع .

توليته القضاء :

تولى الإمام أبو بكر القضاء ببلده فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه وكانت له فى الظالمين صولة مرهوبة وتؤثر عنه فى قضائه أحكام تدل على عقله الراجح واطلاعه الواسع وإيمانه الراسخ .

ـ ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم ببثه فى الناس وتدريسه لمن يطلبه .

٢ ـ وقال رحمه الله : كنت بمكة مقيـما فى سنة ٤٨٩ هـ وكنت أشرب من ماء زمزم كثيرًا وكلمـا شربته نويت العلم والإيمان ففتح الله لى ببركـته فى المقدار الذى يسره لى من العلم ونسيت أن أشربه للعمل (١) . ويااليتنى شربته لهما حتى يفتح الله لى فيهما ولم يقدر فكان صفوى للعلم أكثر منه للعمل وأسأل الله الحفظ والتوفيق برحمته .

٣ ـ ومنها قـوله : حكاية عن الجوهرى أنه كان يقـول : (إذا أمسكت عُلاَّقـة الميزان بالإبهام والسبابة وارتفعت سائر الأصابع كان شكلها مقروءًا بقولك : (الله) فكأنها إشارة منه سبحانه لتيسير الوزن إلى أن الله سبحانه مطلع عليك فاعدل فى وزنك) ا.هـ.

(١) هذا من تواضعه رحمه الله .

مؤلفاته

وقد ترك الإمام القاضى أبو بكر بن العربى عدة كتب ومؤلفات وتصانيف نافعة تدل على تضلعه فى العلم من أهمها :

١ـ أحكام القرآن .

٢ـ كتاب المسالك فى شرح موطأ مالك

٣ـ القبس على موطأ مالك بن أنس .

٤ـ عارضة الأحوذى على كتاب الترمذى .

٥ ـ العواصم من القواصم.

٦ـ المحصول ـ فى أصول الفقه .

٧ـ سراج المريدين فى سبيل المهتدين .

٨ـ كتاب المتوسط .

٩ـ كتاب المشكلين .

١٠ ـ تأليف فى حديث أم زرع .

١١ ـ الناسخ والمنسوخ .

١٢ـ تخليص التخليص .

١٣ـ القانون فى تفسير القرآن.

١٤ـ أنوار الفجر فى تفسير القرآن .

١٥ ـ ملجئة المتفقهين إلى معرفة غوامض النحويين واللغويين.

١٦ـ قانون التأويل .

١٧ـ المقتبس فى القراءات .

١٨ ـ كتاب النيرين فى الصحيحين .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم للشيخ محمود مهدى الاستانبولى حفظه الله

إن المسلمين ـ بل الإنسانيـة كلها ـ أشد ما كانوا اليـوم حاجة إلى معرفـة فضائل أصحاب رسـول الله ﷺ ، وكرم معدنهم ، وأثر تربيـته فيهم ، وما كـانوا عليه من علو المنزلة التى صاروا فيها « الجيل المثالى » الفذ فى تاريخ البشر .

وشباب الإسلام معذورون إذ لم يحسنوا التأسى بالجيل المثالى فى الإسلام ؛ لأن أخبـار أولئك الأخيار قد طـرأ عليها من التحـريف والأغراض والبتـر والزيادة وسوء التأويل فى قلوب شـحنت بالغل على المؤمنين الأولين ، فأنـكرت عليهم حتى نعـمة الإيمان !!

وقد أصبح من الفرض الدينى والقـومى والوطنى على كل من يستطيع « تصحيح تاريخ صدر الإسلام » أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات ، وأن يبادر له ، ويجتهد فيه ما اسـتطاع إلى أن يكون أمام شبـاب المسلمين مثـال صالح من سلفهم يقـتدون به ، ويجددون عهده ، ويصلحون سيرتهم بصلاح سيرته (١) .

وهذا التوجيـه يذكرنا بأثر ورد عن الصحابي الجليل « جـابر بن عبد الله » « إذا لعن آخر هذه الأمـة أولها ، فـمن كان عنده علم فليظهره ، فـإن كاتم العلم يومـئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد ﷺ !» .

وقد كـان أول من سارع إلى القيـام بهذا الواجب العلامـة القاضى « أبو بكر بن العربى» رحـمه الله فى كـتابه العظيم : « العواصم من الـقواصم فى تحقـيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى ، وتبرئتهم مما نسبه إليهم الملاحدة والمفسدون والمضللون ».

وقد كشف فى هذا الكتاب عن نور الحق ، وخذل الباطل ، فإذا هو زاهق وأضاء

(١) (١٢٦) من مقال « الجيل المثالى » للأستاذ محب الدين الخطيب .

بأعينهم عدل عمر ، وزهده فى متع الدنيا ، وإنصافه لجميع الناس ، لم يستطع أن يمنع الحقد الذى فى فؤاده على الإسلام من أن يدفعه إلى طعنه بالسكين دون أن يسىء إليه . وفى قوم طاعن [1] عمر بالسكين من يؤلفون المؤلفات إلى يومنا هذا فى تشويه حسنات هذا المثل الأعلى للعدل والإنسانية والخير وفى عصر عثمان (*) من ضاقت صدورهم بطيبة ذلك الخليفة الذى خلق قلبه من رحمة الله ، فاخترعوا له ذنوبًا ، ومازالوا يكررونها على قلوبهم حتى صدقوها ، وتفننوا في إذاعتها ، ثم استحلوا سفك دمه الحرام ، فى الشهر الحرام ، بجوار قبر أبى زوجتيه محمد عليه الصلاة والسلام . وما برحت الإنسانية تشاهد المعجزات من رجالات الإسلام في نشره وإدخال الأمم فيه وتوسيع النطاق فى الآفاق لكلمة « الله أكبر . . حى على الفلاح » حتى نودى بها على جبال السند ، وفى ربوع الهند ، وعلى سواحل المحيط غربًا ، وفى أودية أوربا وجبالها ، بما لم يملك أن يصفه حتي أعداء الإسلام إلا بأنه معجزة . كل هذا فى زمن هذه الدولة الأموية التى لو صدر عن المجوس ، وعبدة الأوثان ، عشر ما صدر عنها من الخير ، وجزء من مائة جزء مما أُثر عن رجالها من إنصاف ومروءة وكرم وشجاعة وإيثار وفصاحة ونبل ، لرفعوا لأولئك المجوس والوثنيين ألوية الثناء والتقدير فى الخافقين . والتاريخ الصادق لا يريد من أحد أن يرفع لأحد لواء الثناء والتقدير ، لكنه يريد من كل من يتحدث عن رجاله أن يذكر لهم حسناتهم على قدرها ، وأن يتقى الله فى ذكر سيئاتهم فلا يبالغ فيها ولا ينخدع بما افتراه المغرضون من أكاذيبها .

نحن المسلمين لا نعتقد العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ ، وكل من ادعى العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ فهو كاذب ، فالإنسان إنسان ، يصدر عنه ما يصدر عن الإنسان، فيكون منه الحق والخير ، ويكون منه الباطل والشر ، وقد يكون الحق والخير فى إنسان بنطاق واسع فيعد من أهل الحق والخير ، ولا يمنع هذا من أن

---

(١) (١٢٧) يحتفل بعض الزنادقة من كل عام فى اليوم الذى استشهد فيه الخليفة عمر على يد المجوسى أبى لؤلؤة الذى يعطونه لقب « باب شجاع » !! فيا للخيانة الشنيعة والحقد الدفين !! (م) .

(*) ان عصر عثمان رضي الله عنه هو من اسعد واعظم العصور الإسلامية برخائه وفتوحاته العظيمة وقد حاول تشويهه أناس لا دين لهم وأوضحنا ذلك فى الصفحات المقبلة .

تكون له هفوات . وقد يكون الباطل والشر فى إنسان آخر بنطاق واسع ، فيعد من أهل الباطل والشر ،ولا يمنع هذا من أن تبدر منه بوادر صالحات فى بعض الأوقات .

يجب على من يتحدث عن أهل الحق والخير إذا علم لهم هفوات ، أن لا يسىء ما غلب عليهم من الحق والخير فلا يكفر ذلك كله من أجل تلك الهفوات . ويجب على من يتحدث عن أهل الباطل والشر إذا علم لهم بوادر صالحات ، أن لا يوهم الناس أنهم من الصالحات من أجل تلك الشوارد الشاذة من أعمالهم الصالحات .

إن أحداث المائة الأولى من عصور الإسلام كانت من معجزات التاريخ ، والعمل الذى عمله أهل المائة الأولى من ماضينا السعيد لم تعمل مثله أمة الرومان ، ولا أمة اليونان قبلها ، ولا أمة من أمم الأرض بعدها .

أما أبو بكر وعمر ، وسائر الخلفاء الأربعة الراشدين ، وإخوانهم من العشرة المبشرين بالجنة ، وطبقتهم من أصحاب رسول الله ﷺ ، خصوصًا الذين لازموه وراقبوه وتمتعوا بجميل صحبته ـ من أنفق منهم من قبل الفتح وقاتل ، والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ـ فإنهم جميعًا كانوا شموسًا طلعت فى سماء الإنسانية مرة ، ولا تطمع الإنسانية بأن يطلع فى سمائها شموس من طرازهم مرة أخرى، إلا إذا عزم المسلمون على أن يرجعوا إلى فطرة الإسلام ، ويتأدبوا بأدبه من جديد ، فيخلق الله منهم خلقًا آخر يعيش للحق والخير ، ويجاهد الباطل والشر ، حتى تعرف الإنسانية طريقها الحقيقى إلى السعادة . وهذه الشموس من أصحاب رسول الله ﷺ تتفاوت أقدارها ، وتتباين فى أنواع فضائلها ، إلا أنها كلها كانت من الفضائل من مرتقى درجاتها . وإذا بدأ المشتغلون بتاريخ الإسلام من أفاضل المسلمين فى تمييز الأصيل عن الدخيل من سيرة هؤلاء الأفاضل العظماء ، فإنهم ستأخذهم الدهشة لما اخترعه إخوان أبى لؤلؤة ، وتلاميذ عبد الله بن سبأ ، والمجوس الذين عجزوا عن مقاومة الإسلام وجهًا لوجه فى قتال شريف ، فادعوا الإسلام كذبا ، ودخلوا قلعته مع جنوده خلسة ، وقاتلوهم بسلاح (التقية) بعد أن حولوا مدلولها إلى النفاق ، فأدخلوا فى الإسلام ما ليس منه ، وألصقوا بسيرة رجاله ما لم يكن فيها ولا من

سجية أهلها . وبهذا تحولت أعظم رسالات الله وأكملها إلى طريقة من الخمول والعطالة والجمود كان من حقها أن تقتل الإسلام والمسلمين قتلا ، لولا قوة الحيوية الخارقة التي فى الإسلام ، وهى التى يرجى إذا رجعنا إليها ، وجردناها من الطوارئ عليها ، وخلصنا سيرة رجالها مما شيبت به ، وسرنا فى طريقهم مخلصين : أن نعود مسلمين من ذلك الطراز الأول كما كان في الواقع ، لا كما أراد مبغضو الصحابة والتابعين لهم بإحسان أن يعرضوه على الناس .

ونحن بتقديمنا هذه الحقائق من قلم الإمام ابن العربى ، أو من النصوص الأصيلة التي علقنا بها عليها ، إنما أردنا عكس ما يريد المتعرضون لهذه البحوث من ترديد خلافات عفى عليها الزمن . والصحابة كانوا أسمى أخلاقًا وأصدق إخلاصًا لله وترفعًا عن خسائس الدنيا من أن يختلفوا للدنيا ، لكن كان فى عصرهم من الأيدى الخبيثة التى عملت على إيجاد الخلاف وتوسيعه ، مثل الأيدى الخبيثة التى جاءت فيما بعد فصورت الوقائع بغير صورتها . ولما كان أصحاب رسول الله ﷺ هم قدوتنا فى ديننا ، وهم حملة الكتاب الإلهى والسنة المحمدية إلى الذين حملوا عنهم أماناتها حتى وصلت إلينا ، فإن من حق هذه الأمانات على أمثالنا أن ندرأ عن سيرة حفظتها الأولين كل ما ألصق بهم من إفك ظلمًا وعدوانًا ، لتكون صورتهم التى تعرض على أنظار الناس هى الصورة النقية الصادقة التى كانوا عليها ، فتحسن القدوة بهم ، وتطمئن النفوس إلى الخير الذى ساقه الله للبشر على أيديهم . وقد اعتبر فى التشريع الإسلامى أن الطعن فى الدين الذى هم رواته ، وتشويه سيرتهم تشويه للأمانة التى حملوها ، وتشكيك فى جميع الأسس التى قام عليها كيان التشريع فى هذه الملة الحنيفية السمحة . وأول نتائجه حرمان شباب الجيل ، وكل جيل بعده ، ومن القدوة الصالحة التى منّ الله بها على المسلمين ليتأسوا بها ، ويواصلوا حمل أمانات الإسلام على آثارها ، ولا يكون ذلك إلا إذا ألموا بحسناتهم ، وعرفوا كريم سجاياهم ، وأدركوا أن الذين شوهوا تلك الحسنات وصوروا تلك السجايا بغير صورتها ، إنما أرادوا أن يسيئوا إلى الإسلام نفسه بالإساءة إلى أهله الأولين . وقد آن لنا أن ننتبه من هذه الغفلة فنعرف لسلفنا أقدارهم لنسير فى حاضرنا على هدى ونور من سيرتهم

الصحيحة وسريرتهم النقية الطاهرة .

وهذا الكتاب الذى ألفه عالم من كبار أئمة المسلمين بيانًا لما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من صفات الكمال وادحاضًا لما ألصق بهم وبأعوانهم من التابعين لهم بإحسان ، يصلح على صغره لأن يكون صيحة من صيحات الحق توقظ الشباب المسلم إلى هذه الدسيسة التى دسها عليهم أعداء الصحابة ومبغضوهم ، ليتخذوها نموذجًا لأمثالها من الدسائس ، فيتفرغ الموفقون إلى الخير منهم لدراسة حقيقة التاريخ الإسلامى ، واكتشاف الصفات النبيلة فى رجاله ، فيعلموا أن الله عز وجل قد كافأهم عليها بالمعجزات التى تمت على أيديهم وأيدى أعوانهم فى إحداث أعظم انقلاب عرفه تاريخ الإنسانية ، لو كان الصحابة والتابعون بالصورة التى صورهم بها أعداؤهم ومبغضوهم لكان من غير المعقول أن تتم على أيديهم تلك الفتوح ، وأن تستجيب لدعوتهم الأمم بالدخول فى دين الله أفواجًا .

والقاضى أبو بكر بن العربى مؤلف « العواصم من القواصم » إمام من أئمة المسلمين ، ويعتبره فقهاء مذهب الإمام مالك أحد أئمتهم المقتدى بأحكامهم ، وهو من شيوخ القاضى عياض مؤلف كتاب « الشفا » فى التعريف بحقوق المصطفى ، ومن شيوخ ابن رشد العالم الفقيه والد أبى الوليد الفيلسوف ، ومن تلاميذه عشرات من هذه الطبقة كما سترى من ترجمته الآتية بعد (**) وكتابه « العواصم من القواصم» من خيرة كتبه ، ألفه سنة ٥٣٦ وهو فى دور النضج الكامل بعد أن امتلأت الأمصار بمؤلفاته وبتلاميذه الذين صاروا فى عصرهم أئمة يهتدى بهم . وهذا الكتاب فى جزئين متوسطى الحجم ، ومبحث الصحابة الذى نقدمه لقرائنا هو أحد مباحث جزئه الثانى (من ص ٨، ٩ إلى ص ١٩٣ من طبعة المطبعة الجزائرية الإسلامية فى مدينة قسنطينة بالجزائر سنة ١٣٤٧) وكان قد وقف على تلك الطبعة شيخ علماء الجزائر الأستاذ عبد الحميد بن باديس رحمه الله . ومما يؤسف له أن الأصل الذى اعتمد عليه فى تلك الطبعة كان مكتوبًا بقلم ناسخ غير متمكن ، فوقعت فيه تحريفات لفظية وإملائية حرصنا على ردها إلى أصلها ، بل إن النسخة المخطوطة التى طبعت عليها

(**) نلفت نظر القارئ إن الترجمة المثبتة من إعداد المحقق / محمد أحمد عيسى .

طبعة الجزائر يظهر أن المجلد وضع بعض ورقاتها فى غير موضعها ، فأرجعناها إلى ما دل عليه السياق فى القول ، والترتيب فى المسائل ، وفيما عدا ذلك التزمنا الأمانة فى عرض الكتاب إلى أقصى غاية . وعلقت على كل بحث منه بما يزيده وضوحًا ، مقتبسا ذلك من أوثق المراجع وأمهات الكتب الإسلامية المعتمدة ، مبينًا فى كل نص مأخذه بكل أمانة ووضوح .

وأرجو الله أن يجزل ثواب الإمام ابن العربى على دفاعه هذا عن أصحاب رسول الله الذين حملوا معه ﷺ أعظم رسالات الله ، وكانوا أصدق أعوانه على تبليغها فى حياته وبعد أن اختاره الله إليه . بل كانوا سبب كياننا الإسلامى ، ولهم ثواب انتمائنا إلى هذه الملة الحنيفية السمحة التى لا عيب لها غير تقصيرنا فى التخلق بآدابها فى أنفسنا ، وتعميم سننها فى بيوتنا ومجتمعنا وأسواقنا ومحاكمنا ودور حكمنا . وعسى أن يكون فى قراء هذا الكتاب من يعاهد الله على أن يكون خيرًا منا عملا وأصح منا علمًا ، وعلى الله قصد السبيل .

محب الدين الخطيب (*)

(*) توفى العلامة محب الدين الخطيب ـ رحمه الله ـ سنة ١٣٨٩ هـ

العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاته ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على محمد وآله [وسلم]

قال صالح بن عبد الملك بن سعيد :

قرأت على الإمام محمد أبى بكر بن العربى [١٢] ﷺ قال : الحمد لله رب العالمين [١٣] اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم . وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم . إنك حميد مجيد .

اللهم إنا [نستدعى من رضاك] المنحة ، كما نستدفع بك المحنة . ونسألك العصمة ، كما نستوهب منك الرحمة .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، ويسر لنا العمل كما علمتنا ، وأوزعنا شكرا ما آتيتنا . وانهج لنا سبيلا [تهدى] إليك ، وافتح بيننا وبينك بابًا نفد منه عليك ، لك مقاليد السموات والأرض وأنت على كل شيء قدير .

* * *

---

(١٢) هو غير (ابن العربى) المتصوف الذى يكتب اسمه نكرة (م) .

(١٣) بهذا التحميد ، والدعاء السديد ، افتتح الإمام ابن العربى الجزء الأول من كتابه (العواصم من القواصم) . فافتتحنا به هذا القسم من جزئه الثانى (من ص ٩٨ إلى ص ١٩٣ من مطبوعة الجزائر سنة ١٣٤٧) وهو ما اخترنا إفراده بهذا السفر خاصًا بتحقيق مواقف الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاة النبى ﷺ ، كما أشرنا إلى ذلك فى تصدير الكتاب . (خ) .

قاصمة الظهر

بعد أن استأثر الله بنبيه ﷺ وقد أكمل له ولنا دينه ، وأتم عليه وعلينا نعمته ، كما قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] ؛ وما من شيء في الدنيا يكمل إلا وجاءه النقصان ، ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله خاصة ، وذلك العمل الصالح والدار الآخرة ، فهي دار الله الكاملة ـ قال أنس « ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا(١٤) » .

واضطربت الحال ، ثم تدارك الله الإسلام ببيعة أبي بكر ، فكان موت النبي ﷺ (قاصمة الظهر) ومصيبة العمر :

فأما علي فاستخفى (١٥) في بيته مع

(١٤) في مطبوعة الجزائر « نفوسنا » والمروي في الحديث « قلوبنا » من وجوه متعددة أشار إليها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٢٧٣ـ ٢٧٤) أحدها للإمام أحمد عن أنس « لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء » . قال : وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا » . وهكذا رواه الترمذي ، وابن ماجة . وقال الترمذي : هذا حديث صحيح غريب . قال ابن كثير : وإسناده صحيح على شرط الصحيحين (خ) .

(١٥) لأن فاطمة وجدت على أبي بكر لما أصرَّ على العمل بقول رسول الله ﷺ : « لا نورِّث ما تركنا صدقة (*)» سيأتي تفصيل ذلك في (ص (٦٢ ، ٦٣) ، فعاشت فاطمة بعد موت النبي ﷺ ستة أشهر معتزلة في بيتها ومعها علي . قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٣٣٣) : فلما مرضت جاءها الصديق فدخل عليها فجعل يترضاها فرضيت. رواه البيهقي من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي ثم قال : وهذا مرسل حسن بإسناد صحيح (**). وقال البخاري (ك٦٤ ب ٣٨ ج٥ ص ٨٢ ـ ٨٣) =

(*) صحيح ورد من طرق منها عن أبي بكر وعائشة وعمر، ورواه البخاري (٤٢٤١) ، (٤٠٣٦) . (٦٧٣٠) ، (٦٧٢٥) ، (٣٠٩٣) ، (٣٠٣٤) ، (٧٣٥) ، ٦٧٢٨) ،(٣٠٩٤) ، (٥٣٥٨) ، (٣٧١٢) ورواه مسلم (١٧٥٧) ، وأحمد (٦/١) برقم (٢٥) (ع) :

(**) (ساقه ابن كثير في البداية) (٤/ ٣٩٦ عصرية) من طريق البيهقي وقال : وهذا إسناد جيد قوي والظاهر أن الشعبي سمعه من علي أو ممن سمعه من علي، ا . هـ قلت: رواه البيهقي في سننه الكبرى (٦/ ٣٠١) (ع) .

فـــاطمة (١٦) .

= من حديث عروة عن عائشة : « فلما توفيت دفنها زوجها عليٌ ليلا ولم يؤذن لها أبا بكر وصلى عليها ، وكـان لعليٍ من الناس وجه فى حياة فاطمة ، فلمـا توفيت استنكر عليٌ وجوه الناس ، فالتمس مصالحة أبى بكر ومبـايعته إلخ » وبيعة عليٍ هذه هى الثانية بعد بيعـته الأولى فى سقيفة بنى سـاعدة . وأضاف الحافظ ابن كثيـر فى البداية والنهاية (٥/ ٢٤٩) أن عليًا لم ينقطع عن صـلاة من الصلوات خلف الصديق ، وخرج مـعه إلى ذى القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتل أهل الردَّة .

ويحـتمل أن يكون مـراد المؤلف باستـخفـاء عليٍ مـا كان منه ومن الزبيـر قبـيل الاجتماع فى سقيفة بنى ساعدة ، وقد أشار عمر بن الخطاب إلى ذلك فى خطبته الكبري التى خطبها فى المدينة فى عقب ذى الحجة بعد آخر حجة حجها عمر ، وهذه الخطبة فى مسند الإمام أحمد (١ / ٥٥ الطبعـة الأولى ـ ج١ رقم ٣٩١ الطبعة الثانية) من حديث ابن عباس (خ) .

(١٦) إن هذا الخبر لا يتفق مع الخبـر الوارد فى أعلى هذا الكلام القائل بأن عليًا لم ينقطع عن صلاة من الصلوات خلف الصـديق . . . وإنه خرج معـه لما خرج أبو بكر شاهرا سيـفه لقتال المرتدين .

والحقيقة لقد اضطربت الروايات فى بيان موقف على بن أبى طالب من خلافة أبى بكر الصديق ولعـبت الدسائس دورها ، ونسجت الافتـراءات والأكاذيب حولها بـقصد زعزعة الثقة بالإسلام بصورة عامة، وبالصحابة بصورة خاصة ، وإظهارهم بمظهر الجشع والمتـهالك على المناصب والأمـوال ولو بمخالفـة الشـريعة ونحن ننقل فـيمـا يلى أصح الروايات عن موقف على النبيل ثم نأتى على بعض الروايات الأخرى التى تقول بامتناعه عن البيعة حتى وفاة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ونوضح زيفها وكذبها .

قال العلامة مـحمد عزة دروزة فى كتابه « الجنس العـربى » (١٤٧وما بعدها) : لقد روى الطبرى عن عبد الله بن سعيد الزهرى عن عمه يعقوب عن سعيد بن عمر عن الوليد بن عبد الله عن الوليد بن جميع الزهرى أن عمرو بن حريث سأل سعيد بن زيد:

أشهدت وفاة النبى ؟

قال : نعم . .

قال : فمتى بويع أبو بكر ؟

قال : يوم مات رسـول الله ﷺ كرهوا أن يبقوا بعض يوم ، وليسوا فى جـماعة

قال : فخالف عليه أحد ؟! =

وأما عثمان فسكت .

= قال : لا ! إلا مرتد أو من قد كاد أن يرتد لولا أن الله أنقذهم من الأنصار .
قال : فهل قعد أحد من المهاجرين ؟ قال : لا ! تتابعوا على بيعته من غير أن يدعوهم (ج٢ ص ٤٤٧) والمتبادر أن القائل أراد بما ذكره عن الأنصار موقف سعد بن عبادة وأنصاره يوم السقيفة وتطلعهم إلى رئاسة الحكم ، فأنقذهم الله وجعلهم يتراجعون ويتابعون أبا بكر دون افتراق وخلاف ونزاع . والرواية تعبر عما كان من شدة حرص أصحاب رسول الله من مهاجرين وأنصار على سرعة البت فى أمر الرئاسة حتى تجتمع كلمتهم ، وتفيد أن الهاشميين أيضًا ـ وهم من المهاجرين ـ قد تتابعوا على بيعة أبى بكر ولم يقعد منهم أحد . ولقد روى الطبرى خبر مبايعة علىٍّ لأبى بكر فورًا ، وبحركة رائعة حيث روى بأسانيده عن حبيب بن أبى ثابت أن عليًا كان فى بيته ، فأتى إليه الخبر عن جلوس أبى بكر للبيعة ، فخرج فى قميص ما عليه أزرار ولا رداء عجلا كراهية أن يبطئ عنه حتى بايعه، ثم جلس إليه وبعث فأحضر ثوبه وتخلله ولزم مجلسه (٢/٤٤٧) .

وعلى كل حال فإن المتفق عليه فى روايات الشيعة وغيرهم أن عليا وبنى هاشم بايعوا أبا بكر فوراً ! كما يروى الطبرى ، أو بعد تردد كما ترى رواية الشيعة ، وتعاونوا معه ، حيث يدل هذا دلالة حاسمة على أنه لم يكن هناك وصية صريحة أو ضمنية من النبى بأن يكون الأمر لعلىٍّ من بعده وما رواه الطبرى كذلك بأسانيد أخرى خبر امتناع علىٍّ وبنى هاشم عن بيعة أبى بكر طوال حياة فاطمة ، لأن فاطمة جاءت هى والعباس إلى أبى بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهو أرضه من فدك وسهمه من خيبر فقال لهما أبو بكر: أما إنى سمعت رسول الله يقول : « لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد فى هذا المال » وأنى والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته . فهجرته فاطمة فلم تكلمه فى ذلك حتى توفيت بعد ستة أشهر من وفاة النبى ﷺ ورأى علىٌّ انصراف وجوه الناس عنه ، وكان لم يبايع أبا بكر هو ولا أحد من بنى هاشم والقصة طويلة وفى ختامها : بايع علىٌّ أبا بكر . أى بعد وفاة فاطمة ويلحظ أن صيغة خبر الطبرى تجعل مسألة الميراث سببا لامتناع على ، وبنى هاشم عن مبايعة أبى بكر ، ومطالبتهم بالميراث من أبى بكر تقتضي أن تكون بعد الاعتراف بخلافته . وفى هذا من التناقض ما يجعل القصة متهافتة . وإن كان لها أصل ما ، فكل ما يمكن أن يكون هو أنهم بعد مبايعتهم لأبى بكر طالبوا بما اجتهدوا أنه ميراثهم من =

وأما عمر فأهجر وقال : « ما مات رسول الله ﷺ ، وإنما واعده الله كما واعد موسى [١٧] ، وليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدى ناس وأرجلهم [١٨] » .

= النبى ، فأورد أبو بكر عليهم حديث النبى ﷺ الذى سمعه ووقف الأمر عند هذا الحد. ويكون ما عدا ذلك من مزيدات الشيعة ومدسوساتهم . لأنه لا يمكن أن يكون على وفاطمة وبنو هاشم لم يصدقوا أبا بكر فى الحديث الذى رواه ، كما لا يمكن أن يكونوا كابروا وأصروا بعد سماعهم لحديث النبى ﷺ. أ. هـ (الجنس العربى ١٧/٧).

ومن الغريب أن أعداء الإسلام الذين يحملون على أبى بكر ؓ منع فاطمة من إرثها فى فدك وسهمها من خيبر ، بينما علىٌّ نفسه لما تولى الخلافة لم يعط أحد ورثها ولا لأحد من بنى هاشم ما تركه رسول الله ﷺ لحديث : « لا نورث . . . » .

وإذا كان أبو بكر منع ذلك ، فيكون قد منع ابنته عائشة أيضًا من هذا الإرث !!

وهناك روايات أخرى مختلطة ومكذوبة فى رفض على وبنى هاشم بيعة أبى بكر ضربنا عنها صفحا لتهافتها وللروايات الكثيرة التى تثبت مسارعة على لبيعة أبى بكر ومعاونته فى شؤون الخلافة ، وهو من أعرف الناس بفضله . (م) .

(١٧) إشارة إلى قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [البقرة : ٥١] ، وقوله سبحانه ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف: ١٤٢] .(خ) .

(١٨) مسند أحمد (٣/ ١٩٦ الطبعة الأولى) حديث أنس بن مالك عن يوم وفاة النبى ﷺ وفيه : « ثم أرخى الستر ، فقبض فى يومه ذاك . فقام عمر فقال : إن رسول الله ﷺ لم يمت ، ولكن ربه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى ، فمكث عن قومه أربعين ليلة . وإني لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدى رجال المنافقين وألسنتهم يزعمون (أو قال : يقولون): إن رسول الله ﷺ قد مات » . وفى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٥) عن عائشة : « . . . فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله ﷺ . . والله ما كان يقع فى نفسى إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم» ونقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٥/ ٢٤٢) ما رواه البيهقى من طريق ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير قال: قام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويتوعد من قال «مات» بالقتل والقطع، ويقول :إن رسول الله ﷺ فى غشية لو =

وتعلق بال العباس وعليٍّ بأمر أنفسهما فى مرض النبى ﷺ ، فقال العباس لعلى: « إنى أرى الموت فى وجوه بنى عبد المطلب ، فتعال حتى نسأل رسول الله ﷺ ، فإن كان هذا الأمر فينا علمناه » (١٩) .

وتعلق بال العباس وعليٍّ بميرائهما فيما تركه النبى ﷺ من فدك وبنى النضير وخيبر (٢٠) .

واضطرب أمر الأنصار يطلبون الأمر لأنفسهم،أو الشركة فيه مع المهاجرين (٢١) .

=قدم قام قتل وقطع (*) . وفى (٥ : ٢٤١) من البداية والنهاية من حديث عائشة وهى تذكر الساعة التى توفى فيها رسول الله ﷺ : فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنا ، فأذنت لهما . . ثم قاما ، فلما دنوا من الباب قال المغيرة : يا عمر ، مات رسول الله ﷺ ، فقال عمر : كذبت ، بل أنت رجل تحوسك (أى تخالطك) فتنة ، أن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفنى الله المنافقين . ثم جاء أبو بكر . . وخرج إلى المسجد وعمر يخطب الناس ويقول : إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفنى الله المنافقين .

ومعنى أهجر : خلط فى كلامه ، وهذى وأكثر الكلام فيما لا ينبغى وذلك من هول ما وقع فى نفس عمر من هذا الحادث العظيم ، فهو لا يكاد يصدقه (خ) .

(١٩) فأجابه على كرم الله وجهه : « إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وإنى والله لا أسألها رسول الله ﷺ . رواه البخارى في كتاب المغازى من صحيحه (ك ٦٤ ب ٨٣ ج ٥ ص ١٤٠ ـ ١٤١) . ونقله ابن كثير فى البداية والنهاية (٥/ ٢٢٧ ، ٢٥١) من حديث الزهرى عن عبد الله بن كعب بن مالك عن ابن عباس . ورواه الإمام أحمد فى مسنده (١/ ٢٦٣ ، ٣٢٥ الطبعة الأولى ، ج٤ رقم ٢٣٧٤ ، ج٥ رقم ٢٩٩٩ الطبعة الثانية) . (خ) .

(٢٠) سيأتى تفصيله ص ٤٨ عند الكلام على حديث « **لا نورث ما تركنا صدقة** » (خ) .

(٢١) فاجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة ، وبين ظهرانيهم سعد بن عبادة ، وهم يرون أن الأمر لهم لأن البلد بلدهم وهم أنصار الله وكتيبة الإسلام ، أما قريش فإن داقة منهم دفنت ، فلا ينبغى أن تختزل الأمر من دون الأنصار . وقال خطيب منهم ـ وهو الحباب بن المنذرـ « أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب . منا أمير ومنكم أمير » . (وجذيلها =

(*) قلت : رواه البيهقى فى (دلائل النبوة) (٧/ ٢١٧ـ ٢١٩) وهو مرسل ـ وأيضا فيه ابن لهيعة وهو ضعيف لاختلاطه وتدليسه وقد صرح بالتحديث ـ البداية (٤/ ٣٣٨) عصرية .

وانقطعت قلوب الجيش الذى كان قد برز مع أسامة بن زيد بالجرف (٢٢) .



= المحكك : هو أصل شجرتها الذى تتحكك به الإبل . وعذيقها المرجب : نخلتها التى دعمت ببناء أو خشب لكثرة حملها) . ومع ذلك فقد كان رجل من الأنصار ـ وهو بشير بن سعد الخزرجى والد النعمان بن بشير ـ يسابق عمر لمبايعة أبى بكر . وقبيل ذلك كان فى السقيفة الرجلان الصالحان عويم بن ساعدة الأوسى ومعن بن عدى حليف الأنصار ولم تعجبهما هذه النزعة من الأنصار فخرجا وهما يريان أن يقضى المهاجرون أمرهم غير ملتفتين إلى أحد ، لكن حكمة أبى بكر ونور الإيمان الذى ملأ قلبه كانا أبعد مدى وأحكم تدبيرا لهذه الملة فى أعظم نوازلها . (خ) .

(٢٢) كان هذا الجيش سبعمائة ، والأمير عليهم أسامة بن زيد ، وكان قد ندبهم رسول الله ﷺ للمسير إلى تخوم البلقاء (شرق الأردن) حيث قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وابن رواحة . ولما انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى أشار كثير من الصحابة ـ ومنهم عمر ـ أن لا ينفذ الصديق هذا الجيش لما وقع من الاضطراب فى الناس ولا سيما فى القبائل . نقل ابن كثير فى البداية والنهاية (٦ : ٣٠٤ ـ ٣٠٥) حديث القاسم وعمرة عن عائشة قالت : لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة وأشربت النفاق ، والله لقد نزل بى ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى مطيرة فى حش فى ليلة مطيرة بأرض مسبعة . فوالله ما اختلفوا فى نقطة الإصار أبى بخطلها وعنانها وفصلها » . (خ) .

عاصمة

فتدارك الله الإسلام والأنام - وانجابت (الغمـة) انجياب الغمام ، ونفذ وعد الله باستئثار رسول الله [(٢٣)] وإقامة دينه على التمام ، وإن كـان قد أصاب ما أصاب من الرزية الإسلام - بأبى بكر الصديق ﷺ [(٢٤)] ،وكان إذا مات النبى ﷺ غائبًا في ماله بالسَّنح [(٢٥)] ، فجاء إلى منزل ابنته عائشة ﷺ - وفيه مات النبى ﷺ - فكشف عن وجهه ، وأكب عليه يقبله وقال : بأبى أنت وأمى يا رسـول الله ، طبت حيًا وميتًا . والله لا يجـمع الله عليك الموتتين ، أما الموتة التى كـتب الله عليك فقـدمتـها . ثم خرج إلى المسجد - والناس فيه ، وعمر يأتى بهـجر من القول كما قدمنا - فرقى المنبر فحمـد الله وأثنى عليه ثم قال : « أمـا بعد أيها الناس ، من كـان يعبد محـمدًا فإن محـمدًا قد مـات ، ومن كان يعـبد الله فإن اللـه حى لا يموت » . ثم قرأ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ

---

(٢٣) استأثر الله فلانًا ، وبفلان : إذا مات . (خ) .

(٢٤) أى فتدارك الله الإسلام والأنام بأبى بكر . (خ) .

(٢٥) فى البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥/ ٢٤٤) : كان الصديق قد صلى بالمسلمين صلاة الصبح ، وكان إذ ذاك قد أفـاق رسول الله ﷺ إفاقة من غمرة مـا كان فيه من الوجع ، وكـشف سـترة الحجـرة ونظر إلى المسلمين وهم صـفوف فى الصـلاة خلف أبى بكر ، فأعجبه ذلك وتبسم ﷺ حتى هم المسلمون أن يتركوا ما هم فيه من الصلاة لفرحهم به، وحتى أراد أبـو بكر أن يتأخـر ليصل الصف ، فـأشار إليـهم ﷺ أن يمكثوا كـما هم . وأرخى الستارة ، وكان آخر العهد به ﷺ . فلما انصرف أبو بكر من الصلاة دخل عليه وقال لعائشة : ما أرى رسول الله ﷺ إلا قد أقلع عنه الوجع ، وهذا يوم بنت خارجة - يعنى إحدى زوجتيه ، وكانت ساكنة بالسنح شرقى المدينة - فركب على فرس وذهب إلى منزله ، وتوفى ﷺ حين اشتد الضـحى . . فذهب سالم بن عبيد وراء الصـديق فأعلمه بموت النبى ﷺ ، فـجاء الصديق حـين بلغه الخبـر ، وكان منه مـا سيـذكره المؤلف . والسنح منازل بنى الحارث بن الخـزرج فى عوالى المدينة ، بينها وبين مسـجد رسول الله ﷺ ميل واحد . (خ) .

عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [آل عمران : ١٤٤] فخرج الناس يتلونها في سكك المدينة كأنها لم تنزل إلا ذلك اليوم(٢٦) .

واجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة يتشاورون ، ولا يدرون ما يفعلون . (وبلغ ذلك المهاجرين) فقالوا : نرسل إليهم يأتوننا . فقال أبو بكر : بل نمشى إليهم. فسار إليهم المهاجرون ، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، فتراجعوا الكلام ، فقال بعض الأنصار : منا أمير ومنكم أمير(٢٧) . . فقال أبو بكر كلاما كثيرًا مصيبًا ، يكثر ويصيب . منه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء . إن رسول الله ﷺ قال « **الأئمة من قريش** »(٢٨) وقال : « **أوصيكم بالأنصار خيراً : أن تقبلوا من محسنهم ،**

(٢٦) رواه البخارى في كتاب فضائل الصحابة من صحيحه (ك ٦٢ ب ٥ ـ ج٤ ص ١٩٤) من حديث عائشة . وفى البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥ / ٢٤٢) من حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى أحد أعلام المسلمين ، عن أبيه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، عن عائشة أم المؤمنين التى وقعت هذه الحوادث فى بيتها وفى المسجد النبوى الذى يطل بيتها عليه . وجميع دواوين السنة سجلت هذا الموقف العظيم للصديق الأكبر بأصح الأحاديث . وألفاظها قريب بعضها من بعض (خ) .

(٢٧) الذى قال ذلك من خطباء الأنصار الحباب بن المنذر ، وقد تقدم في هامش ٢١ ص ٥٦ (خ).

(٢٨) الحديث فى مسند الطيالسى برقم ٩٢٦ عن أبى برزة ، وبرقم ٢١٣٣ منه عن أنس ، وفى كتاب الأحكام من صحيح البخارى (ك ٩٣ ب ٢ ـ ج٨ ص ١٠٤ ، ١٠٥) عن معاوية أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين** »(*) . وعن ابن عمر قال رسول الله ﷺ : « **لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان** »(**) . وفى مسند الإمام أحمد (٣/ ١٢٩ الطبعة الأولى) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قام على باب البيت ونحن فيه فقال « الأئمة من قريش . إن لهم عليكم حقًا . . إلخ »(***) ورواه الإمام أحمد أيضًا فى المسند (٣/ ١٨٣ الطبعة الأولى) عن أنس قال: كنا فى بيت رجل من الأنصار فجاء=

(*) رواه البخارى (٣٥٠٠) ، (٧١٣٩) .
(**) رواه البخارى (٣٥٠١) ، (٧١٤٠) .
(***) صحيح رواه أحمد (٣/ ١٨٣) .

وتتجاوزوا عن مسيئهم (٢٩) » . إن الله سمانا (الصادقين (٣٠)) وسماكم (المفلحين(٣١)) . وقد أمر أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) ﴾ [التوبة] . إلى غير ذلك من الأقوال المصيبة والأدلة القوية . فتذكرت الأنصار ذلك وانقادت إليه ، وبايعوا أبا بكر الصديق ﷺ (٣٢) .

= النبى ﷺ حتى وقف فأخذ بعضادة الباب فقال : « **الأئمة من قريش ، ولهم عليكم حق، ولكم مثل ذلك .. إلخ** » الإمام أحمد كذلك (٤/ ٤٢١ الطبعة الأولى) عن أبى برزة يرفعه إلى النبى ﷺ قال : « **الأئمة من قريش : إذا استرحموا رحموا ، وإذا عاهدوا وفوا ، وإذا حكموا عدلوا . فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** » (*) (خ) .

(٢٩) فى كتاب مناقب الأنصار من صحيح البخارى (ك ٦٣ ب ١١) من حديث هشام بن زيد بن أنس قال : سمعت أنس بن مالك يقول : مر أبو بكر والعباس ﷺ بمجلس من مجالس الأنصار يبكون (والظاهر أن ذلك كان فى مرض النبى ﷺ الذى مات به) فقال: ما يبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس النبى ﷺ منا . فدخل على النبى ﷺ فأخبره بذلك . قال : فخرج النبى ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد . قال فصعد المنبر ـ ولم يصعده بعد ذلك اليوم ـ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى وعيبتى ، وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » (**) ، وبعده فى صحيح البخارى حديث لعكرمة عن ابن عباس ، وحديث لقتادة عن أنس بمعنى ذلك . وقريب من ذلك فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى ، وفى سنن الترمذى عن ابن عباس . (خ) .

(٣٠ ، ٣١) فى سورة الحشر : ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)** ﴾ (خ) .

(٣٢) نقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٥/ ٢٤٧) من حديث الإمام أحمد عن حميد بن

(*) الحديث صحيح لطرقه وشواهده الكثيرة (راجع تخريج الإرواء) (م) وقد خرجته فى كتاب (النهاية فى الفتن والملاحم لابن كثير) .

(**) رواه البخارى (٣٧٩٩) .

وقال أبو بكر لأسامة : انفذ لأمر رسول الله ﷺ . فقال عمر : كيف ترسل هذا الجيش والعرب قد اضطربت عليك !؟ فقال : لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة ، ما رددت جيشًا أنفذه رسول الله ﷺ (٣٣) .

وقال له عمر وغيره: إذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم . فقال : « والله لو

عبد الرحمن بن عوف الزهرى (ابن أخت أمير المؤمنين عثمان) خطبة أبى بكر فى سقيفة بنى ساعدة ، ومنها قوله : لقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال : « **لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار واديًا سلكت وادى الأنصار** » (*) . ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد : « **قريش ولاة هذا الأمر : فبر الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم** » فقال له سعد:« صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء » (**) .

(٣٣) نقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥) عن الحافظ أبى بكر البيهقى حديث محمد بن يوسف الفريابى الحافظ (قال البخارى : كان أفضل أهل زمانه) ، عن عباد ابن كثير الرملى أحد شيوخه (قال ابن المدينى : كان ثقة لا بأس به) ، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (أحد التابعين ، توفى بالإسكندرية) عن أبى هريرة قال : «والله الذى لا إله إلا هو ، لولا أبو بكر استخلف ما عُبد الله » ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة . فقيل له : مه يا أبا هريرة . فقال : إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد فى سبعمائة إلى الشام ، فلما نزل بذى خشب قبض رسول الله ﷺ ، وارتدت العرب حول المدينة . فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا بكر ، رد هؤلاء ، توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة !؟ فقال : « والذى لا إله غيره ، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشًا وجهه رسول الله ، ولاحللت لواء عقده رسول الله » فوجه أسامة ، فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم . فلقوا الروم، فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين ، فثبتوا على الإسلام . (خ) .

(*) رواه البخارى . (م) .

قلت : نعم المتن إلى هنا رواه البخارى (   ) ومسلم من حديث هشام بن زيد عن أنس بن مالك مرفوعًا . وكذا روياه والإمام أحمد من طرق عنه كما فى (البداية) (٤/ ٤٢ ، ٤٣) (ع) .

(**) رجاله ثقات إلا حميد بن عبد الرحمن . وللحديث شواهد تقويه (راجع الأحاديث الضعيفة ١١٥٦) (م) .

قلت : رواه الإمام أحمد من هذا الطريق وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٩١) ، والصحيحة (١١٥٦) (ع).

منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه . والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة(٣٤) » .

قيل : ومع من تقاتلهم ؟ قال : « وحدى ، حتى تنفرد سالفتى(٣٥) » .

وقدم الأمراء علي الأجناد والعمال فى البلاد مختاراً لهم ، مرتئيًا فيهم ، فكان ذلك من أسد عمله ، وأفضل [مقدمة](٣٦) .

---

(٣٤) لما مضى جيش أسامة فى طريقه إلى شرق الأردن جعلت وفود القبائل تقدم المدينة ، يقرون بالصلاة ويمتنعون عن أداء الزكاة . قال ابن كثير (٦/ ٣١١) ومنهم من احتج بقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة : ١٠٣] . قالوا :فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا . وقد تكلم الصحابة مع الصديق فى أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان فى قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكون ، فامتنع الصديق من ذلك وأباه . وقد روى الجماعة فى كتبهم ـ سوى ابن ماجة ـ عن أبى هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبى بكر: علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ؟** » فقال أبو بكر:« والله لو منعونى عناقا (وفى رواية :عقالا) كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها أن الزكاة حق المال . والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة» قال عمر : فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق . وهذا الحديث فى مسند أحمد (١/ ١١ ، ١٩ ، ٣٥ ، ٣٦ الطبعة الأولى - ج ١ رقم ٦٧ . ١١٧ ، ٢٣٩ الطبعة الثانية) من حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبى هريرة . وفى البداية والنهاية (٦/ ٣١٢) : قال القاسم بن محمد (ابن أبى بكر الصديق ، وهو أحد الفقهاء السبعة) : اجتمعت أسد وغطفان وطيئ على طليحة الأسدى ، وبعثوا وفوداً إلى المدينة فنزلوا علي وجوه الناس ، فأنزلوهم إلا العباس ، فحملوهم إلى أبى بكر على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة . فعزم الله لأبى بكر على الحق وقال « لو منعونى عقالا لجاهدتهم » (خ) .

(٣٥) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، ولا تنفرد إحداهما عما يليها إلا بالموت . (خ) .

(٣٦) وفى طليعة هؤلاء القواد : أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهرى ، وعمرو بن=

وقال لفاطمة وعلى والعباس : إن رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » . فذكر الصحابة ذلك (٣٨) .

= العاص السهمى، وخالد بن الوليد المخزومى ، وخالد بن سعيد بن العاص الأموى ، ويزيد بن أبى سفيان ، وعكرمة بن أبى جهل ، والمهاجر بن أبى أمية شقيق أم المؤمنين أم سلمة ، وشرحبيل بن حسنة ، ومعاوية بن أبى سفيان ،وسهيل بن عمرو العامرى خطيب قريش ، والقعقاع بن عمرو التميمى، وعرفجة بن هرثمة البارقى ، والعلاء بن الحضرمى حليف بنى أمية ، والمثنى بن حارثة الشيبانى، وحذيفة بن محصن الغطفانى . وفى طليعة ولاته : عتاب بن أسيد الأموى ، وعثمان بن العاص الثقفى ، وزياد بن لبيد الأنصارى ، وأبو موسى الأشعرى ، ومعاذ بن جبل ، ويعلى بن منية ، وجرير بن عبد الله البجلى ، وعياض بن غنم ، والوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وعبد الله بن ثور أحد بنى غوث ،وسويد بن مقرن المزنى .

(٣٨) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (٦٢ب ١٢ ـ ج٤ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠) حديث الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة أن فاطمة أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من النبى ﷺ فيما أفاء الله على رسوله ﷺ تطلب صدقة النبى ﷺ التى بالمدينة وفدك وما بقى من خمس خيبر ، فقال أبو بكر : أن رسول الله ﷺ قال « **لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة . إنما يأكل آل محمد من هذا المال** ـ يعنى مال الله ـ ليس لهم أن يزيدوا على المأكل » وإنى والله لا أغير شيئًا من صدقات النبى ﷺ التى كانت عليها فى عهد النبى ﷺ ، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ . فتشهد علىٌ ثم قال : أنا عرفنا يا أبا بكر فضيلتك (وذكر قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقهم) . فتكلم أبو بكر فقال : والذى نفسى بيده ، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتى . وأوسع منه فى كتاب المغازى بباب غزوة خيبر من صحيح البخارى (ك ٦٤ب ٣٨ ـ ج٥ص٨٢) .

وفى كتاب الوصايا من صحيح البخارى (ك ٥٥ ب ٣٢ ـ ج٣ ص ١٩٧) وكتاب فرض الخمس منه (ك ٥٧ ب ٣ ـ ج٤ ص ٤٥) حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يقتسم ورثتى دينارًا ، ما تركت** ـ بعد نفقة نسائى ومؤونة عاملى ـ **فهو صدقة** ». قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢/١٥٨): قول النبى ﷺ « **لا نورث،ما تركنا صدقة** » رواه عنه أبو بكر،وعمر، وعثمان ، وعلى، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، والعباس بن عبد المطلب ، =

. . . .

= وأزواج النبى ﷺ ، وأبو هريرة ، والرواية عن هؤلاء ثابتة فى الصحاح والمسانيد .
وقال قبل ذلك (٢/ ١٥٧) : إن الله تعالى صان الأنبياء أن يورثوا دنيا لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح فى نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وورثوها لورثتهم . ثم إن من ورثة النبى ﷺ أزواجه ومنهم عائشة بنت أبى بكر وقد حرمت نصيبها بهذا الحديث النبوى ، ولو جرى أبو بكر مع ميله الفطرى لأحب أن ترث ابنته .

وفى كتاب فرض الخمس من صحيح البخارى (ك ٥٧ ب ١ ـ ج٤ ص ٤٢) حديث ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين أخبرت أن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر : إن رسول الله ﷺ قال : «لا نورث ، ما تركنا صدقة » . . . فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال : « لست تاركا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، فإنى أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ » .

وفى الباب نفسه من صحيح البخارى (ج ٤ ص ٤٢ ـ ٤٤) من حديث الإمام مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس بن الحدثان النصرى أنه قال : بينما أنا جالس فى أهلى حين متع النهار إذا رسول عمر بن الخطاب فقال : أجب أمير المؤمنين . فانطلقت معه . . فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ فقال : هل لك فى عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبى وقاص يستأذنون ؟ قال : نعم . فأذن لهم . . ثم جلس يرفأ يسيراً ثم قال : هل لك فى علىٍّ وعباس ؟ قال : نعم : فأذن لهما ، فدخلا فسلما فجلسا . فقال عباس : يا أمير المؤمنين اقض بينى وبين هذا ـ وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله ﷺ من بنى النضير ـ فقال الرهط ، عثمان وأصحابه: يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر . قال عمر : تيدكم . أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : «لا نورث ، ما تركنا صدقة » يريد رسول الله ﷺ نفسه ؟ قال الرهط : قد قال ذلك . فأقبل عمر على على وعباس فقال : أنشدكما الله ، أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك ؟ قالا : قد قال ذلك . (وبعد أن ذكر أنه ﷺ كان ينفق على أهله سنتهم من هذا المال ثم يجعل ما بقى مجعل مال الله ، واستشهدهم على ذلك فشهدوا ، قال) : ثم توفى الله نبيه ﷺ ، فقال أبو بكر: أنا ولى رسول الله ﷺ ، فقبضها ، فعمل فيها بما=

وقال : سمعته ﷺ يقول : « لا يدفن نبى إلا حيث يموت (٣٩) » (*) وهو فى

= عمل رسول الله ﷺ ، والله يعلم أنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق . ثم توفى الله أبا بكر ، فكنت أنا ولى أبى بكر ، فقبضتها سنتين من إمارتى . أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ ، وما عمل فيها أبو بكر ، والله يعلم أنى فيها لصادق بار راشد تابع للحق . ثم جئتمانى تكلمانى وكلمتكما واحدة وأمركما واحد ، جئتني يا عباس تسألنى نصيبك من ابن أخيك ، وجاءني هذا - يريد عليًا - يريد نصيب امرأته من أبيها ، فقلت لكما : إن رسول الله ﷺ قال : « **لا نورث ، ما تركنا صدقة** » . فلما بدا لى أن أدفعه إليكما قلت : إن شئتما دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ ، وبما عمل فيها أبو بكر ، وبما عملت فيها منذ وليتها . فقلتما : ادفعها إلينا ، فبذلك دفعتها إليكما . فأنشدكم بالله ، هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط : نعم . ثم أقبل على علىٍّ وعباس فقال : أنشدكما بالله ، هل دفعتها إليكما بذلك ؟ قال : نعم . قال : أفتلتمسان منى قضاء غير ذلك ! فوالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض ، لا أقضى فيها قضاء غير ذلك ، فإن عجزتما عنها فادفعاها إلى فإنى أكفيكماها .

وأورد البخارى حديث مالك بن أوس هذا فى كتاب المغازى من صحيحه (ك ٦٤ ب ١٤ - ج ٥ ص ٢٣ ، ٢٤) من حديث شعيب عن الزهرى عن مالك بن أوس ، وفى كتاب النفقات من صحيحه (ك ٦٩ ب ٣ - ج ٦ ص ١٩٠ - ١٩٢) ،وفى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيحه (ك ٦٩ ب ٥ - ج ٨ ص ١٤٦ - ١٤٧) . وانظر كتاب الفرائض من صحيح البخارى (ك ٨٥ ب ٣ - ج ٨ ص ٣ - ٥) . ومسند الإمام أحمد (١/ ١٣ الطبعة الأولى - ورقم ٧٧ ، ٧٨ الطبعة الثانية) .

وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣/ ٢٣٠) إلى أن أبا بكر وعمر أعطيا من مال الله أضعاف هذا الميراث للذين كانا سيرثونه قال : وإنما أخذ منهم قرية ليست كبيرة ، لم يأخذ منهم مدينة ولا قرية عظيمة . ثم قال (٣/ ٢٣١) وقد تولى علىٌّ بعد ذلك ، وصارت فدك وغيرها تحت حكمه ، ولم يعط لأولاد فاطمة ولا زوجات النبى ﷺ ولا ولد العباس شيئًا من ميراثه . . . إلخ . (خ) .

(٣٩) فى كتاب الجنائز من موطأ مالك (ك ٢٦ ج ٢٧ - ص ٢٣١) أن مالكا بلغه أن =

(*) هذا الحديث ورد من طرق كثيرة ذكر الشيخ الخطيب بعضا منها : عن أبى بكر (رواه مالك بلاغا والإمام أحمد عن ابن جريج قال أخبرنى أبى - وهو عبد العزيز بن جريج - أن أصحاب النبى ﷺ فذكره عن أبى =

ذلك كله رابط الجأش ، ثابت العلم والقدم فى الدين .

ثم استخلف عمر ، فظهرت بركة الإسلام ، ونفذ الوعد الصادق فى الخليفتين (٤٠) .

= رسول الله ﷺ توفى يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء صلى الناس عليه أفذاذًا لا يؤمهم أحد . فقال ناس : يدفن عند المنبر . وقال آخرون : يدفن بالبقيع . فجاء أبو بكر الصديق فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما دفن نبى قط إلا فى مكانه الذى توفى فيه** » قال الحافظ ابن عبد البر : صحيح من وجوه مختلفة وأحاديث شتى جمعها مالك. وفى كتاب الجنائز من جامع الترمذى (ك ٨ ب ٣٣) حديث عائشة: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا فى دفنه ، فقال أبو بكر : سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا ما نسيته ، قال: « **وما قبض الله نبيًا إلا فى الموضع الذى يجب أن يدفن فيه** » ادفنوه في موضع فراشه (*) . وفى كتاب الجنائز من سنن ابن ماجة (ك ٦ ب ٦٥) عن ابن عباس: لقد اختلف المسلمون في المكان الذى يحفر له ، فقال قائلون : يدفن فى مسجده، وقال قائلون : يدفن مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما قبض نبى إلا دفن حيث يقبض** » (**) ورواه ابن إسحاق (فى السيرة لابن هشام ١٠٣/٣ بولاق) من حديث عكرمة عن ابن عباس (***) . وانظر البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥ / ٢٦٦ ـ ٢٦٨) . (خ) .

(٤٠) وهو وعد الله عز وجل فى سورة النور : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** (٥٥) ﴾ . ولقد كان المجتمع الإسلامى ـ بتوجيه هذين الخليفتين ـ =

= بكر ـ وفيه انقطاع بين عبد العزيز بن جريج وأبى بكر فإنه لم يدركه . ومنها عن عائشة عن أبى بكر رواه أبو يعلى والترمذى وابن إسحاق وابن أبى الدنيا وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى (٨١٢) ومنها عن ابن عباس عن أبى بكر رواه أبو يعلى والواقدى ورواه البيهقى عن الحاكم بسنده إلى محمد بن جعفر بن الزبير عن أبى بكر فى دلائل النبوة (٧/ ٢٦٠) وهو مرسل وفيه الواقدى متروك وللحديث طرق أخرى أكثرها لا يخلو من مقال والحديث بها صحيح إن شاء الله . . انظر البداية (٣٦٧/٤ ـ ٣٦٨) عصرية (ع) .

(*) صححه الألبانى فى صحيح الترمذى (٨١٢) (ع) .

(**) قال الألبانى فى ضعيف ابن ماجة (٣٥٩) : ضعيف . لكن قصة الشقاق واللاحد ثابتة (ع) .

(***) ورواه أيضًا الإمام أحمد (١/ ٢٩٢ ، ٢٦٦١) بسند ضعيف (ع) .

ثم جعلها عمر شورى ، فأخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من الأمر حتى ينظر ويتحرى فيمن يقدم (٤١) فقدم عثمان ، فكان عند الظن به : ما خالف له عهدًا ، ولا

=أسعد مجتمع إنسانى عرفه التاريخ ، لأن الناس - من ولاة ورعية - كانوا يتعاملون بالإيثار ، وكان الواحد منهم يكتفى بما يفى بحاجته ، ويبذل من ذات نفسه أقصى ما يستطيع أن يستخرج منها من جهد لإقامة الحق فى الأرض وتعميم الخير بين الناس . ويلقى الرجل الخير منهم رجلا لا تزال تنزع به نزعات الشر ، فلا يزال به حتى يخدر عناصر الشر المتوثبة فى نفسه ، ويوقظ ما كمن فيها من عناصر الخير إلى أن يكون من أهل الخير . وفى المنتسبين إلى الإسلام حتى يومنا هذا طوائف امتلأت قلوبهم بالضغن حتى على أبى بكر وعمر ، فضلا عمن استعان بهم أبو بكر وعمر من أهل الفضل والإحسان ، فصنعوا لهم من الأخبار الكاذبة شخصيات أخرى غير شخصياتهم التى كانوا عليها فى نفس الأمر ، ليقنعوا أنفسهم بأنهم أبغضوا أناسًا يستحقون منهم هذه البغضاء . ولهذا امتلأ التاريخ الإسلامى بالأكاذيب ، ولن تتجدد للمسلمين نهضة إلا إذا عرفوا سلفهم على حقيقته واتخذوا منه قدوة لهم ، ولن يعرفوا سلفهم على حقيقته إلا بتطهير التاريخ الإسلامى مما ألصق به . (خ) .

(٤١) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٨ - ج٤ ص ٢٠٤ - ٢٠٧) حديث عمرو بن ميمون أحد تلاميذ معاذ وابن مسعود ومن شيوخ الشعبى وسعيد بن جبير وطبقتهما ، وقد اشتمل هذا الحديث على خبر مقتل أمير المؤمنين عمر ، وكيف جعل عمر الخلافة شورى بين الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وكيف أخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه منها . ثم انتهى إلى تقديم عثمان . وهذا الحديث من أصح ما ثبت فى هذا الموضوع وأجود . واقرأ بعد ذلك ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية عن موقف عمر فى جعله الأمر شورى فى كتاب منهاج السنة (٣/١٦٨ - ١٧٢) ، وفيه إرشاد دقيق إلى ما كان عليه بنو هاشم وبنو أمية من الاتفاق والمحبة والتعاون فى أيام النبى ﷺ وأبى بكر وعمر ، وأن عثمان وعليًا كان أحدهما أقرب إلى صاحبه من سائر الأربعة إليهما . ونقل ابن تيمية فى (٣/ ٢٣٣ - ٢٣٤) قول الإمام أحمد : لم يتفق الناس على بيعة كما اتفقوا على بيعة عثمان : ولاه المسلمون بعد تشاورهم ثلاثة أيام ، وهم مؤتلفون متفقون متحابون متواردون معتصمون بحبل الله جميعًا . وقد أظهرهم الله ، وأظهر بهم ما بعث به نبيه من الهدى ودين الحق ، ونصرهم على الكفار ففتح بهم بلاد الشام والعراق وبعض خراسان . إلخ (خ) .

نكث عقدًا ، ولا اقتحم مكروهًا ، ولا خالف سنة (٤٢) .

---

(٤٢) وكيف لا يكون عثمان عند حسن الظن به وقد شهد له بطهارة السيرة وحسن الخاتمة رسول الله الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى . قال الحافظ ابن حجر فى ترجمة عثمان من (الإصابة) : جاء من أوجه «متواترة » أن رسول الله ﷺ بشر عثمان بالجنة ، وعده من أهل الجنة ، وشهد له بالشهادة . والحديث الذى يتواتر بذلك عن رسول الله ﷺ لا يرتاب فيه ولا يجنح إلى غير مدلوله إلا الذى يرضى لنفسه بأن يقتحم أبواب الجحيم . وروى الترمذى من طريق الحارث بن عبد الرحمن عن طلحة أحد العشرة المبشرين بالجنة أن رسول الله ﷺ قال : « **لكل نبى رفيق ، ورفيقى فى الجنة عثمان** » (*) . وقال الحافظ ابن عبد البر فى ترجمة عثمان من كتاب (الاستيعاب): ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : « **سألت ربى عز وجل أن لا يدخل النار أحدًا صاهر إلى أو صاهرت إليه** » (**) . وشهادة أخرى من رسول الله ﷺ لهذا الإنسان الأفضل يتمني مثلها أبو بكر وعمر ، فقد روى الإمام مسلم فى كتاب فضائل الصحابة من صحيحه (ك ٤٤ ج ٢٦ ـ ج ٧ ص ١١٦ ـ ١١٧) عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال فى عثمان : « **ألا أستحي من رجل تستحى منه الملائكة ؟** » وفى صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٧ ـ ج٤ ص ٢٠٣) عن نافع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: كنا في زمن النبى ﷺ لا نعدل بأبى بكر أحدًا ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب النبى ﷺ لا نفاضل بينهم . وقيل للمهلب بن أبى صفرة : لم قيل لعثمان ذو النورين ؟ قال : لأنه لم يعلم أن أحدًا أرسل سترًا على ابنتى نبى غيره . وروى خيثمة فى فضائل الصحابة عن النزال بن سبرة العامري (أحد الذين أخذوا عن أبى بكر وعثمان وعلى، وهو من شيوخ الشعبى والضحاك وطبقتهما) قال : قلنا لعلى حدثنا عن عثمان، فقال : « ذاك امرؤ يدعى فى الملأ الأعلى ذا النورين » . وقال ابن مسعود حين

(*) قال الترمذى : هذا حديث غريب . وليس إسناده بالقوى . وهو منقطع . (م) .

قلت : رواه الترمذى (٣٦٩٨) وابن ماجة (١٠٩) وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى (ع) .

(**) صححه الحاكم عن طريق عمار بن سيف ووافقه الذهبى وفيه نظر فإن عمارًا هذا قال الحافظ ضعيف الحديث (راجع الأحاديث الضعيفة) (م) .

قلت : رواه الحاكم (٣/ ١٣٧ / ٤٦٦٧) عن عبد الله بن أبى اوفى مرفوعًا بلفظ : « سألت ربى عز وجل ان لا أزوج أحدًا من امتى ولا أتزوج إلا كان معى فى الجنة » وصححه الحاكم وأقره الذهبى وضعفه الألبانى فى (ضعيف الجامع)، والضعيفة (٣٠٤٠) (ع) .

وقد كان النبى ﷺ أخبر بأن عمر شهيد ، وبأن عثمان شهيد (٤٣) ، وبأن له

بويع عثمان بالخلافة « بايعنا خيرنا ، ولم نأل » (*) وصفه على بن أبى طالب بعد انقضاء أجله فقال « كان عثمان أوصلنا للرحم ، وكان من الذين آمنوا ، ثم أتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين » . وروى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن أباه قال « لقد عتبوا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عتبوا عليه » . وعبد الله بن عمر كان شاهد عيان لخلافة عثمان من أولها إلى آخرها ، وكان أشد الناس فى التزام السنة المحمدية ، ومع ذلك فإنه يشهد لعثمان بأن كل ما عتبوا به عليه كان يحتمل أن يكون من عمر ـ وهو أبوه ـ ولو كان ذلك من عمر لما عتب أحد به عليه . وقال مبارك بن فضالة مولى زيد بن الخطاب : سمعت عثمان يخطب وهو يقول « يا أيها الناس ما تنقمون علىَّ ، وما من يوم إلا وأنتم تقتسمون فيه خيرًا » . وقال الحسن البصرى : شهدت منادى عثمان ينادى : يا أيها الناس اغدوا على أعطياتكم، فيغدون ويأخذونها وافية . يا أيها الناس اغدوا على أرزاقكم ، فيغدون ويأخذونها وافية . حتى ـ والله ـ سمعته أذناى يقول اغدوا على كسوتكم . فيأخذون الحلل . واغدوا على السمن والعسل. قال الحسن : أرزاق دارة ، وخير كثير ، وذات بين حسن . ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمنًا ، إلا يوده وينصره ويألفه . فلو صبر الأنصار على الأثرة لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق ، ولكنهم لم يصبروا ، وسلوا السيف مع من سل ، فصار عن الكفار مغمدًا ، وعلى المسلمين مسلولا (روى ذلك عنه الحافظ ابن عبد البر) . وقال ابن سيرين صنو الحسن البصرى وزميله وهو أيضا كان معاصرًا لعثمان : « كثر المال فى زمن عثمان حتى بيعت جارية بوزنها ، وفرس بمائة ألف درهم ، ونخلة بألف درهم». وسئل عبد الله بن عمر بن الخطاب عن على وعثمان ، فقال للسائل : « قبحك الله ، تسألنى عن رجلين ـ كلاهما خير منى ـ تريد أن أغض من أحدهما وأرفع من الآخر!؟». (خ) .

(٤٣) عن أنس أن النبى ﷺ صعد أحدًا ، وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم ، فضربه برجله ، فقال : « **اثبت أحد ، فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان** » رواه البخارى (**) ولعل هذا الحديث هو الذى دعا عثمان إلى منع الصحابة من الدفاع عنه ، خشية على أرواح المسلمين ، ما دام المصير محتومًا ! (م) .

(*) لم نأل : لم نقصر ـ والمعنى : أننا بايعنا عثمان وأصبنا فى ذلك (ع) .

(**) رواه البخارى (٣٦٧٥) ، (٣٦٨٦) ، (٣٦٩٩)، والترمذى (٣٦٩٧) وأبو داود (٤٦٥١) وأحمد (١/ ١٨٨) وابن أبى عاصم فى السنة (٢/ ٦٢١) (ع) .

الجنة على بلوى تصيبه (٤٤) .

---

(٤٤) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٧ ـ ج ٤ ص ٢٠٢) حديث أبى موسى الأشعرى قال : إن النبى ﷺ دخل حائطا (أى بستانًا) وأمرنى بحفظ باب الحائط ، فجاء رجل يستأذن ، فقال ﷺ : « **ائذن له وبشره بالجنة** » فإذا أبو بكر . ثم جاء آخر يستأذن ، فقال : « **ائذن له وبشره بالجنة** » فإذا عمر . ثم جاء آخر يستأذن ، فسكت هنيهة ثم قال : « **ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه** » (*) فإذا عثمان بن عفان . (وانظر صحيح البخارى ك ٦٢ ب ٥ ، ٦ ـ ج ٤ ص ١٩٥ ـ ١٩٧ ، ٢٠١ ـ ٢٠٢) . ومثله فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح مسلم (ك ٤٤ ج ٢٨ ، ٢٩ ـ ج ٧ ص ١١٧ ، ١١٩) من حديث أبى موسى الأشعرى أيضًا . وروى ابن ماجه فى الباب ١١ من مقدمة السنن (ج ١ ص ٢٨ طبعة مصر سنة ١٣١٣) عن محمد بن سيرين من أئمة التابعين ، عن كعب بن عجرة البلوى حليف الأنصار وأحد الذين شهدوا عمرة الحديبية مع رسول الله ﷺ ونزلت فيه آية الفدية ١٩٥ من سورة البقرة ، قال كعب بن عجرة : ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها فمر رجل مقنع رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا يومئذ على الهدى » فوثبت فأخذت بضبعى عثمان ، ثم استقبلت رسول الله ﷺ فقلت: هذا ؟ قال : هذا (**). وفى مسند أحمد (١/ ٥٨ الطبعة الأولى ـ رقم ٤٠٧ الطبعة الثانية) عن أبى سهلة مولى عثمان ـ وهو تابعى ثقة ـ أن عثمان قال يوم الدار حين حصر: « إن رسول الله ﷺ عهد إلى عهدًا ، فأنا صابر عليه » (***) والحديث عند الترمذى (٤/ ٣٢٤) من طريق وكيع ، وقال : حديث حسن صحيح . وعند ابن ماجه (١/ ٢٨) حديثان أحدهما لأبى سهلة مولى عثمان والآخر لعائشة . وأوردهما الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣ / ٩٩) عن عائشة. (خ) .

(*) أما حديث (ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه) فقد رواه البخارى (٥/ ١١ ، ١٧) ، ومسلم فى الفضائل (٢٩) ، والترمذى (٣٧١٠) وأحمد (٢/ ١٦٥: [illegible] ٤٠٨)، والبخارى فى الأدب المفرد (١١٥١) والطبرانى (١٢/ ٣٢٧) (ع) .

(**) صحيح : رواه ابن ماجه (١١١) وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجة . والمشكاة (٦٠٦٧) قوله :
فقرّبها : أى قال : إن إتيانها قريب فإن أول فتنة وقعت فى الإسلام فتنة عثمان .
مُقَنَّع : التقنيع هو ستر الراس بالرداء وإلقاء طرفه على الكتف .
بضبْعى : الضبع : العضد وهو ما بين المرفق والكتف (ع) .

(***) صحيح : رواه الترمذى (١١٣) وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى والمشكاة (٦٠٧٠) وظلال الجنة (١١٧٥، ١١٧٦)، وفى رواية (وأنا صائر إليه) بدل (صابر) (ع) .

وهو زوج رقيـة ابنة رسول الله ﷺ وهو أول مهاجـر بعد إبراهيم الخليل ﷺ ، دخل به في باب « أول من . . . (٤٥) » وهو علم كبير جمعه الناس .

ولما صحت إمامته قتل مظلوماً (٤٦) ، ليقضي الله أمرًا كـان مفعولا . ما نصب حربًا (٤٧) ولا جيش عسكرًا (٤٨) ، ولا سعى إلى فتنة (٤٩) ولا دعا إلى بيـعة (٥٠) ،

---

(٤٥) للجلال السيوطي وغيره من العلماء قبله وبعـده كتب ألفوها في تسمية الأشخاص الذين سبقوا غيرهم إلى شيء من الأعمال المحمودة وغـيرها ، فيقولون (مثلا) : كان عثمان أول من هاجر في سبيل الله الهجرة الأولى إلى الحبشة . (خ) (*) .

(٤٦) روى الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١١٥ الطبعة الأولى ـ ج ٨ رقم ٥٩٥٣ الطبعة الثانية) عن عبد الله بن عـمر بن الخطاب قال : ذكر رسول الله ﷺ فتنة ، فـمر رجل ، فقال ﷺ : « **يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلومًا** » قال (عبد الله بن عمر) : فنظرت ، فإذا هو عثـمان بن عفان . قـال الشيخ أحمـد شاكر : والحديث رواه التـرمذي (٤/ ٣٢٣) ونقل شارحه عن الحـافظ ابن حجر أنه قال : إسناده صحيح وروى الحـاكم في المستدرك (٣/ ١٠٢) نحـوه من حديث مـرة بن كعب وصـححه عـلى شرط الشـيخين، ووافـقه الذهبي . (خ) .

(٤٧) أي لقتال أهل القبلة . أما حروبه لإعلاء كلمة الله ونشر دعوة الحق فكانت من أنشط ما عرفه التاريخ الإسلامي . (خ) .

(٤٨) أي للدفاع عن نفسه ، وكبح جماح البغاة عليه . (خ) .

(٤٩) بل كان أشد خلق الله كـرها لها وحرصًا على تضييق دائرتهـا ، حقنًا لدماء المسلمين ، ولو أدى ذلك به إلى أن يكون هو ضحية لغيره . (خ) .

(٥٠) وإنما أتته منقادة على غير تشوف منه إليها ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣/ ١٦٤) : « أن الصحابة اجتمـعوا على عثمان ﷺ لأن ولايته كانت أعظم مصلحة وأقل مفـسدة من ولاية غيره . ثـم قال في الصفحـة التالية : ولا ريب أن السـتة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ـ أي الذين عينهم عـمر ـ لا يوجد أفضل منهم ، وإن كان في كل منهم ما كـرهه فإن غيرهم يكون فيـه من المكروه أعظم، ولهذا لم يتول بعد عثمان خير منه ولا أحسن سيرة . (خ) .

(*) تسـمى هذه الكتب بـ (الأوائل) ومنهـا : الأوائل لأبي هلال العسكـري ـ الأوائل للطبراني الأوائل للإمـام المزي (ع) .

ولا حاربه ولا نازعه من هو من أضرابه ولا أشكاله (٥١)، ولا كان يرجوها لنفسه . ولا خلاف أنه ليس لأحد أن يفعل ذلك فى غير عثمان ، فكيف بعثمان رضي الله عنه .

وقد سموا من قام عليه، فوجدناهم أهل أغراض سوء ، حيل بينهم وبينها (٥٢) ،

---

(٥١) إضراب أمير المؤمنين عثمان وأشكاله هم إخوانه الذين أشركهم أمير المؤمنين عمر فى الشورى ، أما الذين استطاع عبد الله بن سبأ وتلاميذه أن يوقعوهم فى حبائل الفتنة فبينهم وبين مستوى أهل الشورى أبعد مما بين الحضيض والقمة ، بل أبعد مما بين الشر والخير . وإن الشر الذى أقحموه على تاريخ الإسلام بحماقاتهم وقصر أنظارهم لو لم يكن من نتائجه إلا وقوف حركة الجهاد الإسلامى فيما وراء حدود الإسلام سنين طويلة لكفى به إثما وجناية . قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢/١٨٦) : أن خيار المسلمين لم يدخل واحد منهم فى دم عثمان . لا قتل ، ولا أمر بقتله ، وإنما قتله طائفة من المفسدين فى الأرض من أوباش القبائل وأهل الفتن ، وكان على رضي الله عنه يقول: « اللهم العن قتلة عثمان فى البر والبحر والسهل والجبل » (خ) .

(٥٢) الذين شاركوا فى الجناية على الإسلام يوم الدار طوائف على مراتب : فيهم الذين غلب عليهم الغلو فى الدين فأكبروا الهنات وارتكبوا فى إنكارها الموبقات . وفيهم الذين ينزعون إلى عصبية يمنية على شيوخ الصحابة من قريش ، ولم تكن لهم فى الإسلام سابقة . فحسدوا أهل السابقة من قريش على ما أصابوا من مغانم شرعية جزاء جهادهم وفتوحهم ، فأرادوا أن يكون لهم مثلها بلا سابقة ولا جهاد . وفيهم الموتورون من حدود شرعية أقيمت على بعض ذويهم ، فاضطغنوا فى قلوبهم الأحنة والغل لأجلها . وفيهم الحمقى الذين استغل السبأيون ضعف عقولهم فدفعوهم إلى الفتنة والفساد والعقائد الضالة . وفيهم من أثقل كاهله خير عثمان ومعروفه نحوه ، فكفر معروف عثمان عندما طمع منه بما لا يستحقه من الرئاسة والتقدم بسبب نشأته فى أحضانه . وفيهم من أصابهم من عثمان شىء من التعزير لبوادر بدرت منهم تخالف أدب الإسلام ، فأغضبهم التعزير الشرعى من عثمان ، ولو أنهم قد نالهم من عمر أشد منه لرضوا به طائعين ، وفيهم المتعجلون بالرياسة قبل أن يتأهلوا لها اغترارا بما لهم من ذكاء خلاب أو فصاحة لا تغذيها الحكمة ، فثاروا متعجلين بالأمر قبل إبانه ، وبالإجمال ؛ فإن الرحمة التى جبل عليها عثمان وامتلأ بها قلبه أطمعت الكثيرين فيه ، وأرادوا أن يتخذوا من رحمته مطية لأهوائهم، ولعلى إذا اتسع لى الوقت أتفرغ لدراسة نفسيات هؤلاء الخوارج على عثمان، وتنظيم المعلومات الصحيحة التى بقيت لنا عنهم ، ليكون من ذلك درس وعبرة لطلاب التاريخ الإسلامى . (خ) .

فوعظوا وزجروا [٥٣] ، وأقاموا [بحمص] عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد [٥٤] [يؤنبهم ويؤدبهم] ، حتى تابوا [٥٥] فأرسل بهم إلى عثمان فتابوا [٥٦] . وخيرهم فاختاروا التفرق فى البلاد ، فأرسلهم . فلما سار كل إلى ما اختار أنشؤوا الفتنة ، وألبوا الجماعة ، وجاؤوا إليه [٥٧] بجملتهم ، فاطلع عليهم من حائط داره ووعظهم وذكرهم ، وورعهم عن دمه [٥٨] ، وخرج طلحة يبكى ويورع الناس ، وأرسل علىٌّ ولديه [٥٩] ، وقال الناس لهم [٦٠] : إنكم أرسلتم إلينا « أقبلوا إلى من غَيَّر سنة الله [٦١] » فلما جئنا قعد هذا فى بيته يعنون عليًا - وخرجت أنت [٦٢] تفيض عينيك

(٥٣)وقد وعظهم وزجرهم أهل العافية والحكمة والرضا من أعيان أمصارهم وعلمائها فى الكوفة والبصرة والفسطاط ، ثم وعظهم وزجرهم معاوية فى مجالس له معهم عندما سيرهم عثمان إلى الشام كما سيجيء عند كلام المؤلف على سطوهم على المدينة - بحجة الحج - فحولوا حجهم الكاذب إلى البغى على خليفتهم وسفك دمه الحرام فى جوار قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام . (خ) .

(٥٤)وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد واليًا لمعاوية على حمص وما يليها من شمال الشام إلى أطراف جزيرة ابن عمر، وسيأتى الحديث عن أحوالهم عندما قبض عليهم هذا الشبل المخزومى بمثل مخالب أبيه . (خ) .

(٥٥)بل تظاهروا بأنهم تابوا ، « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم » . (خ) .

(٥٦)خيرهم عبد الرحمن بن خالد فى أن يذهبوا إلى عثمان ، فذهب كبيرهم الأشتر النخعى، وله قصة نذكرها فى موضعها من هذا الكتاب . (خ) .

(٥٧)أى إلى أمير المؤمنين عثمان (خ) .

(٥٨)ورعهم عن الشيء : كفهم ومنعهم بالحجة والحق المنير . (خ) .

(٥٩)ليكونا فى حراسة أمير المؤمنين عثمان ، ويدافعا عنه بالسلاح إذا شاء . (خ) .

(٦٠)أى قال البغاة يخاطبون عليًا وطلحة والزبير . (خ) .

(٦١)زعم البغاة أنهم تلقوا من على وطلحة والزبير رسائل يدعونهم بها للثورة على عثمان بدعوى أنه غيرً سنة الله . وسيأتى إنكار علىٍّ وطلحة والزبير إنهم كتبوا بذلك ، والظاهر أن الفريقين صادقان ، وأن منظمى الفتنة من السبأيين زوروا الرسائل التى ذكرها البغاة الثائرون . (خ) .

(٦٢)الخطاب لطلحة بن عبيد الله . (خ) .

والله لا برحنا حتى نريق دمه .

وهذا قهر عظيم ، وافتئات على الصحابة ، وكذب في وجوههم وبهت لهم . ولو أراد عثمان لكان مستنصرًا بالصحابة ، ولنصروه فى لحظة (٦٣) . وإنما جاء القوم مستجيرين متظلمين (٦٤) . فوعظهم ، فاستشاطوا ، فأراد الصحابة [إليهم] (٦٥) ، فأوعز إليهم عثمان لا يقاتل أحد بسببه أبدًا . فاستسلم ، وأسلموه برضاه .

وهى مسألة من الفقه كبيرة : هل يجوز لرجل أن يستسلم ، أم يجب عليه أن يدافع عن نفسه ؟

وإذا استسلم وحرم على أحد أن يدافع عنه بالقتل ، هل يجوز لغيره أن يدافع عنه ولا يلتفت إلى رضاه ؟ اختلف العلماء فيها .

فلم يأت عثمان منكرًا لا فى أول الأمر ، ولا فى آخره ، ولا جاء الصحابة بمنكر وكل ما سمعت من خبر باطل إياك أن تلتفت إليه (٦٦) .

* * *

(٦٣) ولقد راوده فى ذلك مرارًا ، وعرض عليه معاوية أن ينقل دار الخلافة إلى الشام ، أو يمده بجند من الشام لا يعرف له التاريخ إلا التقدم والظفر . (خ) .

(٦٤) أى أن البغاة ظهروا بمظهر المتظلم ، وهو يدعى أمورًا يشكوها ، فكان عثمان يرى لهم حقًا عليه أن يبين لهم وللناس حجته فيما ادعوا ، ووجهة نظره في الأمور التى زعموا أنهم جاؤوا يتظلمون منها (خ) .

(٦٥) كذا فى جميع النسخ « إليهم » (إلا أن الشيخ محب الدين غيره إلى « الهم » دون أن يشير إلى ذلك ، والظاهر أن النص كما هو مثبت والمقصود منه أنهم أرادوا القيام إليهم ومدافعتهم عن عثمان [من تعليق الدكتور عمار طالبي]) .

(٦٦) ومعيار الأخبار فى تاريخ كل أمة الوثوق من مصادرها ، والنظر فى ملائمتها لسجايا الأشخاص المنسوبة إليهم ، وأخبار التاريخ الإسلامى نقلت عن شهود عيان ذكروها لمن جاؤوا بعدهم ، وهؤلاء رووها لمن بعدهم . وقد اندس في هؤلاء الرواة أناس من أصحاب الأغراض زوروا أخبارًا على لسان آخرين وروجوها فى الكتب إما تقربًا لبعض أهل الدنيا ، أو تعصبًا لنزعة يحسبونها من الدين . ومن مزايا التاريخ الإسلامى « =

قاصمة

قالوا [مبعدين] (٦٧)؛ متعلقين برواية كذابين : جاء عثمان فى ولايته بمظالم ومناكير ، منها :

١ ـ ضربه لعمار حتى فتق أمعاءه .

٢ ـ ولابن مسعود حتى كسر أضلاعه ، ومنعه عطاءه .

٣ ـ وابتدع فى جمع القرآن وتأليفه ، وفى حرق المصاحف .

٤ ـ وحمى الحمى .

٥ ـ وأجلى أبا ذر إلى الربذة .

٦ ـ وأخرج من الشام أبا الدرداء .

٧ ـ ورد الحكم بعد أن نفاه رسول الله ﷺ .

٩ ـ ١٢ ـ وولى معاوية ، (وعبد الله بن عامر بن كريز) (٦٨) ، ومروان وولى

= تبعًا لما جري عليه علماء الحديث ـ أنه قد تخصص فريق من العلماء فى نقد الرواية والرواة ، وتمييز الصادقين منهم عن الكذبة ، حتى صار ذلك علمًا محترمًا له قواعد ، وألفت فيه الكتب ، ونظمت للرواة معاجم حافلة بالتراجم ، فيها التنبيه على مبلغ كل راو من الصدق والتثبت والأمانة فى النقل ، وإذا كان لبعضهم نزعات حزبية أو مذهبية قد يجنح معها إلى الهوى ذكروا ذلك فى ترجمته ليكون دارس أخبارهم ملمًا بنواحى القوة والضعف من هذه الأخبار . والذين يتهجمون على الكتابة فى تاريخ الإسلام وتصنيف الكتب فيه قبل أن يستكملوا العدة لذلك ـ ولا سيما فى نقد الرواة ومعرفة ما حققه العلماء في عدالتهم أو تجريحهم ـ يقعون فى أخطاء كان فى إمكانهم أن لا يقعوا فيها لو أنهم استكملوا وسائل العلم بهذه النواحى . (خ) .

(٦٧) مفترين وغيرها الشيخ محب الدين الخطيب إلى متعدين . والصواب (مبعدين) كما فى عدة نسخ .

(٦٨) سقط اسم ابن كريز من الأصل سهوا من الناسخ أو من الطابع فى مطبوعة الجزائر، مع=

الوليد بن عقبة وهو فاسق ليس من أهل الولاية .

١٣ ـ وأعطى مروان خمس إفريقية .

١٤ ـ وكان عمر يضرب بالدرة وضرب هو بالعصا (٦٩) .

١٥ ـ وعلا على درجة رسول الله ﷺ وقد انحط عنها أبو بكر وعمر .

١٦ ـ ولم يحضر بدرًا ، وانهزم يوم أحد ، وغاب عن بيعة الرضوان .

١٧ ـ ولم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان (الذى أعطى السكين إلى أبى لؤلؤة، وحرضه على عمر حتى قتله) .

١٨ ـ وكتب مع عبده على [جهله] كتابا إلى ابن أبى سرح فى قتل من ذكر فيه(٧٠) .

* * *

عاصمة

هذا كله باطل سندًا ومتنا . أما قولهم « جاء عثمان بمظالم ومناكير » فباطل(٧١) .

١ ـ ٢ وأما ضربه [لعمار وابن مسعود ومنعه عطاءه فزور (٧٢) ، وضربه لعمار

= أنه ذكر فى الدفاع الآتى بعد . مطبوعة الجزائر طبعت على أصل سقيم بخط ناسخ غير متمكن . وقد وقع تقديم وتأخير فى ترتيب التهم وأجوبتها ، ويلوح لنا أن مجلد الأصل المخطوط الذى طبعت عليه مطبوعة الجزائر وضع بعض الورق فى غير مواضعه عند التجليد ، فأعدنا ترتيب التهم وأجوبتها على نسق ، ولم نزد على الأصل كلمة ولم ننقص منه كلمة . وبذلك تلافينا الاضطراب الذى كان باديًا للقارئ فى المطبوعة الجزائرية . (خ) .

(٦٩) الدرة عصا صغيرة يحملها السلطان يزع بها . (خ) .

(٧٠) انظر فى الجواب على هذه الاتهامات كتابي (العشرة المبشرون بالجنة) ص ١٢١ ـ ١٢٥ ، وكتاب (عبد الله بن سبأ وأثره فى إحداث الفتنة) (٥ ـ ١١٩) للشيخ سلمان العودة .

(٧١) كما ترى من الأدلة التى سيوردها المؤلف فى نقض هذه التهم واحدة بعد واحدة حتى أتى على آخرها . (خ) .

(٧٢) تقدم فى هامش ص ٧٠) قول عبد الله بن مسعود لما بويع عثمان : « بايعنا خيرنا ولم=

إفك مثله ، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبدًا (٧٣) .

= نأل » ويروى « ولينا أعلانا ذا فوق ولم نأل » . وعند ولاية عثمان كان ابن مسعود واليا لعمر على أموال الكوفة ، وسعد بن أبى وقاص واليًا على صلاتها وحربها ، فاختلف سعد وابن مسعود على قرض استقرضه سعد ـ كما سيأتى ـ فعزل عثمان سعدًا وأبقى ابن مسعود . وإلى هنا لا يوجد بين ابن مسعود وخليفته إلا الصفوة . فلما عزم عثمان على تعميم مصحف واحد فى العالم الإسلامى يجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أنه هو المصحف الكامل الموافق لآخر عرضة عرض بها كتاب الله عز وجل على رسوله ﷺقبل وفاته ، كان ابن مسعود يود لو أن كتابة المصحف نيطت به ، وكان يود أيضا لو يبقى مصحفه الذى كان يكتبه لنفسه فيما مضى . فجاء عمل عثمان على خلاف ما كان يوده ابن مسعود فى الحالتين : أما فى اختيار عثمان زيد بن ثابت لكتابة المصحف الموحد فلأن أبا بكر وعمر اختاراه قبل ذلك لهذا العمل فى خلافة أبى بكر ، بل إن أبا بكر وعمر اختارا زيد بن ثابت فى البداية لأنه هو الذى حفظ العرضة الأخيرة لكتاب الله على الرسول صلوات الله عليه قبيل وفاته ، فكان عثمان على حق فى هذا ، وهو يعلم كما يعلم سائر الصحابة مكانة ابن مسعود وعلمه وصدق إيمانه . ثم كان على حق أيضًا فى غسل المصاحف الأخرى كلها ومنها مصحف ابن مسعود ، لأن توحيد كتابة المصحف على أكمل ما كان فى استطاعة البشر هو من أعظم أعمال عثمان بإجماع الصحابة ، وكان جمهور الصحابة في كل ذلك مع عثمان على ابن مسعود (انظر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ١٩١ ، ١٩٢) . وعلى كل حال فإن عثمان لم يضرب ابن مسعود ولم يمنعه عطاءه ، وبقي يعرف له قدره كما بقى ابن مسعود على طاعته لإمامه الذى بايع له وهو يعتقد أنه خير المسلمين وقت البيعة . (خ) .

(٧٣)روى الطبرى (٥/ ٩٩) عن سعيد بن المسيب أنه كان بين عمار وعباس بن عتبة بن أبى لهب خلاف حمل عثمان على أن يؤدبهما عليه بالضرب قلت وهذا مما يفعله ولى الأمر فى مثل هذه الأحوال قبل عثمان وبعده ، وكم فعل عمر مثل ذلك بأمثال عمار ومن هم خير من عمار بما له من حق الولاية على المسلمين . ولما نظم السبأيون حركة الإشاعات، وصاروا يرسلون الكتب من كل مصر إلى الأمصار الأخرى بالأخبار الكاذبة فأشار الصحابة على عثمان بأن يبعث رجالا ممن يثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليه بحقيقة الحال ، تناسى عثمان ما كان من عمار وأرسله إلى مصر ليكون موضع ثقته فى كشف حالها ، فأبطأ عمار فى مصر ، والتف به السبأيون ليستميلوه إليهم ، فتدارك عثمان =

وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغى أن تشتغل بها لأنها مبنية على

= وعامله فى مصر هذا الأمر وجىء بعمار إلى المدينة مكرمًا . وعاتبه عثمان لما قدم عليه فقال له على ما رواه الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق (٧/ ٤٢٩) : « يا أبا اليقظان قذفت ابن أبى لهب أن قذفك . . وغضبت على أن أخذت لك بحقك وله بحقه . اللهم قد وهبت ما بينى وبين أمتى من مظلمة ، اللهم إنى متقرب إليك بإقامة حدودك فى كل أحد ولا أبالى . اخرج عنى يا عمار » فخرج ، فكان إذا لقى العوام نضح عن نفسه وانتفى من ذلك ، وإذا لقى من يأمنه أقر بذلك وأظهر الندم ، فلامه الناس وهجروه وكرهوه . قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣/ ١٩٢ـ ١٩٣) : وعثمان أفضل من كل من تكلم فيه ، هو أفضل من ابن مسعود ، وعمار ، وأبى ذر ، ومن غيرهم من وجوه كثيرة كما ثبت ذلك بالدلائل ، فليس جعل كلام المفضول قادحا فى الفاضل بأولى من العكس . وكذلك ما نقل من تكلم عمار فى عثمان ، وقول الحسن فيه (أى من عمار) . نقل أن عماراً قال : لقد كفر عثمان كفرة صلعاء . فأنكر الحسن بن على ذلك عليه ، وكذلك على وقال له : يا عمار ، أتكفر برب آمن به عثمان ؟ قال ابن تيمية : وقد تبين من ذلك أن الرجل المؤمن الذى هو ولى لله قد يعتقد كفر الرجل المؤمن الذى هو ولى لله ، ويكون مخطئًا فى هذا الاعتقاد ولا يقدح هذا فى إيمان واحد منهما وولايته . كما ثبت فى الصحيح أن أسيد بن حضير قال لسعد بن عبادة بحضرة النبى ﷺ : إنك منافق تجادل عن المنافقين . وكما قال عمر بن الخطاب لحاطب بن أبى بلتعة دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق . فقال ﷺ : « **إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقدت غفرت لكم** »(*) فعمر أفضل من عمار ، وعثمان أفضل من حاطب بن أبى بلتعة بدرجات كثيرة ، وحجة عمر فيما قال لحاطب أظهر من حجة عمار ، ومع هذا فكلاهما من أهل الجنة ، فكيف لا يكون عثمان وعمار من أهل الجنة وإن قال أحدهما للآخر ما قال . مع أن طائفة من العلماء أنكروا أن يكون عمار قال ذلك . . . ثم قال شيخ الإسلام : وفى الجملة ، فإذا قيل إن عثمان ضرب ابن مسعود أو عماراً فهذا لا يقدح فى أحد منهم . فإنا نشهد أن الثلاثة فى الجنة ، وإنهم من أكابر أولياء الله المتقين . وإن ولى الله قد يصدر عنه ما يستحق عليه العقوبة الشرعية ، فكيف بالتعزير . وقد ضرب عمر بن الخطاب أبى بن كعب بالدرة لما رأى الناس يمشون خلفه وقال : « هذا ذلة للتابع وفتنة =

(*) رواه البخارى (٣٠٠٧)، (٤٢٧٤ ، ٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤) وأصحاب السنن إلا ابن ماجة عن على .

باطل (٧٤)، ولا يبنى حق على باطل . ولا تذهب الزمان فى مماشاة الجهال ، فإن ذلك لا آخر له .

٣ـ وأما جمع القرآن ، فتلك حسنته العظمى ، وخصلته الكبرى ، وإن كان وجدها كاملة ، لكنه أظهرها ورد الناس إليها ، وحسم مادة الخلاف فيها . وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه حسبما بيناه فى كتب القرآن وغيرها (٧٥) .

روى الأئمة بأجمعهم (٧٦) أن زيد بن ثابت قال : أرسل إلىَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة (٧٧)، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : « إن عمر أتانا فقال : إن

= للمتبوع » . فإن كان عثمان أدب هؤلاء ، فإما أن يكون عثمان مصيبًا فى تعزيرهم لاستحقاقهم ذلك ، ويكون ذلك الذى عزروا عليه تابعوا منه وكفر عنهم بالتعزير وغيره من المصائب أو بحسناتهم العظيمة أو بغير ذلك . وإما أن يقال كانوا مظلومين مطلقًا . فالقول في عثمان كالقول فيهم وزيادة ، فإنه أفضل منهم ، وأحق بالمغفرة والرحمة . . إلخ (خ) .

(٧٤) أى على ادعاء الكاذبين أعداء أصحاب رسول الله ﷺ أن أمير المؤمنين عثمان ضرب عماراً حتى فتق أمعاءه ، وضرب ابن مسعود حتى كسر أضلاعه ومنعه عطاءه . (خ) .

(٧٥) قد قمنا بعمل ترجمة جديدة لابن العربى فانظر هذه الكتب مفصلة فيها .

(٧٦) وفى مقدمتهم الإمام أحمد فى مسنده (١/ ١٣ **الطبعة الأولى** ـ رقم ٧٦ الطبعة الثانية ٥/ ١٨٨ ـ ١٨٩ الطبعة الأولى) والإمام البخارى فى صحيحه (كتاب التفسير : ٦٥ السورة ٩ب ٢٠ ج ٥ ص ٢١٠ ـ ٢١١ . وكتاب **فضائل القرآن** ك ٦٦ ب ٣ ، ٤ ج٦ ص ٩٨ ، ٩٩ . وكتاب الأحكام ك ٩٣ب ٣٧ ج ٨ ص ١١٨ ـ ١١٩ . وكتاب التوحيد ك ٩٧ ب ٢٢ ج ٨ ص ١٧٦ ـ ١٧٧) . (خ) .

(٧٧) وذلك لما ارتدت بنو حنيفة برئاسة مسيلمة الكذاب وبتحريض عدو الله الرَّجال بن عنفوة ابن نهشل الحنفى . وكانت قيادة المسلمين لسيف الله خالد بن الوليد ، واستشهد فى هذه الملحمة زيد بن الخطاب أخو عمر ، وكان حفظة القرآن من الصحابة يتواصون بينهم ويقولون : يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم . وتحنط خطيب الأنصار وحامل لوائهم ثابت بن قيس ولبس كفنه وحفر لقدميه فى الأرض إلى أنصاف ساقيه ولم يزل يقاتل وهو ثابت بالراية فى موضعه حتى استشهد . وقال المهاجرون لسالم مولى أبى حذيفة : أتخشى أن نؤتى من قبلك ؟ فأجاب بئس حامل القرآن أنا إذن ! وقاتل حتى=

القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تجمع القرآن ، قلت لعمر : كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر » . قال زيد : قال [لى] أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ . فتتبع القرآن فاجمعه » . فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما [كلفانى وأمرانى] به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : « هذا والله خير » . فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر . فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال (٧٨) ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع [أبى] خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » حتى خاتمة براءة .

فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند

= استشهد . وقال أبو حذيفة : زينوا القرآن بالفعال ، وما زال يقاتل حتى أصيب . وممن استشهد يومئذ حزن بن أبى وهب المخزومى جد سعيد بن المسيب وكان شعار الصحابة يومئذ : وامحمداه ! وصبروا يومئذ صبرًا لم يعهد مثله حتى ألجؤوا المرتدين إلى حديقة الموت فاعتصم فيها مسيلمة ورجاله . فقال البراء بن مالك : يا معشر المسلمين ألقونى عليهم فى داخل الحديقة أفتح لكم بابها . فاحتملوه فوق الجحف ورفعوه بالرماح وألقوه فى الحديقة من فوق سورها ، فما زال يقاتل المرتدين دون بابها حتى فتحه ودخل المسلمون وكان النصر . وممن اقتحم الحديقة أبو دجانة من مجاهدى بدر حتى وصل إلى مسيلمة وعلاه بالسيف فقتله ، وكسرت رجله فى تلك الوقعة ثم نال الشهادة . وفى البداية والنهاية (٦/ ٣٣٤ ـ ٣٤٠) أسماء كثيرين من شهداء هذا اليوم العظيم فى الإسلام ، ومنهم حفظة كتاب الله . (خ) .

(٧٨) العسب (جمع عسيب) أى جريدة النخل ، وهى السعفة التى لا ينبت عليها الخوص . واللخاف (جمع لخفة) وهى حجارة بيض رقاق . كانوا يكتبون عليهما إذا تعذر الورق (خ) .

حفصة بنت عمر . حتى قدم حذيفة بن اليمان على عثمان (٧٩) ، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، [فأفزع] حذيفة اختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ، ثم نردها إليك . فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف (٨٠) .

---

(٧٩) وحديثه عن ذلك فى صحيح البخارى (ك ٦٦ ب ٣ ـ ج ٦ ص ٩٩) عن ابن شهاب الزهرى عن أنس بن مالك . (خ) .

(٨٠) العناية التى بذلها عظيما الإسلام أبو بكر وعمر ، وأتمها أخوهما وصنوهما ذو النورين عثمان فى جمع القرآن وتثبيته وتوحيد رسمه ، كان لهم بها أعظم المنة على المسلمين ، وبها حقق الله وعده فى قوله سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ . وقد تولى الخلافة بعد هؤلاء الشيوخ الثلاثة أمير المؤمنين علىٌّ فأمضى عملهم وأقر مصحف عثمان برسمه وتلاوته ، فى جميع أمصار ولايته . وبذلك انعقد إجماع المسلمين فى الصدور الأول على أن ما قام به أبو بكر وعمر وعثمان هو أعظم حسناتهم . بل نقل بعض علماء الشيعة هذا الإجماع على لسان أمير المؤمنين على بن أبى طالب . جاء فى كتاب تاريخ القرآن لأبى عبد الله الزنجانى (ص ٤٦) أن على بن موسى المعروف بابن طاوس (٥٨٩ ـ ٦٦٤) وهو من علمائهم نقل فى كتابه (سعد السعود) عن الشهرستانى فى مقدمة تفسيره عن سويد بن علقمة قال : سمعت علىَّ بن أبى طالب عليه السلام يقول : « أيها الناس ، الله ، الله ، إياكم والغلو فى أمر عثمان ، وقولكم حراق المصاحف ، فوالله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ ، جمعنا وقال : ما تقولون فى هذه القراءة التى اختلف الناس فيها ، يلقى الرجل الرجل فيقول قراءتى خير من قراءتك ، وهذا يجر إلى الكفر ؟ فقلنا : ما الرأى ؟ قال : أريد أن أجمع الناس على مصحف واحد ، فإنكم إن اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافا . فقلنا: نعم ما رأيت » . ومما لا ريب فيه أن البغاة أنفسهم كانوا فى خلافة علىٍّ رضي الله عنه يقرؤون فى مصاحف عثمان التى أجمع عليها الصحابة وعلىٌّ فيهم. لكن نجم لهم أذناب فى العصور التالية فضحوا أنفسهم بسخفهم وكفرهم ، كشيطان الطاق محمد بن جعفر الرافضى فيما رواه الإمام ابن حزم فى (الفصل ٤ : ١٨١ عن الجاحظ قال : أخبرنى=

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم » ففعلوا . حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة ومصحف أن يحرق .

قال ابن شهاب (٨١) : وأخبرنى خارجة بن زيد بن ثابت أنه سمع زيد بن ثابت قال : « فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة الأنصارى « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فألحقناها فى سورتها فى المصحف » .

= أبو إسحاق إبراهيم النظام وبشر بن خالد أنهما قالا لمحمد بن جعفر الرافضي المعروف بشيطان الطاق ويحك أما استحييت من الله أن تقول فى كتابك فى الإمامة: أن الله تعالى لم يقل قط فى القرآن « ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » ؟ قالا : فضحك والله شيطان الطاق ضحكا طويلا حتى كأنا نحن الذين أذنبنا . وشيطان الطاق هذا أكبر دعاة الشيعة في زمن الإمامين زيد، وابن أخيه جعفر الصادق وهو الذى ابتدع أكذوبة أن الإمامة معهود بها إلى أشخاص بأعيانهم ، ولم يكن أحد يقول بذلك قبل شيطان الطاق هذا . وأنكرها عليه الإمام زيد فى مجلس جعفر .

ودعوى الرافضة بتبديل القرآن ، مع تصريح عليٍّ بإجماع الصحابة على ما قام به عثمان ، صارت مادة دسمة لدعاة النصارى يحتجون بها ، فقال لهم الإمام ابن حزم فى الفصل (٢ : ٧٨) : « إن الروافض ليسوا من المسلمين . . . وهى طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى فى الكذب والكفر » . قلت : وآخر من افتضح منهم بهذا الأمر وفضح به الشيعة جميعا حسين بن محمد تقى النورى الطبرسى بكتابه الذى اقترفه فى المشهد المنسوب لأمير المؤمنين على فى النجف سنة ١٢٩٢ وطبع فى إيران سنة ١٢٩٨ وعندى نسخة منه . وإن من طبيعة التحزب والتعصب والتشيع أن يذهب بعقول أصحابه وأخلاقهم ، ثم يذهب بحياتهم ودينهم ، كما برهن على ذلك علماء علم النفس الاجتماعى وفى مقدمتهم الدكتور غوستاف لوبون . (خ) .

(٨١) فيما رواه عنه الإمام البخارى فى صحيحه (ك ٥٦ ب ١٢ ج ٣ ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، وك ٦٤ ب ١٧ ، ج ٥ ص ٣١ ، ك ٦٥ السورة ٩ ب ٢٠ والسورة ٣٣ ب ٣ ، وك ٦٦ وب ٣ ، ٤ ، وك ٩٣ ب ٩٧ ، وك ٩٧ ب ٢٢) (خ) .

وأما ما روى أنه حرقها أو خرقها ـ بالحاء المهملة أو الخاء المعجمة ، وكلاهما جائز ـ إذا كان فى بقائها فساد ، أو كان فيها ما ليس من القرآن أو ما نسخ منه ، أو على غير نظمه ، وقد(٨٢) سلم فى ذلك الصحابة كلهم(٨٣) إلا أنه روى عن ابن مسعود أنه خطب بالكوفة فقال : « أما بعد فإن الله قال:﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران : ١٦١] وإنى غال مصحفى ، فمن استطاع منكم أن يغل مصحفه فليفعل » . وأراد ابن مسعود أن يؤخذ بمصحفه ، وأن يثبت ما يعلم فيه . فلما لم يفعل ذلك له قال ما قال ، فأكرهه عثمان على رفع مصحفه ، ومحا رسومه فلم تثبت له قراءة أبدًا ، ونصر الله عثمان والحق بمحوها من الأرض »(٨٤) .

---

(٨٢) فى جميع النسخ [وقد] ، فأصلحها الشيخ محب الخطيب (فقد) .

(٨٣) ولقد حاول بعض الناس أن يلوموا عثمان رضي الله عنه على أمره بإحراق المصاحف، فقال لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لو لم يصنعه عثمان لصنعته أنا ، فجزى الله عثمان عن الأمة خير الجزاء ، فقد أحسن وبر فيما صنع ، وكان له فضل فى رد الناس إلى قراءة واحدة كفضل أبى بكر فى جمع القرآن (راجع الإتقان للسيوطى) .(م).

(٨٤) عبد الله بن مسعود من كبار علماء الصحابة ومن أجودهم قراءة لكتاب الله . وقد أثنى رسول الله ﷺ مرة على حسن تلاوة ابن مسعود للقرآن ، فتسارع أبو بكر وعمر ليوصلا إليه البشرى بهذا الثناء النبوى . (ا نظر مسند أحمد ١ : ٢٥ ـ ٢٦ الطبعة الأولى ـ رقم ١٧٥ الطبعة الثانية) . إلا أن ابن مسعود كان يكتب ما يوحى من القرآن فى مصحفه كلما بلغه نزول آيات منه ، فهو يختلف فى ترتيب هذه الآيات عما امتازت به مصاحف عثمان من الترتيب بحسب العرض الأخير على رسول الله ﷺ بقدر ما أدى إليه اجتهاد الصحابة المؤيد بإجماعهم . ويحتمل أن يكون ابن مسعود فاته فى مصحفه بعض ما استقصاه زيد بن ثابت وزملاؤه من الآيات التى كانت عند آخرين من قراء الصحابة . زد على ذلك أن ابن مسعود كان تغلب عليه لهجة قومه من هذيل ، والنبى ﷺ رخص لمثل ابن مسعود أن يقرؤوا بلهجاتهم ، ولكن ليس لابن مسعود أن يحمل الأمة فى زمنه والأزمان بعده على لهجته الخاصة ، فكان من الخير توحيد(*) الأمة على قراءة كتاب

(*) قال ابن كثير فى « فضائل القرآن » : « ادعى الطحاوى والباقلانى وابن عبد البر ان قراءة القرآن على سبع لغات كان رخصة فى اول الأمر ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة !!» .(م) .
قلت : انظر كتابى (الأحرف السبعة والقراءات السبع) لتقف على حقيقة ذلك (ع) .

٤ ـ وأما [أمر] الحِمَى ، فكان قديمًا (٨٥)، فيقال: إن عثمان زاد فيه لما زادت الراعية . وإذا جاز أصله للحاجة إليه جازت الزيادة لزيادة الحاجة .

ربها باللهجة المضرية التى كان عليها رسول الله ﷺ .

(٨٥) كان الشريف فى الجاهلية إذا نزل أرضًا فى حيه استعوى كلبًا ، فحمى لخيله وإبله وسوائمه مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره . فلما جاء الإسلام نهى النبى ﷺ « لا حِمَى إلا الله ورسوله » (**) رواه البخارى من حديث الصعب بن جثامة في كتاب المساقاة (ك ٤٢ ب ١١) وكتاب الجهاد (ك ٥٦ب ١٤٦) من صحيحه . ورواه الإمام أحمد فى مسنده (٤/ ٧١ ، ٧٣ الطبعة الأولى) من حديث الصعب بن جثامة أيضًا . وقد حمى رسول الله ﷺ مكانًا يسمى (النقيع) وهو « نقيع الخضمات » كما فى مسند الإمام أحمد (٢/ ٩١ ، ١٥٥ ، ١٥٧ الطبعة الأولى ـ رقم ٥٦٥٥ ، ٦٤٣٨ ، ٦٤٦٤ الطبعة الثانية) من حديث أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ حمى النقيع للخيل . قال حماد بن خالد راوى هذا الحديث عن عبد الله بن عمر العمرى : يا أبا عبد الرحمن خيله ؟ قال : خيل المسلمين (أى المرصودة للجهاد ، أو ما يملكه بيت المال) . والنقيع هذا فى المدينة على عشرين فرسخًا منها ومساحته ميل فى ثمانية أميال كما فى موطأ مالك برواية ابن وهب . ومعلوم أن الحال استمر فى خلافة أبى بكر على ما كان عليه فى زمن النبى ﷺ ، لأن أبا بكر لم يخرج عن شىء كان عليه الحال فى زمن النبى ﷺ ، لا سيما وأن حاجة الجهاد إلى الخيل والإبل زادت عن قبل . وفى زمن عمر اتسع الحمى فشمل (سرف) و (الربذة) ، وكان لعمر عامل على الحمى هو مولى له يدعى هنيًا ، وفى كتاب الجهاد من صحيح البخارى (ك ٥٦ ب ١٨٠) من حديث زيد بن أسلم عن أبيه نص وصية أمير المؤمنين عمر لعامله هذا على الحمى بأن يمنع نعم الأثرياء كعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ، وأن يتسامح مع رب الغنيمة ورب الصريمة لئلا تهلك ماشيتهما . وكما اتسع عمر فى الحمى عما كان عليه فى زمن النبى ﷺ وأبى بكر لزيادة سوائم بيت المال فى زمنه ، اتسع عثمان بعد ذلك لاتساع الدولة وازدياد الفتوح . فالذى أجازه النبى ﷺ لسوائم بيت المال ، ومضى على مثله أبو بكر وعمر ، يجوز مثله لبيت المال فى زمن عثمان ، ويكون الاعتراض عليه اعتراضًا على أمر داخل فى التشريع الإسلامي. ولما أجاب عثمان على مسألة الحمى عندما دافع عن نفسه على ملأ من الصحابة أعلن أن =

(**) رواه البخارى برقم (٢٣٧٠) و (٣١٣) .

٥ ـ وأما نفيه (*) أبا ذر إلى الربذة فلم يفعل (٨٦) ، كان أبو ذر زاهدا ، وكان يقرِّع عمال عثمان، ويتلو عليهم : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [التوبة] ، ويراهم يتسعون فى المراكب والملابس حين وجدوا ، فينكر ذلك عليهم ، ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم ،وهو غير لازم . قال ابن عمر وغيره من الصحابة [وهو الحق] (**) : إن ما أديت زكاته فليس بكنز (٨٧) . فوقع بين أبى ذر ومعاوية كلام بالشام (٨٨) ، فخرج إلى المدينة ، فاجتمع إليه الناس ، فجعل يسلك تلك الطرق ، فقال له عثمان : « لو اعتزلت » . معناه : إنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس . فإن للخلطة شروطًا وللعزلة

= الذين يلون له الحمى اقتصروا فيه على صدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين ما يليها وبين أحد تنازع ، وأنهم ما منعوا ولا نحوا منها أحداً . وذكر عن نفسه أنه قبل أن يلى الخلافة كان أكثر العرب بعيراً وشاء، ثم أمسى وليس له غير بعيرين لحجه وسأل من يعرف ذلك من الصحابة : أكذلك ؟ قالوا : اللهم نعم . (خ) .

(٨٦) وإنما اختار أبو ذر أن يعتزل فى الربذة فوافقه عثمان على ذلك كما سيأتى فى ص ٨٨ ، وأكرمه وجهزه بما فيه راحته . (خ) .

(٨٧) انظر البيان الفقهى والتفصيل الشرعى لهذه المسألة فى منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣:١٩٨ ـ ١٩٩) (خ) .

(٨٨) نقل الطبرى (٥ : ٦٦) وأكثر المصادر الإسلامية أنه لما ورد ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) الشام لقى أبا ذر فقال : يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية يقول « المال مال الله ، ألا أن كل شىء لله » كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ، ويمحو اسم المسلمين . فأتاه أبو ذر فقال : ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين « مال الله » ؟ قال معاوية : يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره ؟ قال أبو ذر : فلا تقله . قال معاوية : فإنى لا أقول إنه ليس لله ، ولكن سأقول « مال المسلمين » . وأتى ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) أبا الدرداء ، فقال له (أبو الدرداء) : من أنت أظنك والله يهوديًا. فأتى (ابن سبأ) عبد الله بن الصامت ، فتعلق به (ابن الصامت) فأتى به معاوية فقال: هذا والله الذى بعث عليك أبا ذر . (خ) .

(*) وفى نسخة « د » : بعثه .

(**) زيادة من نسخة « د » .

مثلها . ومن كان على طريقة أبى ذر فحاله يقتضى أن ينفرد بنفسه ، أو يخالط ويسلم لكل أحد حاله مما ليس بحرام فى الشريعة . فخرج إلى الربذة زاهدًا فاضلا ، وترك جلة فضلاء، وكل على خير وبركة وفضل ، وحال أبى ذر أفضل ، ولا تمكن لجميع الخلق، فلو كانوا عليها لهلكوا (٨٩) . فسبحان مرتب المنازل .

ومن العجب أن يؤخذ عليه فى أمر فعله عمر ، فقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سجن ابن مسعود فى نفر من الصحابة سنة بالمدينة حتى استشهد فأطلقهم عثمان ، وكان سجنهم لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله ﷺ (٩٠) .

---

(٨٩) الذى تحصل عندى من تتبع نصوص الشريعة فى أمر المال ، ومراقبتى لتطبيق هذه النصوص فى سيرة السلف وعملهم بها ، أن المسلم له فى نفسه وذويه من المال الذى يملكه ما يكفيه ويكفيهم بالمعروف كأمثاله وأمثالهم من أهل العفة والقناعة والدين ، وما زاد عن ذلك فعليه أولا أن يؤدى زكاته الشرعية مباشرة بحسب اجتهاده إن لم يكن أداها للحكومة الإسلامية العاملة بأحكام الشرع . وبعد أداء زكاته يكون صاحب المال فى امتحان من الله كيف يحسن التصرف فيه بما يرضى الله ويزيد المسلمين قوة وسعادة وعزًا، فإن كان تاجرًا فمن طريق التجارة ، أو مزارعًا فمن طريق الزراعة ، أو صاحب مصنع فمن طريق الصناعة . والإسلام فى دور قيامه استفاد من ثروة أغنياء الصحابة عونًا ويسرًا وقوة . وتجارة التاجر المسلم إذا أغنت المسلمين عن متاجر أعدائهم تعتبر قوة لهم بقدر ما يصدق صاحبها فى هذه النية ، وكذلك مصنع الصانع المسلم ، وزراعة الزارع المسلم . والنية فى هذه الأمور أمرها عظيم ، وميزانها العمل عندما تمس الحاجة إليه . وبالجملة فإن للمسلم أن يكون غنيًا بلا تحديد ، بشرط أن يكون ذلك من حله، وأن يكتفى منه بما يكفيه بالمعروف ، محاولا دائمًا أن يحرر نفسه من العبودية والانقياد للكماليات فضلا عن توافه الحضارة وسفاسفها . وبعد أن يؤدى زكاة ما يملك يعتبر مازاد عن حاجته كالأمانة لله تحت يده ، فيتصرف فيه بما يزيد المسلمين ثروة وقوة ويسرًا وعزًا وسعادة . أما طريقة أبى ذر فى أن لا يبيت المسلم وعنده مال فليست الآن من مصلحة المسلمين وطريقة أغنياء المسلمين الآن ـ فى أن يعيشوا لأنفسهم ومتعهم غير مبالين بعزة الإسلام وقوة دولته وحاجة أهله ـ فليست من الإسلام ، والإسلام لا يعرف الذين لا يعرفونه . (خ) .

(٩٠) فى كتاب الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم (٢ : ١٣٩) خبر مرسل رواه شعبة عن=

ووقع بين أبى ذر ومعاوية كلام ، وكان أبو ذر يطلق من الكلام ما لم يكن يقوله فى زمان عمر ، فأعلم معاوية بذلك عثمان . وخشى من العامة أن تثور منهم فتنة ، فإن أبا ذر كان يحملهم على التزهد وأمور لا يحتملها الناس كلهم، وإنما هى مخصوصة ببعضهم ، فكتب إليه عثمان ـ كما قدمنا ـ أن يقدم المدينة ، فلما قدم اجتمع إليه الناس ، فقال لعثمان أريد الربذة[(٩١)] . فقال له : افعل . فاعتزل . ولم يكن يصلح له إلا ذلك لطريقته[(٩٢)] .

= سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه (إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف) قال : قال عمر لابن مسعود ولأبى الدرداء ولأبى ذر « ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ » . قال : وأحسبه لم يدعهم أن يخرجوا من المدينة حتى مات . وقد نبه ابن حزم على أن هذا الخبر مرسل ولا يجوز الاحتجاج به ، وعلق عليه الشيخ أحمد شاكر بأن البيهقى وافق ابن حزم على أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (المتوفى سنة ٦٦ أو ٦٥ عن ٧٥ سنة) لم يسمع من عمر[(*)] . ولست أدرى هل اعتمد ابن العربى فى هذه الفقرة على هذا الخبر المرسل أم على خبر آخر لم نطلع عليه » (خ) .

(٩١) ولقد ذهب ضحية فرية نفى عثمان أبا ذر الشيخ محمد أبو زهرة فراح يقول فى كتابه «المذاهب الإسلامية » (١/ ٤٢) : « فشكا « معاوية » « أبا ذر » إلى « عثمان » فأحضره إلى المدينة ،ثم نفاه إلى الربذة » هذا خلاف الحقيقة وقد ثبت لنا ذلك فيما سبق . (م).

(٩٢) ذكر القاضى أبو الوليد بن خلدون فى العبر (بقية ٢ : ١٣٩) أن أبا ذر استأذن عثمان فى الخروج من المدينة وقال : « إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا[(**)] فإن له ، ونزل الربذة وبنى بها مسجدًا ، وأقطعه عثمان صرمة من الإبل ، وأعطاه مملوكين ، وأجرى عليه رزقًا . وكان يتعاهد المدينة . وبين المدينة والربذة ثلاثة=

(*) قلت : وقد ذكر الشيخ احمد شاكر ايضا فقال : (واثبت سماعه من عمر يعقوب بن شيبة والواقدى والطبرى وغيرهم والظاهر أنه لم يسمع منه فإنه مات سنة ٩٦ أو ٩٥وعمره (٧٥ سنة) وأما سقية فإنه قد سمع من سعد) أو قلت : وأما ابن حزم فإنه شنع على هذا الخبر جدًا وشنع على القائلين به . وقال : (هذا مرسل ومشكوك فيه من شعبة فلا يصح ولا يجوز الاحتجاج به . ثم هو فى نفسه ظاهر الكذب والتوليد لأنه لا يخلو عمر ان يكون اتهم الصحابة وفى هذا ما فيه أو يكون نهى عن نفس الحديث وعن تبليغ مسند سنن رسول الله إلى المسلمين وإلزامهم كتمانها وجحدها .. فهذا خروج عن الإسلام ... إلخ كلامه (ع) .

(**) إن هذا الكلام مبالغ فيه ، وقد جاء الإسلام ليطور البيئات المنحرفة ويصلحها ، لا ليتطور معها كالحرباء .. وإلا كان لا معنى لنزوله !! وهذه حقيقة يجهلها الكثيرون (م) .

٦ ـ ووقع بين أبى الدرداء ومعاوية كلام . وكان أبو الدرداء زاهدًا فاضلا قاضيًا لهم (٩٣) فلما اشتد فى الحق،أخرج طريقة عمر فى قوم لم يحتملوها عزلوه (٩٤) ، فخرج إلى المدينة .

وهذه كلها مصالح لا تقدح فى الدين ، ولا تؤثر فى منزلة أحد من المسلمين بحال . وأبو الدرداء وأبو ذر [براءة] (*) من عاب ، وعثمان برىء أعظم براءة وأكثر نزاهة ، فمن روى أنه نفى وروى سببًا فهو كله باطل .

٧ ـ وأما رد الحكم فلم يصح (٩٥) .

وقال علماؤنا فى جوابه : قد كان أذن له فيه رسول الله ﷺ . وقال (أى

= أميال ، قال ياقوت : وكانت من أحسن منزل فى طريق مكة .

(٩٣) أى فى دمشق (خ) .

(٩٤) بل إن معاوية نفسه حاول السير على طريقة عمر ، كما نقل ذلك الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٨ / ١٣١) عن محمد بن سعد قال حدثنا عارم، حدثنا حماد بن يزيد، عن معمر ، عن الزهرى « أن معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه . ثم إنه بعد عن ذلك » . وقد يظن من لا نظر له فى حياة الشعوب وسياستها أن الحاكم يستطيع أن يكون كما يريد أن يكون حيثما يكون . وهذا خطأ ، فللبيئة من التأثير فى الحاكم وفى نظام الحكم أكثر مما للحاكم ونظام الحكم (**) من التأثير على البيئة ، وهذا من معانى قول الله عز وجل : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (خ) .

(٩٥) أى لم يصح زعم البغاة على عثمان أن عثمان خالف فى ذلك ما يقتضيه الشرع (خ).

(*) كذا فى جميع النسخ وقد صححها الشيخ محب الدين هكذا [بريئان] ولم يشر إلى ذلك (صفحة (٧٧) . (م) .

(**) قال أبو ذر (١) : « والله ما سير عثمان أبا ذر ! ولكن رسول الله قال : (وذكرت الحديث السابق) فلما بلغ البنيان سلعًا خرج أبو ذر إلى الشام . صححه الحاكم ووافقه الذهبى وبهذا الحديث تنهار الدعوى السابقة إلى الحضيض !! (م) .

(١) قلت : قوله (قال أبو ذر) خطأ صوابه قالت أم ذر : والله ما سير عثمان أبا ذر ولكن رسول الله ﷺ قال: (إذا بلغ البنيان سلعا فاخرج منها) قال أبو ذر : (فلما بلغ البنيان سلعًا وجاوز خرج أبو ذر إلى الشام) رواه الحاكم (٣/ ٣٤٤) برقم (٥٤٦٨) وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبى . (ع) .

عثمان) (٩٦) لأبي بكر وعمر ، فقالا له : إن كان معك شهيد رددناه . فلما ولى قضى بعلمه فى رده . وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله ﷺ ولو كان أباه ولا لينقض حكمه (٩٧) .

---

(٩٦) كتبها الشيخ محب الدين وليست فى أى من النسخ ولكنه أراد توضيح السياق . (م).

(٩٧) قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣:١٩٦) : « وقد طعن كثير من أهل العلم فى نفيه (أى فى نفى النبى ﷺ الحكم) وقالوا ذهب باختياره . وقصة نفى الحكم ليست فى الصحاح ، ولا لها إسناد يعرف به أمرها » ثم قال « لم تكن الطلقاء تسكن بالمدينة ، فإن كان طرده فإنما طرده من مكة لا من المدينة ، ولو طرده من المدينة لكان يرسله إلى مكة . وقد طعن كثير من أهل العلم فى نفيه كما تقدم وقالوا : هو ذهب باختياره . . وإذا كان النبى ﷺ قد عزر رجلا بالنفى لم يلزم أن يبقى منفيًا طول الزمان فإن هذا لا يعرف فى شيء من الذنوب ، ولم تأت الشريعة بذنب يبقى صاحبه منفيًا دائمًا . . . وقد كان عثمان شفع فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح فقبل ﷺ شفاعته فيه وبايعه ، فكيف لا يقبل شفاعته فى الحكم ، وقد رووا أن عثمان سأله أن يرده فأذن له فى ذلك . ونحن نعلم أن ذنبه دون ذنب عبد الله بن سعد بن أبى سرح . وقصة عبد الله ثابتة معروفة بالإسناد ، وأما قصة الحكم فإنما ذكرت مرسلة ، وقد ذكرها المؤرخون الذين يكثر الكذب فيما يروونه ، فلم يكن هناك نقل ثابت يوجب القدح فيمن هو دون عثمان . والمعلوم من فضائل عثمان ومحبة النبى ﷺ وثنائه عليه وتخصيصه بابنتيه وشهادته له بالجنة وإرساله إلى مكة ومبايعته له عنه وتقديم الصحابة له فى الخلافة وشهادة عمر وغيره له بأن رسول الله ﷺ مات وهو عنه راض وأمثال ذلك مما يوجب العلم القطعى بأنه من أكابر أولياء الله المتقين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه . فلا يدفع هذا بنقل لا يثبت إسناده ولا يعرف كيف وقع ويجعل لعثمان ذنب بأمره لا تعرف حقيقته . . . إلخ» وانظر أيضًا ٣:٢٣٥ ، ٢٣٦ من منهاج السنة . ونقل الإمام أبو محمد ابن حزم فى كتاب (الإمامة والمفاضلة) المدرج فى الجزء الرابع من كتابه « الفصل» ص ١٥٤ قول من احتج لعثمان على من أنكروا ذلك عليه : « ونفى رسول الله ﷺ لم يكن حدًا واجبا ، ولا شريعة على التأبيد ، وإنما كان عقوبة على ذنب استحق به النفى ، والتوبة مبسوطة ، فإذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام، وصارت الأرض كلها مباحة » . ونقل مجتهد الزيدية السيد محمد بن إبراهيم الوزير اليمنى (المتوفى سنة ٨٤٠) فى كتابه الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى

٨ ـ أما ترك القصر: فاجتهاد، وإذ سمع أن الناس افتتنوا بالقصر، وفعلوا ذلك فى منازلهم، فرأى أن السنة ربما أدت إلى إسقاط الفريضة، فتركها [مصلحة] (٩٨) خوف الذريعة (٩٩).

القاسم (١ :١٤١ ، ١٤٢) قول الحاكم المحسن بن كرامة المعتزلى المتشيع فى كتابه سرح العيون إن رسول الله ﷺ أذن فى ذلك لعثمان .

قال ابن الوزير : إن المعتزلة والشيعة من الزيدية يلزمهم قبول هذا الحديث وترك الاعتراض على عثمان بذلك ، لأن راوى الحديث عندهم من المشاهير بالثقة والعلم وصحة العقيدة. ثم بسط ابن الوزير الكلام على هذا الموضوع بحجج واستدلالات استغرقت ثلاث صفحات دفاعًا عن أمير المؤمنين عثمان فى رده الحكم ، وهذه الحجج من أحد أئمة الزيدية ومجتهدين ـ بعد روايته ذلك الحديث عن الإمام المعتزلى المتشيع ـ لها دلالتها الخاصة ، بعد الذى سمعته من إمامى أهل السنة شيخ الإسلام ابن تيمية والقاضى ابن العربى ، ومن إمام أهل الظاهر أبى محمد بن حزم (خ) .

(٩٨) ب ، ج ـ ، ز بدون هذه الكلمة ولكنها وجدت فى « د » (م) .

(٩٩) كان ذلك فى منى فى موسم الحج سنة ٢٩ . وقد عاتب عبد الرحمن بن عوف عثمان فى إتمامه الصلاة وهم فى منى ، فاعتذر له عثمان بأن بعض من حج من أهل اليمن وجفاة الناس قالوا فى العام الماضى : أن الصلاة للمقيم ركعتان ، وهذا إمامكم عثمان يصلى ركعتين . ثم قال عثمان لعبد الرحمن بن عوف : وقد اتخذت بمكة أهلا (أى أنه صار فى حكم المقيم ، لا المسافر) ، فرأيت أن أصلى أربعًا لخوف ما أخاف على الناس. ثم خرج عبد الرحمن بن عوف من عند عثمان فلقى عبد الله بن مسعود وخاطبه فى ذلك فقال ابن مسعود : « الخلاف شر (*) قد بلغنى أنه صلى أربعًا فصليت

(*) قد يعترض معترض ، فيقول : كيف يقول ابن مسعود : « الاختلاف شر » ، والحديث النبوى يقول : «اختلاف أمتى رحمة » (١) وللإجابة عن هذا السؤال نقول: إن هذا الحديث لا أصل له . ولقد جهد المحدثون فى أن يقفوا له على سند فلم يوفقوا ، حتى قال السيوطى فى « الجامع الصغير » : « ولعله خرج فى بعض كتب الحفاظ التى لم تصل إلينا » !

وهذا بعيد عندى إذ يلزم منه أنه ضاع على الأمة بعض أحاديثه ﷺ ، وهذا مما لا يليق بمسلم اعتقاده=

---

(١) حديث موضوع كما قال شيخنا العلامة الألبانى فى (ضعيف الجامع) (٢٣٠) والضعيفة (٥٧) وقد عزاه السيوطى فى (الجامع الصغير) د/ .نصر المقدسى فى (الحجة) والبيهقى فى الرسالة الأشعرية بغير سند . وأورده الحليمى والقاضى حسين وإمام الحرمين وغيرهم (ع) .

. . . .

بأصحابى أربعًا » . فقال عبد الرحمن بن عوف : « قد بلغنى أنه صلى أربعًا فصليت بأصحابى ركعتين . وأما الآن فسوف يكون الذى تقول يعنى : نصلى معه أربعًا » (الطبرى ٥/٥٦ ، ٥٧) .

= ونقل المناوى عن السبكى أنه قال :

« وليس بمعروف عند المحدثين ، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع » ، وأقره الشيخ زكريا الأنصارى فى تعليقه على تفسير البيضاوى (ق ٩٢/ ٢) .

ثم إن معنى هذا الحديث مستنكر عند المحققين من العلماء ، فقال العلامة ابن حزم فى « الإحكام فى أصول الأحكام » (٥/ ٦٤) بعد أن أشار إلى أنه ليس بحديث :

« وهذا من أفسد قول يكون ، لأنه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطًا ، وهذا مالا يقوله مسلم ، لأنه ليس إلا اتفاق أو اختلاف ، وليس إلا رحمة أو سخط » . وقال فى مكان آخر « باطل مكذوب» .

وأن من آثار هذا الحديث السيئة أن كثيرًا من المسلمين يقرون بسببه الاختلاف الواقع بين المذاهب الأربعة ولا يحاولون أبدًا الرجوع بها إلى الكتاب أن مذهب هؤلاء الأئمة ﷺ بل إن أولئك لا يرون أن مذاهب هؤلاء الأئمة ﷺ إنما هى كشرائع متعددة ! (كما صرح المناوى في « فيض القدير » (١/ ٢٠٩) ، يقولون هذا مع علمهم بما بينها من اختلاف وتعارض لا يمكن التوفيق بينها إلا برد بعضها المخالف للدليل وقبول البعض الآخر الموافق له ، وهذا مالا يفعلون ! وبذلك فقد نسبوا إلى الشريعة التناقض ! وهو وحده دليل على أنه ليس من الله عز وجل لو كانوا يتأملون قوله تعالى فى حق القرآن : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا) فالآية صريحة فى أن الاختلاف ليس من الله ، فكيف يصح إذن جعله شريعة متبعة ، ورحمة منزلة ؟

وبسبب هذا الحديث ونحوه ظل أكثر المسلمين بعد الأئمة الأربعة إلى اليوم مختلفين فى كثير من المسائل الاعتقادية والعملية ؛ ولو أنهم كانوا يرون أن الخلاف شر كما قال ابن مسعود وغيره ﷺ ودلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة لسعوا إلى الاتفاق ولأمكنهم ذلك فى أكثر هذه المسائل بما نصب الله تعالى عليها من الأدلة التى يعرف بها الصواب من الخطأ ، والحق من الباطل . ثم عذر بعضهم بعضًا فيما قد يختلفون فيه ، ولكن لماذا هذا السعى وهم يرون أن الاختلاف رحمة ، وأن المذاهب على اختلافها كشرائع متعددة !!

وإن شئت أن ترى أثر هذا الاختلاف والإصرار عليه ، فانظر إلى كثير من المساجد ، تجد فيها أربعة محاريب يصلى فيها أربعة من الأئمة ! ولكل منهم جماعة ينتظرون الصلاة معه كأنهم أصحاب أديان مختلفة! وكيف لا وعالمهم يقول : إن مذاهبهم كشرائع متعددة ! يفعلون ذلك وهم يعلمون قوله ﷺ: « **إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة** » رواه مسلم وغيره ولكنهم يستجيزون مخالفة هذا الحديث وغيره محافظة منهم على المذهب كأن المذهب محترم عندهم ومحفوظ أكثر من أحاديثه عليه الصلاة والسلام ! =

مع أن جماعة من العلماء قالوا : إن المسافر مخير بين القصر والإتمام (١٠٠) ؛

(١٠٠) ما أحسن كلام القاضي أبى بكر بأن ترك عثمان رضي الله عنه للقصر فى الصلاة فى السفر «فاجتهاد» وفى الحديث :« إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ،وإن أخطأ فله أجر»(١) وعثمان فى هذه المرة قد أخطأ ، نقول ذلك بصراحة ، فإن الحق أحق أن يتبع، وهو مع ذلك مأجور على اجتهاده .

والدليل على خطئه من قول ابن عمر رضي الله عنهما : « صحبت النبى ﷺ وكان لا يزيد فى السفر على ركعتين ، وأبا بكر وعمر وعثمان كذلك »(٢) رواه البخارى ومسلم=

= وجملة القول أن الاختلاف مذموم فى الشريعة ، فالواجب محاولة التخلص منه ما أمكن ، لأنه من أسباب ضعف الأمة كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال:٤٦] ، أما الرضا به وتسميته رحمة فخلاف للآيات الكريمة المصرحة بذمه ، ولا مستند له إلا هذا الحديث الذى لا أصل له عن رسول الله ﷺ .

وهنا قد يرد سؤال وهو :

أن الصحابة قد اختلفوا وأفاضل الناس ، أفيلحقهم الذم المذكور ؟

وقد أجاب عنه ابن حزم رحمه الله تعالى فقال (٥/ ٦٧ ـ ٦٨) :

« كلا ما يلحق أولئك شىء من هذا ، لأن كل امرئ منهم تحرى سبيل الله ، ووجهته الحق ، فالمخطئ منهم مأجور أجرًا واحدًا لنيته الجميلة فى إرادة الخير ، وقد رفع عنهم الإثم فى خطئهم لأنهم لم يتعمدوه ولا قصدوه ولا استهانوا بطلبهم ، والمصيب منهم مأجور أجرين ، وهكذا كل مسلم إلى يوم القيامة فيما خفى عليه من الدين ولم يبلغه ، وإنما الذم المذكور والوعيد المنصوص ، لمن ترك التعلق بحبل الله تعالى وهو القرآن وكلام النبى ﷺ بعد بلوغ النص إليه وقيام الحجة به عليه ، وتعلق بفلان وفلان مقلدًا عامدًا للاختلاف داعيًا إلى عصبية وحمية الجاهلية ، قاصدا للفرقة متحريًا فى دعواه برد القرآن والسنة إليها ، فإن وافقها النص أخذ به ، وإن خالفها تعلق بجاهليته وترك القرآن وكلام النبى ﷺ فهؤلاء هم المختلفون المذمومون . وطبقة أخرى وهم قوم بلغت بهم رقة الدين وقلة التقوى إلى طلب ما وافق أهواءهم فى قول كل قائل ، فهم يأخذون ما كان رخصة فى قول كل عالم ، مقلدين له غير طالبين ما أوجبه النص عن الله وعن رسول الله ﷺ » .

ويشير فى آخر كلامه إلى « التلفيق » المعروف عند الفقهاء ، وهو أخذ قول العالم بدون دليل وإنما اتباعًا للهوى أو الرخص ، وقد اختلفوا فى جوازه والحق تحريمه لوجوه لا مجال الآن لبيانها . وتجويزه مستوحى من هذا الحديث وعليه استند من قال : « من قلد عالمًا لقى الله سالمًا » ! وكل هذا من آثار الأحاديث الضعيفة ، فكن على حذر منها إن كنت ترجو النجاة (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) . (الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/ ٧٠ ـ ٧٢) . (م) .

(١) صحيح : رواه أحمد (١٨٧٢) والدارقطنى (٢/ ٢١٨) (ع) .

(٢) رواه البخارى برقم (١١٠١) و(١١٠٢) عن ابن عمر (ع) .

. . . .

= رحمهما الله تعالى.

قال الإمام الشوكاني : « قوله : وكان لا يزيد فـي السفر على ركعتين » فيه أن النبي ﷺ لازم القصر في السفر و لم يصل فيه تمامًا .

وحديث عائشة المتفق عليه : « فرضت الصلاة ركعتين ، فاقرت صلاة السفر ، وأتمت صلاة الحضر »(١) .

وفي هذين الحديثين دليل قـوى على أن القصر للوجوب ، لا للنـدب كما زعم بعضهم .

وإلى وجوب القـصر في السفـر ذهب علي وعمر وأكثـر علماء السلف وفقـهاء الأمصار وعمر بن عبد العزيز وقتـادة والحسن . والحنفية . وقال حماد بن سليمان : يعيد من يصلى في السفر أربعًا ! وقال مالك : يعيد ما دام في الوقت(٢) .

والقائلون بأن القصـر للندب لا للوجوب لا حجة قـاطعة لهم والأحاديث التى يحتجون بهـا غير صحيحة ومن أراد التحـقق من ذلك فليراجع كتاب « نيل الأوطار» للشوكانى (٣/ ٢١٣) .

وقد أنكر جماعة من الصـحابة على عثمان لما أتم بمنى ، وتأولوا له تأويلات ، قال ابن القيم : أحسنها أنه كان قد تأهل بمنى . والمسافر إذا أقام بموضع وتزوج فيه ، أو كان له زوجـة أتم . وقد روى أحمـد عن عثمـان أنه قال : أيهـا الناس لما قدمت تأهلت بها . وإني سمـعت رسول الله ﷺ يقول : « **إذا تزوج رجل ببلد فليصل به صلاة مـقيم**» وقد أعل البيـهقى هذا الحديث بانقطاعـه وفى إسناده عكرمة بن إبراهيم وهو ضعيف كـما قال البيهقى . قال فـى الفتح : هذا حديث لا يصح لأنه منقطع ، وفى رواية من لا يحتج به . وكذلك لا يصح ما نسب إلى عـثمان أنه إنما ترك القصر خشية من أن يظن بعض الأعراب أن الصلاة للمقيم ركعتين (راجع هامش ص ٦٤).

وإذا صح أن عائشة رضي الله عنها تأولت ما تأول عـثمان رضي الله عنه فكان يصلى فى السفر أربعًا فيصدق عليها ما سبق وقلناه فى عثمان رضي الله عنه من أنها اجتهدت فأخطأت كما =

(١) رواه البخارى (٣٩٣٥) عن عائشة (ع) .

(٢) انظر تفصيل المسألة فى كتاب (أحكام القصر والجمع) يسر الله طبعه (ع) .

واختلف فى ذلك الصحابة (١٠١)..

٩ـ وأما معاوية : فعمر ولاه ، وجمع له الشامات كلها ، وأقره عثمان . بل إنما ولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأنه ولى أخاه يزيد ، واستخلفه يزيد ، فأقره عمر لتعلقه بولاية أبى بكر لأجل استخلاف والـيه له، فتعلق عثمان بعـمر وأقره. فانظروا إلى هذه السلسلة ما أوثق عراها،[وأقدر سردها (١٠٢)] ولن يأتى مثلها بعدها أبدًا (١٠٣).

= أخطأ الخليفة الراشد . والعصمة للأنبياء فقط . (م) .

(١٠١)نقل محـمد بن يحـيى الأشعرى المـالكى المعروف بابن بكر (٦٧٤ ـ ٧٤١) فى كـتابه (التمهـيد والبيان فى مقتل الشـهيد عثمان) وهـو من مخطوطات دار الكتب المصرية (برقم ٢٣ تاريخ) أنه روى عن جمـاعة من الصحابة إتمام الصلاة فى الـسفر ، منهم عائشة وسلمان وأربعة عشر من الصحابـة . وفى أبواب التقصير من صحيح البخارى (ك ١٨ ب ٥ ـ ج٢ ص ٣٦) حـديث الزهرى عن عروة بن الزبـير عن عـائشة أنهـا قالت: « الصلاة أول ما فرضت ركعتان ، فأقرت صلاة السفر ، وأتمت صلاة الحضر» قال الزهرى فقلت لعروة : ما بال عائشـة تتم ؟ قال ثم تأولت ما تأول عثمان . وفى مسند أحمد (٤/ ٩٤) عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال : لما قدم علينا معاوية حاجًا قدمنا معه مكة ، فصلى بنا الظهر ركعتين ، ثم انصرف إلى دار الندوة . وكان عثمان حين أتم الصلاة إذا قدم مكة صلى بهـا الظهر والعصر والعشاء الآخـرة أربعا أربعا ، فإذا خرج إلى منى وعرفات قصـر الصلاة ، فإذا فرغ من الحج وأقام بمنى أتم الصلاة حتى يخرج من مكة . فلمـا صلى بنا (أى معاوية) الظهر ركعـتين نهض إليه مروان وعمر بن عثمـان فقالا له : ما عاب أحد ابن عمك بأقبح مما عبتـه . قال لهما: وما ذاك ؟ فقالا له : ألم تعلم أنه أتم الصلاة بمكة (فـذكرهما أنه صلاهما مع النبى ﷺ وأبى بكر وعمر) قالا : فإن ابن عمك كان أتمها (والظاهر أن معاوية رأى أن القصر رخصة ، وأن المسافر على التخيير ، فصلى العصر أربعًا) (خ) .

(١٠٢) سقطت من طبعة الشيخ محب الدين الخطيب ولكنها موجودة في المخطوطات وأثبتها الدكتور عمار طالبى .

(١٠٣)إنما بلغت دولة الإسلام فى خـلافة أبى بكر وعمر الذروة فى العزة ، وكـانت مضرب الأمثال فى الفلاح الإنسانى وسعادة المجتمع ، لأن أبا بكر وعمر كانا يكتشفان بنور=

. . . .

= الله عز وجل كوامن السجايا فى أهلها وعناصر الرجولة في الرجال ، فيوليانهم القيادة ، ويبوئانهم مقاعد السيادة ، ويأتمنانهم على أمة محمدﷺ وهما يعلمان أنهما مسؤولان عن ذلك بين يدى الله عز وجل . وقد رأيت أن يزيد بن أبى سفيان وأخاه معاوية كانا من رجال دولة أبى بكر الصديق الذين اختارهم لحمل أعباء الأمة فى حربها وسلمها فأحسن بذلك كل الإحسان . ولما ولى يزيد قيادة أحد جيوشه خرج معه أبو بكر يشيعه ماشيًا (الطبرى ٤ : ٣٠) . ومعاوية مذكور فى التاريخ بعد أخيه يزيد لأنه أصغر منه سنا ، لا لأنه أقل منه فى استكمال صفات القيادة والسيادة . وقبل أن يكون معاوية من رجال الدولتين البكرية والعمرية كان أحد الذين استعملهم رسول اللهﷺ واستعان بهم ، وكان يدعوه لذلك فى بعض الأحيان ـ ومعاوية يأكل ـ ويلح فى دعوته ويرسل إليه المرة بعد المرة يستعجله فى المجىء إليه . فالنبىﷺ ولى معاوية شيئًا من عمله قبل أن يوليه أبو بكر وعمر، وولى يزيد بن أبى سفيان أيضًا كما فى فتوح البلدان للبلاذرى (ص ٤٨ طبع مصر سنة ١٣٥٠) . والذين يضطغنون البغضاء والحقد لأصحاب رسول اللهﷺ ولا سيما بنى أمية منهم لم يستطيعوا أن ينكروا أن النبىﷺ استعمل معاوية فى الكتابة له فقالوا أنه كان يكتب له ولكنه لم يكن يكتب الوحى . وهم يقولون هذا بوحى أوحى إليهم من الشيطان ، وليس فى يدهم نص تاريخى أو دليل شرعى يرجعون إليه ، فميزوا بين أمور لا حجة لهم فى التمييز بينها . والنبىﷺ لو كان يميز بين كتبته فى أمور دون أمور لتواتر ذلك عنه ولنقله الناقلون كما وقع فيما هو أقل من هذا شأنًا سألنى مرة أحد شباب المسلمين ممن يحسن الظن برأيى فى الرجال : ما تقول فى معاوية ؟ فقلت له : ومن أنا حتى أسأل عن عظيم من عظماء هذه الأمة وصاحب من خيرة أصحاب محمدﷺ ؟ إنه مصباح من مصابيح الإسلام ، لكن هذا المصباح سطع إلى جانب أربع شموس ملأت الدنيا بأنوارها فغلبت أنوارها على نوره . نقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٨/ ١٣٣) عن الليث بن سعد (وهو إمام مصر وعالمها ورئيسها المتوفى سنة ١٧٥) قال : حدثنا بكير (وهو ابن عبد الله الأشج المدنى المصرى المتوفى سنة ١٢٧ قال عنه الإمام النسائى: ثقة ثبت) عن بسر بن سعيد المدنى (المتوفى سنة ١٠٠ قال عنه ابن =

. . . .

= معين: ثقه . وقال عنه الليث بن سعد : كان من العباد المنقطعين أهل الزهد في الدنيا والورع) أن سعد بن أبي وقاص (أحد العشرة المبشرين بالجنة) قال : « ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب » يعنى معاوية . وروى ابن كثير أيضًا (٨/ ١٣٥) عن عبد الرزاق بن همام الصنعانى أحد الأئمة الأعلام الحفاظ (وكان ينسب إلى التشيع) ، عن معمر بن راشد أبى عروة البصرى ثم اليمانى وكان أحد الأعلام ، عن همام بن منبه الصنعانى وكان ثقة قال: سمعت ابن عباس يقول: « ما رأيت رجلا أخلق بالملك من معاوية » وهل يكون الرجل أخلق الناس بالملك إلا أن يكون عادلا حكيما حليما ، يحسن الدفاع عن ملكه ، ويستعين الله فى نشر دعوة الله فى الممالك الأخرى ، ويقوم بالأمانة فى الأمة التى ائتمنه الله عليها ؟ والذى يكون أخلق الناس بالملك هل يلام عثمان على توليته ؟ ويا عجبًا كيف يلام عثمان على توليته وقد ولاه من قبله عمر ، وتولى لأبى بكر من قبل عمر ، وتولى بعض عمل رسول الله ﷺ قبل أن تصير الخلافة إلى أبى بكر وعمر وعثمان . أن المخ الذى يعبث به الشيطان فيسول له مثل هذه الوساوس لا شك أنه مخ فاسد ، يفسد على الناس عقولهم ومنطقهم قبل أن يفسد عليهم دينهم وتاريخهم ، فمن الواجب على محبى الحق والخير أن يتحاموا كل من يحمل فى رأسه مثل هذا المخ كما يتحامون المجذوم . روى الإمام الترمذى عن أبى إدريس الخولانى من كبار علماء التابعين وأعلم أهل الشام بعد أبى الدرداء أن عمر بن الخطاب لما عذل عمير بن سعد الأنصارى الأوسى عن حمص وولى معاوية ، قال الناس : عذل عميراً وولى معاوية (قال البغوى فى معجم الصحابة : وكان عمير يقال له « نسيج وحده » . قال ابن سيرين : إن عمر كان يسميه بذلك لإعجابه به . وكان عمير من الزهاد) فقال عمير: لا تذكروا معاوية إلا بخير، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اللهم اهد به »[1]. =

(١) صحيح لغيره: رواه الترمذى (٣٨٤٣) وقال : هذا حديث غريب وعمرو بن واقد يضعف) ا . هـ وقال الألبانى : صحيح بما قبله . يعنى بما رواه الترمذى (٣٨٤٢) عن عبد الرحمن بن أبى عميرة مرفوعًا (اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ـ وصححه الألبانى (ع) .

١٠ـ وأما عبد الله بن كريز [١٠٤] فولاه ـ كما قال ـ لأنه كريم العمات والخالات[١٠٥] .

= ويروى أن الذى شهد هذه الشهادة لمعاوية أمير المؤمنين عمر ، فإن كان هو الذى شهدها له وروى دعاء رسول الله ﷺ لمعاوية بأن يهدى الله به فذلك أمر عظيم لعظم مكانة عمر . وإن كان الذى شهد بذلك عمير بن سعد الأنصارى مع أنه هو المعزول بمعاوية عن ولاية حمص فإن ذلك لا يقل عظمة عما لو كانت الشهادة لمعاوية من عمر. وقد علمت أن عميرا من أصحاب رسول الله ﷺ وأنه من زهاد الأنصار . قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣/ ١٨٩) : وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة ، وكان رعيته يحبونه ، وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال: « **خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم. وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم** » [١] ، ولم يتسع المقام هنا لأكثر من هذا ، وسنكمل الصورة الحقيقية لمعاوية عند ذكر خلافته لتعلم إلى أى حد كنا مخدوعين بأكاذيب أعداء الصدر الأول للإسلام . هذا قطعة من حديث صحيح كما سنرى فيما بعد . (خ) .

(١٠٤) هو عبد الله بن عامر بن كريز توفى سنة ٥٩هـ ٦٧٨ على أصح الروايات (الذهبى العبر ١/ ٦٧) .

(١٠٥) هو عبشمى الآباء ، هاشمى الخؤولة . فإن أم أبيه أروى بنت كريز أمها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبى ﷺ . ولما ولد أتى به إلى النبى ﷺ فقال لبنى عبد شمس « هذا أشبه بنا منه بكم » ثم تفل فى فيه فازدرده ، فقال ﷺ : « أرجو أن يكون مسقيًا » [٢] ، فكان لا يعالج أرضًا إلا ظهر منها الماء . ونشأ سخيًا كريمًا شجاعًا ميمون النقيبة كثير المناقب : افتتح خراسان كلها ، وأطراف فارس ، =

(١) رواه مسلم فى الإمارة بـ ١٧ رقم (٦٥، ٦٦) وأحمد (٦/ ٢٤)، والبيهقى (٨/ ١٩٨) والطبرانى (١٨/ ٦٣) ولم أجده فى البخارى (ع) .

(٢) روى ابن عبد البر ـ كما جاء فى الإصابة لابن حجر ـ نحو هذين الحديثين .

وقال الحافظ ابن حجر فى (تهذيب التهذيب) برقم (٣٨٤١) . وذكر غير واحد أنه اتي به النبى ﷺ لما ولد فقال : (هذا يشبهنا أو جعل يتفل فى فيه ويعوذ فجعل يتبلع ريق النبى ﷺ فقال ﷺ : « إنه لمسقي فكان لا يعالج ارضا إلا ظهر له الماء) اهـ (ع).

. . . .

= وسجستان ، وكرمان حتى بلغ أعمال غزنة ، وقضى على يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس . ويعتقد الإيرانيون أن سلسلة ملوكهم بدأت بآدمهم الذى يسمونه (جيومرت) فلم يزل ملك أولاده منتظما على سياق إلى أن كان القضاء الأخير عليه بسلطان الإسلام فى خلافة أمير المؤمنين عثمان بجهاد هذا العبشمي الآباء الهاشمى الخؤولة عبد الله بن عامر بن كريز وهى حرقة فى قلوب أهل النزعة المجوسية على الإسلام ، وعلى عثمان وابن كريز ، فهم يحقدون على هؤلاء ويحاربونهم إلى اليوم بسلاح الكذب ، والبغض ، والدسائس ، وسيستمر ذلك إلى يوم القيامة . أما صادقو الإسلام ممن أنجبت إيران أيام كانت شافعية المذهب ، ولما كان ينبغ منها علماء السنة المحمدية قبل ذلك ، وفيهم كبار الأئمة والمحدثون والفقهاء ، فقد نزهوا قلوبهم عن أن يكون فيها غل للذين آمنوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم حتى فتح الله الأقطار على أيديهم ، وهدى الأمم بسببهم ، فهم يحبونهم ويجلونهم على أقدارهم . ونحن لا ندعى العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ ونتوقع الخطأ من كل إنسان صحابيًا كان أو من التابعين أو الذين يتبعونهم بإحسان . ولكن الذين ملؤوا الدنيا بالحسنات كأنها الجبال ، فإن الذى يعمى عنها ، ويدس أنفه فى مرمى القاذورات ليستخرج منها ما يذم العظماء به ، وإن لم يجد يختلق ويكذب ، فإن من كرامة المسلم على نفسه أن يترفع عن الإصغاء لأمثال هؤلاء والانخداع لهم . ودع عنك فتوح عبد الله بن عامر ابن كريز التى وصلت إلى أقصى المشارق ، وتقويضه آخر أمل للإمبراطورية المجوسية، فإن حسناته الإنسانية أيضا جديرة بالتسجيل . قال ابن كثير فى البداية والنهاية (٨/ ٨٨) إنه « أول من اتخذ الحياض بعرفة لحجاج بيت الله الحرام وأجرى إليها الماء المعين ». وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣/ ١٨٩، ١٩٠): «أن له من الحسنات والمحبة فى قلوب الناس ما لا ينكر». ومثل هؤلاء الرجال لو كانوا من سلف الإنجليز أو الفرنسيين لخلدوا عظمتهم فى كتب الدراسة والثقافة والتهذيب، فتهافتت وزارات معارفنا على نقل ذلك إلى كتبنا المدرسية ، ليؤمن جيلنا بعظمة أسلاف المستعمرين. أما عظمة أسلافنا نحن فقد سلط الشيطان عليها قلوبًا فاسدة تفيض بالسوء ، وصدق أكاذيبها الأكثرون منا، فأمسينا كالأمة التى لا مجد =

١١ ـ وأما تولية الوليد بن عقبة [فلأن] الناس ـ على فساد النيات ـ أسرعوا إلى السيئات قبل الحسنات . فذكر [الإسفرائيون] (١٠٦) أنه إنما ولاه للمعنى الذى تكلم به . قال عثمان : ما وليته لأنه أخى (١٠٧) ، وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله ﷺ وتوأمة أبيه . وسيأتى بيانه إن شاء الله (١٠٨) .

= لها، بينما هى نائمة على تراث من المجد لا تحلم الإنسانية بمثله . (م) .

(١٠٦) وكتبها الشيخ محب الخطيب (الافترائيون) .

(١٠٧) هو أخوه لأمه أروى بنت كريز ، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم (خ) .

(١٠٨) قد يظن من لا يعرف صدر هذه الأمة أن أمير المؤمنين عثمان جاء بالوليد بن عقبة من عرض الطريق فولاه الكوفة . أما الذين أنعم الله عليهم بنعمة الأنس بأحوال ذلك العصر وأهله فيعلمون أن دولة الإسلام الأولى من خلافة أبى بكر تلقفت هذا الشاب الماضى العزيمة الرضى الخلق الصادق الإيمان فاستعملت مواهبه فى سبيل الله إلى أن توفى أبو بكر،وأول عمل له فى خلافة أبى بكر أنه كان موضع السر فى الرسائل الحربية التى دارت بين الخليفة وقائده خالد بن الوليد فى وقعة المذار مع الفرس سنة١٢ (الطبرى ٤/ ٧) ، ثم وجهه مددًا إلى قائده عياض بن غنم الفهرى (الطبرى ٤/ ٢٢)، وفى سنة ١٣ كان الوليد يلي لأبي بكر صدقات قضاعة، ثم لما عزم الصديق على فتح الشام كان الوليد عنده بمنزلة عمرو بن العاص فى الحرمة والثقة والكرامة ، فكتب إلى عمرو بن العاص وإلى الوليد بن عقبة يدعوهما لقيادة فيالق الجهاد ، فسار ابن العاص بلواء الإسلام نحو فلسطين وسار الوليد بن عقبة قائدًا إلى شرق الأردن (الطبرى ٤/ ٢٩ ، ٣٠) . ثم رأينا الوليد فى سنة ١٥ أميراً على بلاد بنى تغلب وعرب الجزيرة (الطبرى ٤/ ١٥٥) يحمى ظهور المجاهدين فى شمال الشام لئلا يؤتوا من خلفهم ، فكانت تحت قيادته ربيعة وتنوخ مسلمهم وكافرهم. وانتهز الوليد بن عقبة فرصة ولايته وقيادته على هذه الجهة التى كانت لا تزال مليئة بنصارى القبائل العربية فكان ـ مع جهاده الحربى وعمله الإدارى ـ داعيًا إلى الله يستعمل جميع أساليب الحكمة والموعظة الحسنة لحمل نصارى إياد وتغلب على أن يكونوا مسلمين كسائر العرب . وهربت منه إياد إلى الأناضول وهو تحت حكم البيزنطيين ، فحمل الوليد =

والولاية اجتهاد (١٠٩) ، وقد عزل عمر سعد بن أبى وقاص وقدم أقل منه

= خليفته عمر على كتابة كتاب تهديد إلى قيصر القسطنطينية بأن يردهم إلى حدود الدولة الإسلامية . وحاولت تغلب أن تتمرد على الوليد فى نشره الدعوة الإسلامية بين شبابها وأطفالها فغضب غضبته المضرية المؤيدة بالإيمان الإسلامى ، وقال فيهم كلمته المشهورة :

إذا ما عصبت الرأس منى بمشوذ فغيَّك منى تغلب ابنة وائل

وبلغت هذه الكلمة عمر ، فخاف أن يبطش قائده الشاب بنصارى تغلب فيفلت من يده زمامهم فى الوقت الذى يحاربون فيه مع المسلمين حمية للعروبة ، فكف عنهم يد الوليد ونحاه عن منطقتهم . وبهذا الماضى المجيد جاء الوليد فى خلافة عثمان فتولى الكوفة له ، وكان من خير ولاتها عدلا ورفقًا وإحسانًا ، وكانت جيوشه مدة ولايته على الكوفة تسير فى آفاق الشرق فاتحة ظافرة موفقة على ما سنذكره فيها بعد . (خ).

(١٠٩) للمؤلف فى أواخر هذا الكتاب فصل عنوانه (نكتة) أشار فيه إلى المعانى والحقائق التى يلاحظها ولى الأمر عند « اجتهاده » في تولية الولاة وعزلهم ،وذلك لفقه عظيم ومعارف بديعة بيَّنها أئمة الإسلام وعلماؤه فى الفصول التى عقدوها للإمامة وسياسة الدولة فى كتبهم المصنفة فى أصول الدين . وقد زعم طاغية الشيعة ومدلسهم الحسن ابن المطهر الحلى فى كتابه منهاج الكرامة أن عثمان ولى أمور المسلمين من لا يصلح للولاية ، فأجابه شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣/ ١٧٣ ـ ١٧٦) أن عليًا ﵁ ولى زياد بن أبى سفيان وولى الأشتر النخعى وولى محمد بن أبى بكر وأمثال هؤلاء ، ولا يشك عاقل أن معاوية بن أبى سفيان كان خيراً من هؤلاء كلهم . قال : ومن العجب أن الشيعة ينكرون على عثمان أنه ولى أقاربه من بنى أمية ، ومعلوم أن عليًا ولى أقاربه من قبل أبيه وأمه فولى عبد الله بن عباس على اليمن ، وولى على مكة والطائف قثم بن العباس، وأما المدينة فقيل: إنه ولى عليها سهل بن حنيف وقيل ثمامة ربيبه محمد بن أبى بكر الذى رباه في حجره (لأنه تزوج أمه بعد وفاة أبى بكر وكان محمد صغيراً) . ثم إن الإمامية تدعى أن عليًا نص على أولاده فى الخلافة ـ أو على ولده ، وولده على ولده الآخر وهلم جرا ـ ومن المعلوم أن كان تولية الأقربين =

درجة(١١٠) .

= منكراً، فتولية الخلافة العظمى أعظم من إمارة بعض الأعمال . . . وإذا قال القائل: لعليٍّ حجة فيما فعله ، قيل له : وحجة عثمان فيما فعله أعظم . وإذا ادعى لعلى العصمة ونحوها مما يقطع عنه ألسنة الطاعنين ، كان ما يدعى لعثمان « الاجتهاد » الذى يقطع ألسنة الطاعنين أقرب إلى المعقول والمنقول . . ثم قال : إن بنى أمية كان رسول الله ﷺ يستعملهم فى حياته ، واستعملهم بعده من لا يتهم بقرابة فيهم : أبو بكر وعمر، ولا تعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله ﷺ أكثر من بنى عبد شمس ، لأنهم كانوا كثيرين ، وكان فيهم شرف وسؤدد ، فاستعمل النبى ﷺ فى عزة الإسلام على أفضل الأرض : مكة عتاب بن أسيد بن أبى العاص بن أمية ، واستعمل على نجران أبا سفيان بن حرب بن أمية ، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص على صدقات بنى مذحج وعلى صنعاء واليمن حتى مات رسول الله ﷺ ، واستعمل عثمان بن سعيد بن العاص على تيماء وخيبر وقرى عرينة ، واستعمل أبان ابن سعيد بن العاص علي بعض السرايا ثم استعمله على البحرين فلم يزل عليها بعد العلاء بن الحضرمى (حليف بنى أمية) حتى توفى النبى ﷺ . فيقول عثمان : أنا لم أستعمل إلا من استعمله النبى ﷺ ومن جنسهم ومن قبيلتهم ، وكذلك أبو بكر وعمر بعده . . . فكان الاحتجاج على جواز الاستعمال من بنى أمية بالنص الثابت عن النبى ﷺ أظهر عند كل عاقل من دعوى كون الخلافة في واحد معين من بنى هاشم بالنص ، لأن هذا كذب باتفاق أهل العلم بالنقل ، وذلك صدق باتفاق أهل العلم بالنقل (وانظر أيضًا منهاج السنة ٣/ ٢٣٦ـ ٢٣٧) . والذى يستعرض حياة عمال عثمان وجهادهم وفضائلهم يراهم فى الذروة العليا من رجال الدولة ، ولا يتردد فى أنهم من بناة الأساس الأقوم فى مجد الإسلام الإدارى والعسكرى ، ولهم ثواب نتائجه فى الفتوح وانتشار دعوة الإسلام بما يعده التاريخ من معجزاته الخارقة للعادات. (خ) .

(١١٠)كان ذلك سنة ٢١ ، والذين تولوا بعد سعد : عبد الله بن عبد الله بن عتبان (وفى زمانه كانت وقعة نهاوند) ثم زياد بن حنظلة (وألح فى الاستعفاء فأعفى) وولى =

١٢ـ وأما قول [القائل] فى مروان والوليد فشديد عليهم ، وحكمهم عليهما بالفسق فسق منهم .

مروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين . أما الصحابة فإن سهل بن سعد الساعدى روى عنه (١١١) . وأما التابعون فأصحابه فى السن ، وإن [كان] جازهم باسم الصحبة فى أحد القولين (١١٢) وأما فقهاء الأمصار

= بعدهما عمار بن ياسر(الطبرى ٤ /٢٤٦ وما قبلها) .(خ) .

(١١١) وروايته عنه فى صحيح البخارى وغيره . (خ) .

(١١٢) وفى طليعة من روى عنه من كبار التابعين زيد العابدين على بن الحسين السبط ، ونص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢/ ١٢٣)، والحافظ ابن حجر فى الإصابة، وترى تفصيله فى طبقات الشافعية الكبرى للتاج السبكى فى ترجمة اللغوى الشهير أبى منصور محمد بن أحمد بن الأزهرى صحاب تهذيب اللغة (٢٨٢ ـ ٣٧٠). ومن نص الحافظ ابن حجر على روايتهم عن مروان : سعيد بن المسيب رأس علماء التابعين ، وإخوانه من الفقهاء السبعة أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى ، وعبيد الله بن عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وعروة بن الزبير، وأضرابهم كعراك بن مالك الغفارى المدنى فقيه أهل دهلك وكان يصوم الدهر، وكعبد الله بن شداد بن الهاد أحد الرواة عن عمر وعلى ومعاذ ، وإن رواية عروة بن الزبير عن مروان فى مسند الإمام أحمد (الطبعة الأولى ٤/ ٣٢١، ٣٢٣ ، ٣٢٦، ٣٢٨، ٥/ ١٨٩) . ورواية عراك عن مروان نقلها إمام أهل مصر الليث بن سعد عن يزيد بن حبيبة فى مسند أحمد (٤/ ٣٢٨) ورواية عبد الله بن شداد بن الهاد عن مروان فى مسند أحمد (٦/ ٣١٧، ٢٣[illegible] الذى يتأمل فى الأحاديث المروية عن مروان يجد حملتها من الأئمة الثقات تتسلسل روايتهم عنه مدة جيلين وأكثر وكلهم أعلى مرتبة فى الإسلام من الذين يبردون الغل الذى فى قلوبهم بالطعن في مروان ومن هو خير من مروان . بل فى رواة أحاديث مروان عبد الرزاق إمام أهل اليمن وكانت فيه نزعة تشيع . وفى مسند أحمد (٦/ ٣١٢) حديث عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام أنه كان رسول مروان إلى أم المؤمنين أم سلمة فى تحقيق بعض الأحكام =

فكلهم على تعظيمه ، واعتبار [خلافه] (١١٣) ، والتلفت إلى فتواه ، والانقياد إلى روايته . وأما السفهاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم (١١٤) .

وأما الوليد فقد روى بعض المفسرين أن الله سماه فاسقًا فى قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ﴾ [الحجرات : ٦] فإنها ـ فى قولهم ـ نزلت فيه ، أرسله النبى ﷺ إلى بنى المصطلق ، فأخبر عنهم أنهم ارتدوا ، فأرسل رسول الله ﷺ إليهم خالد بن الوليد فتثبت فى أمرهم فبين بطلان قوله . وقد اختلف فيه ، فقيل : نزلت فى ذلك (١١٥) ، وقيل : فى على ، والوليد فى قصة

= الشرعية ، وفى ٦/ ٢٩٩ من مسند أحمد نموذج لعظيم عناية مروان بسنة رسول الله ﷺ فأقصى ما يمكن أن يصدر عن أئمة المسلمين وأمرائهم . (خ) .

(١١٣) فى ب ، ج ، ز : خلافته (س) .

(١١٤) ومن غريب أمر هؤلاء البغاة والمفترين أنهم يحملون على مروان ويتهمونه بمختلف التهم ، وهو منها براء . وقد وقع أسيرًا يوم الجمل فى أيدى أصحاب على رضي الله عنه ، فلم يمسه أحد بسوء ، لا بإذن على ، ولا بغير إذنه . (م) .

(١١٥) كنت فيما مضى أعجب كيف تكون هذه الآية نزلت فى الوليد بن عقبة ، ويسميه الله فاسقًا ، ثم تبقى له فى نفس خليفتى رسول الله ﷺ أبى بكر وعمر المكانة التى سجلها له التاريخ وأوردنا الأمثلة عليها فى هامش ص ٩٨ عند استعراضنا ماضيه فى بضعة عشر عامًا قبل أن يوليه عثمان الكوفة . إن هذا التناقض ـ بين ثقة أبى بكر وعمر بالوليد بن عقبة ، وبين ما كان ينبغى أن يعامل به لو أن الله سماه فاسقًا ـ حملنى على الشك فى أن تكون الآية نزلت فيه ، لا استبعادًا لوقوع أمر من الوليد يعد به فاسقًا ، ولكن استبعادًا لأن يكون الموصوم بالفسق فى صريح القرآن محل الثقة من رجلين لا نعرف فى أولياء الله عز وجل بعد رسول الله ﷺ من هو أقرب إلى الله منهما . وبعد أن ساورنى هذا الشك أعدت النظر فى الأخبار التى وردت عن سبب نزول الآية ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾، فلما عكفت على دراستها وجدتها موقوفة على مجاهد ، أو قتادة ، أو ابن أبى ليلى ، أو يزيد بن رومان ، ولم يذكر أحد منهم أسماء رواة هذه الأخبار فى مدة مائة سنة أو أكثر مدت بين =

أخرى . وقيل : إن الوليد سيق يوم الفتح فى جملة الصبيان إلى رسول الله ﷺ

= أيامهم وزمن الحادث ، وهذه المائة من السنين حافلة بالرواة من مشارب مختلفة ، وأن الذين لهم هوى فى تسويئ سمعة مثل الوليد ومن هم أعظم مقامًا من الوليد قد ملؤوا الدنيا أخبارًا مريبة ليس لها قيمة علمية . وما دام رواة تلك الأخبار فى سبب نزول الآية مجهولين من علماء الجرح والتعديل بعد الرجال الموقوفة هذه الأخبار عليهم ، وعلماء الجرح والتعديل لا يعرفون من أمرهم حتى ولا أسماءهم ، فمن غير الجائز شرعًا وتاريخًا الحكم بصحة هذه الأخبار المنقطعة التى لا نسب لها . وهنالك خبران موصولان أحدهما عن أم سلمة (١) زعم موسى بن عبيد أنه سمعه من ثابت مولى أم سلمة . وموسى بن عبيدة ضعفه النسائى وابن المدينى وابن عدي وجماعة . وثابت المزعوم أنه مولى أم سلمة ليس له ذكر في كل ما رجعت إليه من كتب العلم ، فلم يذكر فى تهذيب التهذيب ولا فى تقريب التهذيب ولا فى خلاصة تهذيب الكمال، بل لم أجده ولا فى قفصى الاتهام أعنى (ميزان الاعتدال) و (لسان الميزان). وذهبت إلى مجموعة أحاديث أم سلمة فى مسند الإمام أحمد فقرأتها واحدًا واحدًا فلم أجد فيها هذا الخبر ، بل لم أجد لأم سلمة أى خبر ذكر فيه اسم مولى لها يدعى ثابتًا . زد على كل هذا أن أم سلمة لم تقل فى هذا الخبر - إن صح عنها ، ولا سبيل إلى أن يصح عنها - أن الآية نزلت فى الوليد ، بل قالت - أى قيل على لسانها - «بعث رسول الله ﷺ(رجلا) فى صدقات بنى المصطلق » . والخبر الثانى الموصول رواه الطبرى فى التفسير عن ابن سعد عن أبيه عن عمه عن أبيه عن ابن عباس (٢) . والطبرى لم يلق ابن سعد ولم يأخذ عنه ، لأن ابن سعد لما توفى ببغداد سنة ٢٣٠ كان الطبرى طفلا فى السادسة من عمره ولم يخرج إلى ذلك الحين من بلده آمل فى طبرستان لا إلى بغداد ولا لـ... وابن سعد وإن كان فى نفسه من =

---

(١) ضعيف : رواه الطبرى فى تفسيره (٢٦/ ١٢٣) وفيه موسى بن عبيدة ضعيف ولفظه) بعث رسول الله ﷺ رجلا فى صدقات بنى المصطلق) دون أن يسمى الوليد (ع) .

(٢) ضعيف : رواه الطبرى فى تفسيره (٢٦/ ١٢٣) وفى إسناده : عطية العوفى شيعى مدلس صدوق يخطئ كثيرًا. والأثران ذكرهما ابن كثير فى تفسير الآية من سورة الحجرات / ٦ (ع) .

ولفظ ابن عباس (كان رسول الله بعث الوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق) وانظر القرطبى (١٧ / ٢٤٠) (ع) .

فمسح رؤوسهم وبرك عليهم ، إلا هو فقال : إنه كان على رأسى خلوق ، فامتنع [ﷺ] (١١٦) من مسه . فمن يكون فى مثل هذه السن يرسل مصدقًا (١١٧) .

= أهل العدالة فى الدين والجلالة فى العلم ، إلا أن هذه السلسلة من سلفه يجهل علماء الجرح والتعديل أسماء أكثرهم فضلا عن أن يعرفوا شيئًا من أحوالهم ، فكل هذه الأخبار من أولها إلى آخرها لا يجوز أن يؤاخذ بها ، مجاهد كان موضع ثقة أبى بكر وعمر ، وقام بخدمات للإسلام يرجى له بها أعظم المثوبة إن شاء الله .

أضف إلى كل ما تقدم أنه فى الوقت الذى حدثت فيه بنى المصطلق الحادثة التى نزلت فيها الآية كان الوليد صغير السن كما سيأتى فى الفقرة التالية (خ) .

(١١٦) زيادة من الشيخ محب الدين الخطيب لتوضيح السياق ـ ولكنها ليست فى أى من المخطوطات .

(١١٧) هذا الحديث عن سن الوليد بن عقبة يوم فتح مكة رواه الإمام أحمد فى مسنده (٤/ ٣٢ الطبعة الأولى) عن شيخ له هو فياض بن محمد الرقى عن جعفر بن برقان الرقى عن ثابت بن الحجاج الكلابى الرقى عن عبد الله الهمدانى وهو (عبد الله بن مالك بن الحارث) عن الوليد بن عقبة ، والظاهر أن الوليد بن عقبة تحدث بهذا الحديث عندما اعتزل الناس فى السنين الأخيرة من حياته (١) واختار الإقامة فى قرية له من أعمال الرقة ، فتسلسلت رواية الخبر فى الرواة الرقيين وأخذه الإمام أحمد عن شيخ له منهم. وعبد الله الهمدانى ثقة ، لكن التبس اسمه فى غير هذه الرواية بهمدانى آخر يكنى أبا موسى واسمه مالك بن الحارث (أى على اسم والد عبد الله الهمدانى) وهو مجهول عند أهل الجرح والتعديل ، أما عبد الله الهمدانى الذى ينتهى إليه الخبر فى رواية الإمام أحمد فمعروف وموثوق به ، وعلى روايته وأمثالها اعتمد القاضى ابن العربى فى الحكم على سن الوليد بن عقبة بأنه كان صبيًا عند فتح مكة وأن الذى نزلت فيه آية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ ﴾ هو شخص آخر. ومن عجيب أمر الذين كان لهم هوى فى تشويه سمعة هذا الصحابى الشاب المجاهد الطيب =

---

(١) الحديث ضعيف : رواه الإمام أحمد (٤/ ٣٢) برقم (١٦٣٣١) وإسناده ضعيف لأجل عبد الله الهمدانى أبو موسى مجهول وخبره منكر كما قال ابن عبد البر وتبعه الحافظ فى (التقريب) وباقى رجال الإسناد ثقات وهم رقيون . (ع) .

وبهذا الاختلاف يسقط العلماء الأحاديث القوية . وكيف يفسق (١١٨) رجل [يتمثل] هذا الكلام ؟ فكيف برجل من أصحاب محمد ﷺ ؟!

= النفس الحسن السيرة فى الناس أنهم حاولوا إدحاض حجة صغر سنه في ذلك الوقت بخبر آخر روى عن قدومه مع أخيه عمارة إلى المدينة في السنة السابعة للهجرة ليطلبا من النبى ﷺ رد أختهما أم كلثوم إلى مكة . وأصل هذا الخبر - إن صح - مقدم فيه اسم عمارة على اسم الوليد ، وهذا مما يستأنس به فى أن عمارة هو الأصل فى هذه الرحلة وأن الوليد جاء فى صحبته ، وأى مانع يمنع قدوم الوليد صبيًا بصحبة أخيه الكبير كما يقع مثل ذلك فى كل زمان ومكان ؟ فقول الوليد أنه كان فى سنة الفتح صبيًا ليس فى خبر قدومه مع أخيه الكبير إلى المدينة فى السنة السابعة ما يمنعه أو يناقضه . فإذا تقرر عندك أن جميع الأخبار الواردة بشأن الوليد بن عقبة فى سبب نزول آية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ ﴾ لا يجوز علميًا أن يبنى عليها حكم شرعي أو تاريخى ، وإذا أضفت إلى ذلك حديث مسند الإمام أحمد عن سن الوليد فى سنة الفتح ، يتبين لك بعد ذلك حكمة استعمال أبى بكر وعمر للوليد وثقتهما به واعتمادهما عليه مع أنه كان لا يزال فى صدر شبابه . (خ) .

(١١٨) قال محققو تفسير « زاد المسير فى علم التفسير » للإمام ابن الجوزى (٧/ ٤٩١) طبعة المكتب الإسلامى الذى يديره الأخ الفاضل الأستاذ زهير الشاويش ، وهو أحد المشتركين فى التحقيق :

« ذكر الواحدى أن قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ نزلت فى الوليد بن عقبة . . وذكر ذلك فى أسباب النزول بغير سند ، ورواه الطبرى من حديث أم سلمة ، وفى سنده موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف . ورواه أحمد فى «المسند » من حديث الحارث بن ضرار الخزاعى . قال الحافظ ابن حجر فى « تخريج الكشاف » : رواه ابن إسحاق ، والطبرانى من حديث أم سلمة ، وفيه موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف . قال : ونحوه رواه أحمد والطبرانى أيضًا من حديث الحارث ابن ضرار الخزاعى . وأخرجه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن موسى بن المسيب عن سالم بن الجعد عن جابر . . ا. هـ باختصار . مما سبق ندرك أنه لا مجال لقول المؤلف هنا برد الأحاديث القوية عند الاختلاف والاضطراب (م) .

وأما حده في الخمر ، فقد حد عمر قدامة بن مظعون على الخمر وهو أمير وعزله، [ثم قيل له صالحه](١١٩) .

وليست الذنوب مسقطة للعدالة إذا وقعت منها التوبة(١٢٠) .

---

(١١٩) قدامة بن مظعون الجمحي أحد السابقين الأولين ، هاجر الهجرتين وشهد بدرًا ، وكان صهر أمير المؤمنين عمر على أخته ، وقيل بل هو خال أم المؤمنين حفصة بنت عمر وأخيها عبيد الله . وفي إمارة قدامة على البحرين في خلافة عمر قدم الجارود سيد بني عبد القيس على عمر من البحرين وادعى أن قدامة شرب فسكر . فقال له عمر : من يشهد معك ؟ قال : أبو هريرة . فاستشهد أبا هريرة فقال : لم أره شرب ، ولكني رأيته سكران يقيء ، فقال له عمر : لقد تنطعت في الشهادة . واستقدم قدامة من البحرين ، فقال الجارود لعمر : أقم على هذا كتاب الله . فقال له عمر : أخصم أنت أم شهيد ؟ فقال : شهيد . فقال عمر : قد أديت شهادتك . فصمت الجارود . ثم غدا على عمر فقال : أقم علي هذا حد الله . فقال عمر : لتمسكن لسانك أو لأسوأنك . فقال : يا عمر ، ما ذلك بالحق أن يشرب ابن عمك الخمر وتسوؤني . . ثم جيء بزوجة لقدامة فأقامت الشهادة على زوجها . وأراد عمر أن يقيم عليه الحد ، فقال له الصحابة : لا نرى أن تحده ما دام مريضًا . ثم عاوده فقالوا له كما قالوا من قبل . فقال عمر : لأن يلقى الله تحت السياط أحب إلي من أن ألقاه وهو في عنقي. وجلده . فغاضبه قدامة . وعند قفولهما من الحج جيء به إلى عمر ، فكلمه عمر واستغفر له . ومن حسن حظ قدامة بن مظعون أنه قرشي من بني جمح ، ولو أنه كان قرشيًا من بني عبد شمس لانطلقت ألسنة السوء بالبذاءة عليه واختراع الأكاذيب فيه ما دام في الدنيا كذب (خ) .

(١٢٠) هذا حق ، ولكن في مثل ما تقدم عن قدامة بن مظعون ، وفي مثل ما هو مشهور عند الناس عن أبي محجن الثقفي الشاعر الفارسي الذي كان له يوم أغر في حرب القادسية . أما الوليد بن عقبة المجاهد الفاتح العادل المظلوم (الذي كان منه لأمته كل ما استطاعه من عمل طيب ، ثم رأى بعينه كيف يبغي المبطلون على الصالحين وينفذ باطلهم فيهم ، فاعتزل الناس بعد مقتل عثمان في ضيعة له منقطعة عن صخب المجتمع ، وهي تبعد خمسة عشر ميلا عن بلدة الرقة من أرض الجزيرة التي كان =

وقد قيل لعثمان : إنك وليت الوليد لأنه أخوك لأمك أروى بنت كريز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس ، فقال : بل لأنه ابن عمة رسول الله ﷺ أم حكيم البيضاء جدة عثمان وجدة الوليد لأمهما أروى المذكورة أم حكيم توأمة عبد الله

= يجاهد فيها ويدعو نصاراها إلى الإسلام فى خلافة عمر) فقد آن لدسائس الكذابين فيه أن ينكشف عنها عوارها . ولا يضير هذا الرجل أن يتأخر انكشاف الحق فيه ثلاثة عشر قرنًا ، فإن الحق قديم ولا يؤثر فى قدمه احتجابه . أراد الوليد بن عقبة ـ منذ ولى الكوفة لأمير المؤمنين عثمان ـ أن يكون الحاكم المثالى فى العدل والنبل والسيرة الطيبة مع الناس ، كما كان المحارب المثالى فى جهاده وقيامه للإسلام بما يليق بالذائدين عن دعوته ، الحاملين لرايته ، الناشرين لرسالته . وقد لبث فى إمارته علي الكوفة خمس سنوات ، وداره إلى اليوم الذى زايل فيه الكوفة ليس لها باب يحول بينه وبين الناس ممن يعرف أو لا يعرف ، فكان يغشاها كل من شاء متي شاء من ليل أو نهار . ولم يكن بالوليد حاجة لأن يستتر عن الناس ؛

فالستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

وكان ينبغى أن يكون الناس كلهم محبين لأميرهم الطيب لأنه أقام لغربائهم دور الضيافة ، وأدخل على الناس خيرًا حتى جعل يقسم المال للولائد والعبيد ورد على كل مملوك من فضول الأموال في كل شهر ما يتسعون به من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم . وبالفعل كانت جماهير الشعب متعلقة بحب هذا الأمير المثالى طول مدة حكمه . إلا أن فريقًا من الأشرار وأهل الفساد أصاب بنيهم سوط الشريعة بالعقاب على يد الوليد ، فوقفوا حياتهم على ترصد الأذى له . ومن هؤلاء رجال يسمى أحدهم أبا زينب بن عوف الأزدى وآخر يسمى أبا مورع وثالثًا اسمه جندب أبو زهير قبضت السلطات على أبنائهم فى ليلة نقبوا بها على ابن الحيسمان داره وقتلوه ، وكان نازلا بجواره رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على جيش خزاعة يوم فتح مكة فجاء هو وابنه من المدينة إلى الكوفة ليسيرا مع أحد جيوش الوليد بن عقبة التى كان يواصل توجيهها نحو الشرق للفتوح ونشر دعوة الإسلام ، فشهد هذا الصحابى وابنه فى تلك الليلة سطو هؤلاء الأشرار على منزل ابن الحيسمان ، وأدى شهادته هو وابنه على هؤلاء القتلة السفاحين ، فانفذ الوليد فيهم حكم الشريعة على باب القصر فى=

. . . .

= الرحبة ، فكتب آباؤهم العهد على أنفسهم للشيطان بأن كيدوا لهذا الأمير الطيب الرحيم ، وبثوا عليه العيون والجواسيس ليترقبوا حركاته ، وكان بيته مفتوحًا دائمًا . وبينما كان عنده ذات يوم ضيف له من شعراء الشمال كان نصرانيًا فى أحواله من تغلب بأرض الجزيرة وأسلم على يد الوليد ، فظن جواسيس الموتورين أن هذا الشاعر الذى كان نصرانيًا لا بد أن يكون ممن يشرب الخمر ولعل الوليد أن يكرمه بذلك ، فنادوا أبا زينب وأبا المورع وأصحابهما ، فاقتحموا الدار على الوليد من ناحية المسجد ، ولم يكن لداره باب ، فلما فوجئ بهم نحى شيئًا أدخله تحت السرير ، فأدخل بعضهم يده فأخرجه بلا إذن من صاحب الدار ، فلما أخرج ذلك الشىء من تحت السرير إذا هو طبق عليه تفاريق عنب ، وإنما نحاه الوليد استحياء أن يروا طبقه ليس عليه إلا تفاريق عنب ، فأقبل بعضهم عل بعض يتلاومون من الخجل ، وسمع الناس بالحكاية فأقبلوا يسبونهم ويلعنونهم . وقد ستر الوليد عليهم ذلك وطواه عن عثمان وسكت عن ذلك وصبر . ثم تكررت مكايد جندب وأبى زينب وأبى المورع ، وكانوا يغتنمون كل حادث فيسيئون تأويله ويفترون الكذب . وذهب بعض الذين كانوا عمالا فى الحكومة ونحاهم الوليد عن أعمالهم لسوء سيرتهم فقصدوا المدينة وجعلوا يشكون الوليد لأمير المؤمنين عثمان ويطلبون منه عزله عن الكوفة . وفيما كان هؤلاء فى المدينة دخل أبو زينب وأبو المورع دار الإمارة بالكوفة مع من يدخلها من غمار الناس وبقيا فيها إلى أن تنحى الوليد ليستريح ، فخرج بقية القوم ، وثبت أبو زينب وأبو المورع إلى أن تمكنا من سرقة خاتم الوليد من داره وخرجا . فلما استيقظ الوليد لم يجد خاتمه ، فسأل عنه زوجتيه ـ وكانتا فى مخدع تريان منه زوار الوليد من وراء ستر ـ فقالتا إن آخر من بقى فى الدار رجلان ، وذكرتا صفتهما وحليتهما للوليد ، فعرف أنهما أبو زينب وأبو المورع ، وأدرك أنهما لم يسرقا الخاتم إلا لمكيدة بيّتاها ، فأرسل فى طلبهما فلم يوجدا فى الكوفة ، وكانا قد سافرا توًا إلى المدينة ، وتقدما شاهدين على الوليد بشرب الخمر (وأكبر ظنى أنهما استلهما شهادتهما المزورة من تفاصيل الحادث الذى سبق وقوعه لقدامة بن مظعون فى خلافة عمر) فقال لهما عثمان : كيف رأيتما ؟ قالا : كنا فى غاشيته ، فدخلنا عليه وهو يقىء الخمر . فقال عثمان : =

. . . . : . . . .

= ما يقىء الخمر إلا شاربها . فجئ بالوليد من الكوفة فحلف لعثمان وأخبره خبرهم، فقال عثمان «نقيم الحدود ، ويبوء شاهد الزور بالنار » .
هذه قصة اتهام الوليد بالخمر كما فى حوادث سنة ٣٠ من تاريخ الطبرى ، وليس فيها ـ على تعدد مصادرها القديمة ـ شىء غير ذلك . وعناصر الخبر عند الطبرى أن الشهود على الوليد اثنان من الموتورين الذين تعددت شواهد غلهم عليه ، ولم يرد فى الشهادة ذكر الصلاة من أصلها فضلا عن أن تكون اثنتين أو أربعًا . وزيادة ذكر الصلاة هى الأخرى أمرها عجيب . فقد نقل خبرها عن الحضين بن المنذر (أحد أتباع على) أنه كان مع على عند عثمان ساعة أقيم الحد على الوليد ، وتناقل عنه هذا الخبر فسجله مسلم فى صحيحه (كتاب الحدود) ب ٨ ح ٣٨ ـ ج٥ ص ١٢٦ ، بلفظ شهدت عثمان بن عفان وأتى بالوليد قد صلى الصبح (ركعتين) ثم قال : أزيدكم ؟ فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر ، وشهد آخر أنه رآه يتقيأ » . فالشاهدان لم يشهدا بأن الوليد صلى الصبح ركعتين وقال أزيدكم ، بل شهد أحدهما بأنه شرب الخمر وشهد الآخر بأنه تقيأ . أما صلاة الصبح ركعتين وكلمة أزيدكم فهى من كلام حضين ، ولم يكن حضين من الشهود . ولا كان فى الكوفة فى وقت الحادث المزعوم، ثم إنه لم يسند هذا العنصر من عناصر الاتهام إلى إنسان معروف ، ومن العجيب أن نفس الخبر الذى فى صحيح مسلم وارد فى ثلاثة مواضع من مسند أحمد رويًا عن حضين ، وأما الذي سمعه من حضين فى صحيح مسلم هو الذى سمعه منه فى مسند أحمد بمواضعه الثلاثة ، فالموضعان الأول والثانى (ج ١ ص ٨٢ و ١٤٠ الطبعة الأولى ج٢ رقم ٦٢٤ و ١١٨٤ الطبعة الثانية) ليس فيهما ذكر للصلاة عن لسان حضين فضلا عن غيره ، فلعل أحد الرواة من بعده أدرك أن الكلام عن الصلاة ليس من كلام الشهود فاقتصر على ذكر الحد . وأما فى الموضع الثالث من مسند أحمد (ج ١ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ الطبعة الأولى ـ ج ٢ رقم ١٢٢٩) فقد جاء فيه على لسان حضين « أن الوليد صلى بالناس الصبح أربعًا » وهو يعارض ما جاء على لسان حضين نفسه فى صحيح مسلم ، ففى إحدى الروايتين تحريف الله أعلم بسببه . وفى الحالتين لا يخرج ذكر الصلاة عن أنه من كلام حضين وحضين ليس بشاهد ، ولم =

. . . .

= يرو عن شاهد، فلا عبرة بهذا الجزء من كلامه . وبعد أن علمت بأمر الموتورين فيما نقله الطبرى عن شيوخه . أزيدك علمًا بأمر حمران ، وهو عبد من عبيد عثمان كان قد عصى الله قبل شهادته على الوليد فتزوج فى مدينة الرسول امرأة مطلقة ودخل بها وهى فى عدتها من زوجها الأول ، فغضب عليه عثمان لهذا ولأمور أخرى قبله فطرده من رحابه وأخرجه من المدينة ، فجاء الكوفة يعيث فيها فسادًا ، ودخل على العابد الصالح عامر بن عبد القيس فافترى عليه الكذب عند رجال الدولة وكان سبب تسييره إلى الشام . وأنا أترك أمر هذا الشاهد والشاهدين الآخرين قبله إلى ضمير القارئ يحكم به عليهم بما يشاء ، وفى اجتهادى أن مثل هؤلاء الشهود لا يقام بهم حد الله على ظنين من السوقة والرعاع فكيف بصحابى مجاهد وضع الخليفة فى يده أمانة قطر وقيادة جيوش فكان عند الظن به من حسن السيرة فى الناس وصدق الرعاية لأمانات الله ، وكان موضع الثقة عند ثلاثة من أكمل خلفاء الإسلام أبى بكر وعمر وعثمان . وإن قرابة الوليد من عثمان التى يزعم الكذبة أنها سبب المحاباة منه لهم إنما كانت سبب التسامح من عثمان فى عزلهم والقسوة عليهم لئلا يقال: إن له هوى فى ذوى قرابته . ورأينا الذين يتسلون بأعراض الناس يتفكهون بأبيات ستة منسوبة إلى ماجن خسيس النفس وردت فى ص ٨٥ من ديوانه ، ولا تحملهم سليقة النقد على الشعور بما فى هذه الأبيات من التضارب والتعارض . فأين مدحه فيها للوليد بقوله :

ورأوا شمائل ما جد أنف … يعطى على الميسور والعسر

فنزعت مكذوبا عليك ولم … تردد إلى عوز ولا فقر

من بقية الأبيات التى فيها :

نادى وقد تمت صلاتهم … أأزيدكم ثملا وما يدرى

فالذى يقول البيت الأخير لا يعقل أن يقول معه البيتين الأولين فيكون مادحًا وذامًا فى قطعة واحدة لا تزيد على ستة أبيات . وقد كانت لى مقالة مطولة عن (التخليط فى الشعر) ضربت فيها الأمثلة على دس أبيات غريبة فى قصائد من وزنها ورويها لغير ناظمها، وعلى كل حال فالشهود الذين شهدوا بين يدى عثمان لم يدعوا حكاية الصلاة ، مع أنهم لم يكونوا ممن يخاف الله واليوم الآخر . والآن أقولها

أبى رسول الله ﷺ وأى حرج على المرء أن يولى أخاه أو قريبه (١٢١ ، ١٢٢) ؟ .

لوجه الله صريحة مدوية أن الوليد لو كان من رجال التاريخ الأوربى كلويس التاسع الذى أسرناه فى دار ابن لقمان بالمنصورة لعدوه قديسًا ، لأن لويس لم يحسن إلى فرنسا كإحسان الوليد بن عقبة إلى أمته ، ولم يفتح للنصرانية كفتح الوليد للإسلام ، والعجب لأمة تسىء إلى أبطالها ، وتشوه جمال تاريخها ، وتهدم أمجادها كما يفعل الأشرار منا ، ثم ينشر كيد هؤلاء الأشرار حتى يظن الأخيار أنه هو الحق . (خ) .

(١٢١) وقد تقدم فى هامش ص ٩٨ أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب جعل الأمراء فى مدة خلافته على أكثر أمصار حكمه من ذوى قرابته وأن رسول الله ﷺ ولى رجال بنى أمية وشبابهم ، وكذلك فعل أبو بكر وعمر ، فلم يفعل عثمان إلا الذى سبقه إليه النبى ﷺ وصاحباه . بل إن عثمان لما أقام الحد على أخيه لأمه فعل ما لا نظن أحدًا يفعله بشهادة الشهود المغرضين الذين لم يريدوا الله بشهادتهم . وإذا كان الشهود على الوليد من هذه الطبقة المغرضة فقد شهد له بظهر الغيب قاض من أعظم قضاة الإسلام فى التاريخ علماً وفضلاً وإنصافًا وهو الإمام عامر بن شراحيل الشعبى . روى الطبرى (٥/ ٦٠) أن الشعبى سمع فى أوائل بطولة مسلمة بن عبد الملك حفيدًا للوليد ابن عقبة يتحدث عن جهاد مسلمة ، فقال الشعبى : « كيف لو أدركتم الوليد غزوة وأمارته ؟ إن كان ليغزو فينتهى إلى كذا وكذا . . . وما قصر ، ولا انتقض عليه أحد. حتى عزل عن عمله وعلى الباب (أى الدربند ، وراء بحر الخزر فى روسيا ، وكان من أمنع معاقل الدنيا) عبد الرحمن الباهلى (وهو من أعظم قواد الوليد) . وأن كان مما زاد عثمان على يده (أى على يد الوليد) أن رد على كل مملوك بالكوفة من فضول الأموال ثلاثة فى كل شهر يتسعون بها من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم». فهذه الشهادة من الإمام الشعبى للوليد فى جهاده الحربى الظافر ، وفى إحسانه لرعيته فى معايشهم ، تفقأ عيون المبطلين، وتقر أعين الصالحين ، وصدق أمير المؤمنين عثمان يوم طيب قلب أخيه المظلوم بقوله : « نقيم الحدود ، ويبوء شاهد الزور بالنار » . « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك غفور رحيم » (خ) .

(١٢٢) ومما يؤسف له أن الشيخ محمدا أبا زهرة أستاذ الشريعة بجامعة القاهرة انساق مع =

. . . .

= من انساقوا فى أن من أسباب الثورة على عثمان ﷺ .

« اشتهاره بحبه لقرابته ، وليس فى ذلك إثم ولا لوم ، ولكنه ولاَّهم وقرَّبهم ، وكان يستشيرهم فى كثير من شؤون الدولة ، وفيهم من ليس أهلاً للثقة ، وبمقدار الإكثار من استشارتهم لم يكثر من استشارة علية الصحابة : كعلى بن أبى طالب ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة وغيرهم . . (المذاهب الإسلامية ص ٤٣) » .

نستدرك على عبارة الأستاذ أبى زهرة ما يلى:

أولا : ليس فى تولية الأقارب إثم ولوم ما داموا أكفاء مخلصين ، فقد ولى رسول الله ﷺ ابن عمه عليًّ بن أبى طالب على الأخماس باليمن والقضاء بها كما ولى كثيراً من رجال بنى أمية المناصب الهامة ، وهم يمتون إليه بالقرابة (راجع جوامع السيرة لابن حزم) وكذلك فعل على بن أبى طالب لما ولى الخلافة فكان من ولاته عبد الله بن عباس وقثم بن عباس ، وثمامة بن عباس . .

ثانيًا : كنا نتمنى من الأستاذ أبى زهرة أن يذكر لنا مثالاً من أقرباء عثمان ﷺ الذين ليسوا أهلا للثقة كما زعم . كما تقدم معنا .

ولعله يقصد بذلك مروان بن الحكم ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح الذى قال عنه (ص ٤٤) « كان النبى ﷺ قد أباح دمه إذ ارتد بعد إيمان ، وقد ولاه بعد عمرو بن العاص . . . » .

أما مروان فقد تحدث عنه مؤلف العواصم ما فيه الكفاية . .

وأما عبد الله بن سعد فقد ذكر الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى منهاج السنة (١٩٦) : كان عثمان شفع فى عبد الله بن سعد فقبل ﷺ شفاعته فيه وبايعه!» .

وقد أبلى هذا الصحابى بلاء حسنًا فى محاربة الروم ففتح بلاد النوبة وصالحه أهلها على دفع الجزية واشترك مع معاوية ﷺ فى تأسيس الأسطول الإسلامى وفى معركة « ذات الصوارى » فى حرب الروم حتى أتم النصر للمسلمين عليهم ، وكان لأسطول ابن سعد الفضل فى حماية سواحل مصر وأفريقية من غزو الروم فرحمه الله وجزاه عن الإسلام خير الجزاء . . =

١٣ـ وأما إعطاؤه خمس إفريقية لواحد فلم يصح (١٢٣) . على أنه قد ذهب

= ثالثًا : وما قاله الأستاذ أبو زهرة من إكثار استشارته لأقربائه من بنى أمية ، وعدم الإكثار من استشارة كبار الصحابة ، فكلام متهافت لا دليل له عليه ، والأدلة على عكس ما يقول أكثر من أن تذكر ، وهى مبينة بتفصيل فى بطون كتب التاريخ ويعرفها حتى صغار الطلبة !

وقد كان عثمان رضي الله عنه عالمًا بكل ذلك ، فكيف يكون من الحزم أن يتقاتل المسلمون ويذهب منهم كثير من الضحايا ، وهو عارف أنه مقتول لا محالة ؟!

ومما أخذه الأستاذ أبو زهرة وغيره على عثمان رضي الله عنه كما جاء فى المصدر السابق (ص ٤٦) .

« لم يكن رضي الله عنه حازمًا مع الذين ثاروا عليه وهاجموا داره . . ولو أنه أخذ أولئك العصاة بالشدة . . لأدى ذلك إلى نجاته . . . ولقد كان عظماء الصحابة على استعداد لنصرته ، وكلما هموا بحمل السلاح ثبطهم . . . وقد منعهم سيدنا عثمان إيثارًا للعاقبة ومنعًا للقتل والقتال بين المسلمين . . . » .

لقد غاب عن الأستاذ أبى زهرة أن عثمان رضي الله عنه كان عالمًا بمصيره فقد بشره رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبه كما جاء فى صحيح البخارى ، كما بشره بالشهادة أيضًا فعن أنس أن النبى ﷺ صعد أحدًا ، وأبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه برجله فقال : « اثبت أحد ، فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان» رواه البخارى » .

إن الحزم كل الحزم كان ما فعله هذا الخليفة الراشد ! (م) .

(١٢٣) والذى صح هو إعطاؤه خمس الخمس لعبد الله بن أبى سرح جزاء جهاده المشكور ، ثم عاد فاسترده منه . جاء فى حوادث سنة ٢٧ من تاريخ الطبرى (٥: ٤٩ مصر ، ١ : ٢٨١٤ ـ ٢٨١٥ طبع أوربا) أن عثمان لما أمر عبد الله بن سعد بن أبى سرح بالزحف من مصر على تونس لفتحها قال له : « إن فتح الله عليك غدا إفريقية فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلا » . فخرج بجيشه حتى قطعوا أرض مصر وأوغلوا فى أرض إفريقية وفتحوها سهلها وجبلها، وقسم عبد الله =

مالك وجماعة إلى أن الإمام يرى رأيه فى الخمس ، وينفذ فيه ما أداه إليه اجتهاده. وأن إعطاءه لواحد جائز ، وقد بينا ذلك فى مواضعه (١٢٤) .

= على الجند ما أفاء الله عليهم وأخذ خمس الخمس وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان مع وثيمة النصرى . فشكا وفد ممن معه إلى عثمان ما أخذه عبد الله بن سعد ، فقال لهم عثمان : أنا أمرت له بذلك ، فإن سخطتم فهو رد . قالوا : إنا نسخطه . فأمر عثمان عبد الله بن سعد بأن يرده فرده . ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر وقد فتح إفريقية .

(١٢٤) أى فى مؤلفاته الأخرى عند بسطه هذه المسألة من أحكام الفقه الإسلامى . قال الإمام عامر بن شراحيل الشعبى : « إنما القطائع على وجه النفل من خمس ما أفاء الله » . قال : « وأقطع عمر طلحة وجرير بن عبد الله والربيل بن عمرو . وأقطع (أى عمر) أبا مفزِّر دار الفيل » . وممن أقطعهم عمر بن الخطاب نافعًا أخا زياد وأبى بكرة لأمهما، أقطعه أرضًا فى البصرة لخيله وإبله مساحتها عشرة أجربة (انظر ترجمة نافع فى الإصابة) قال القاضى أبو يوسف فى كتاب الخراج (ص ٦١) وقد أقطع رسول الله ﷺ وتألف على الإسلام أقوامًا ، وأقطع الخلفاء من بعده من رأوا أن فى إقطاعه صلاحًا (وضرب أبو يوسف الأمثلة على ذلك) . وانظر باب القطائع فى ص ٧٧ ـ ٧٨ من كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشى طبع السلفية . وذكر الإمام الشعبى بعض الذين أقطعهم عثمان فقال : « وأقطع الزبير ، وخبابا ، وعبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وابن هبَّار أزمان عثمان ، فإن يكن عثمان أخطأ فالذين قبلوا منه الخطأ أخطؤوا ، وهم الذين أخذنا عنهم ديننا » (الطبرى ١٤٨/٤) . وأقطع على بن أبى طالب كردوس بن هانئ الكردوسية ، وأقطع سويدًا بن غفلة أرضًا لدا ذويه . فكيف ينكرون على عثمان ويسكتون عن عمر وعلى . وللقاضى أبى يوسف كلام سديد فى هذا الموضوع فى كتاب الخراج (ص ٦٠ ـ ٦٢ طبعة السلفية سنة ١٣٥٢) . وما زعمه الزاعمون من أن عثمان كان يود ذوى قرابته ويعطيهم ، فمودته ذوى قرابته من فضائله ، وعلىٌ أثنى على عثمان بأنه أوصل الصحابة للرحم ، وعثمان أجاب عن موقفه هذا بقوله: « وقالوا إنى أحب أهل بيتى وأعطيهم . فأما حبى لهم فإنه لم يمل معهم على جور ، بل أحمل الحقوق عليهم . وأما إعطاؤهم فإنى إنما أعطيهم =

١٤ـ وأما قولهم إنه ضـرب بالعصا ، فما سمعـته ممن أطاع أو عصى ، وإنما هو باطل يحكى ، وزور ينثى (١٢٥)، فيالله وللنهى .

١٥ ـ وأما علوه على درجة رسول الله ﷺ ، فما سمعته ممن فيه تقية. وإنما هى إشاعة منكر ، ليروى ويذكر ، فيتغير قلب من يتغير . قال علماؤنا : ولو صح ذلك فما فى هذا ما يحل دمه . ولا يخلو أن يكون ذلك حـقًا فلم تنكره الصحابة عليه إذ رأت جوازه ابتداء أو لسبب اقتضى ذلك . وإن كان لم يكن فقد انقطع الكلام (١٢٨).

= من مالى ، ولا أستحل أمـوال المسلمين لنفسى ، ولا لأحد من الناس . وقد كنت أعطى العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالى أزمان رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر ، وأنا يومئذ شـحيح حريص . أفحين أتت على أسنان أهل بيـتى وفنى عمرى وودعت الذى لى فى أهلى قال الملحدون ما قالوا ؟ وقال الطبرى (٥/ ١٠٣) : وكان عثمان قد قسم مـاله وأرضه فى بنـى أمية ، وجـعل ولده كبـعض من يعطى ، فبـدأ ببنى أبى العاص فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف فأخذوا مائة ألف ، وأعطى بنى عثـمان مـثل ذلك ، وقسم فى بنى العـاص وبنى العيص وفي بـنى حرب . بل تمادى شيخ الإسلام ابن تيمية مع أوسع الاحتمالات فذكر في منهاج السنة (٣/ ١٨٧ ، ١٨٨) أن سهم ذوى القربى ذهب بعض الفقهاء إلى أنه لقـرابة الإمام كما قاله الحسن وأبو ثور ، وأن النبى ﷺ كان يعطى أقاربه بحكم الولاية . . وقيل هو لمن ولى الأمر بعده . . قال : وبالجملة فـعامة من تولى الأمر بعد عمـر كان يخص بعض أقاربه إما بولاية ، أو بمال ، ثم قـال في (٣/ ٢٣٧) : « أن ما فـعله عـثمـان فى المال له ثلاثة مآخذ: أحدهما أنه عامل عليه، والعامل يستحق مع الغنى. الثانى أن ذوى القربى هم ذوو قربى الإمام . الثالث أنهم (أى ذوو قـربى عثمان) كانوا قبيلة كـثيرة ليسوا مثل قبيلـة أبى بكر وعمر ، فكان يحتـاج إلى إعطائهم وولايتهم أكثر من حـاجة أبى بكر وعمر إلى تولية أقاربهما وإعطائهم . وهذا مما نقل عن عثمان الاحتجاج به» (خ).

(١٢٥) نثى الخبـر والحديث : أذاعـه وأظهره . والنثا مـثل الثناء ، إلا أنه فى الخيـر والشر ، والثانى فى الخير خاصة . (م) .

(١٢٨) كان مسجد رسول الله ﷺ ضيق المساحة فى عصر النبوة وخلافة أبى بكر، وكان من=

١٦ ـ وأما انهزامه يوم حنين ، وفراره يوم أحد ، ومغيبه عن بدر وبيعة الرضوان، فقد بين عبد الله بن عمر وجه الحكم فى شأن البيعة وبدر وأحد . وأما يوم حنين فلم يبق إلا نفر يسير مع رسول الله ﷺ ولكن لم يجر فى الأمر تفسير من بقى ممن مضى فى الصحيح ، وإنما هى أقوال ، منها أنه ما بقى معه إلا العباس وابناه عبد الله وقثم، فناهيك بهذا الاختلاف، وهو أمر قد اشترك فيه الصحابة، وقد عفا الله عنه ورسوله، فلا يحل ذكر ما أسقطه الله ورسوله والمؤمنون، أخرج البخارى(١٢٩) : جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان ، فذكر عن محاسن عمله وقال : لعل ذلك يسوؤك ؟ قال : نعم . قال : فأرغم الله بأنفك . ثم سأله عن على ، فذكر محاسن عمله وقال : هو ذاك بيته أوسط بيوت النبى ﷺ ثم قال : لعل ذلك يسوؤك ؟ قال : أجل . قال : فأرغم الله بأنفك . انطلق فأجهد على جهدك . وقد تقدم فى حديث « بنى الإسلام على خمس » زيادة فيه للبخارى فى على وعثمان(١٣٠) . وقد أخرج البخارى أيضًا (١٣١) من حديث عثمان بن عبد الله بن موهب قال : جاء رجل من أهل مصر يريد حج البيت فرأى قومًا جلوسًا ، فقال : من هؤلاء القوم ؟ قالوا : هؤلاء قريش . قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر . قال : يا بن

= مناقب عثمان فى زمن النبى ﷺ عندما زاد عدد الصحابة أن اشترى من ماله مساحة من الأرض وسع بها المسجد النبوى ، ثم وسعه أمير المؤمنين عمر فأدخل فيه دار العباس بن عبد المطلب . ثم ازداد عدد المصلين بازدياد عدد سكان المدينة وقاصديها فوسعه أمير المؤمنين عثمان مرة أخرى وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع وجدد بناءه . فاتساع المسجد وازدياد غاشيته وبعد أمكنة بعضهم عن منبر الخطابة يجوز أن يكون من ضرورات ارتفاع الخطيب ليراهم ويروه ويسمعوه . (خ) .

(١٢٩) فى كتاب فضائل الصحابة (ك ٦٢ ب ٩ـ ج٤ ص ٢٠٨) من حديث سعد بن عبيدة. (خ) .

(١٣٠) لعل المؤلف يشير إلى حديث ابن عمر فى كتاب التفسير من صحيح البخارى (ك ٦٥ ب ٢ تفسير البقرة الحديث ٣٠ ج ٥ ص ١٥٧) (خ) .

(١٣١) فى كتاب فضائل الصحابة (ك ٢٦ ب ٧ ج ٤ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤) . (خ) .

عمر ، إنى سائلك عن شىء فحدثنى عنه ، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد ؟ قال : نعم . فقال : تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد ؟قال : نعم . قال: الله أكبر ! قال ابن عمر: تعال أبين لك. أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له . وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه (١٣٢). وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله ﷺ عثمان (١٣٣) وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة (١٣٤) ، فقال رسول الله ﷺ بيده

(١٣٢) وبعث النبى ﷺ ببشرى النصر فى بدر مع زيد بن حارثة إلى عثمان في المدينة . قال أسامة بن زيد ـ فيما رواه الطبرى ٢ :٢٨٦ : « فأتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ التى كانت عند عثمان بن عفان ، وكان رسول الله ﷺ خلفنى عليها مع عثمان » ثم فى ربيع الأول من السنة التالية لغزوة بدر تزوج عثمان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، وأدخلت عليه فى جمادى الآخرة . (خ) .

(١٣٣) وقبل أن يبعث عثمان دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال عمر : يا رسول الله إنى أخاف قريشا على نفسى ، وليس فى مكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى . ولكنى أدلك على رجل هو أعز منى فيها : عثمان بن عفان . فدعاه رسول الله ﷺ فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش . ويوم تدون الدول الإسلامية تاريخ السفارات فى الإسلام ، سيكون اسم عثمان أول سفراء الإسلام فى التاريخ (خ) .

(١٣٤) لأن عثمان لما أدى رسالته فى السفارة التى بعث لها احتبس أيامًا ، فلم يعد إلى النبى ﷺ فى الموعد الذى كان يقدر له أن يعود فيه ، فوصل الخبر إلى النبى ﷺ بأن سفيره قتل ، فدعا النبى ﷺ الصحابة إلى بيعة الرضوان ، انتصارًا لعثمان ، على نية أن يذهب بأصحابه إلى مكة فيناجز المشركين لما بلغه عن قتلهم عثمان فبيعة الرضوان كانت رمزًا من رموز الشرف لعثمان وأي شرف أعظم من اجتماع قوى الإسلام بقيادة الرسول الأعظم للأخذ بثأر هذا الرجل الحبيب إلى المسلمين ، والرفيع المنزلة عند سيد الأولين والآخرين . ثم لما علم النبى ﷺ- فى اللحظة الأخيرة التى اجتمع فيها الصحابة لعقد البيعة ـ أن عثمان حى، مضى فى إتمام البيعة ، على سنته ﷺ فى أنه=

اليمنى : « هذه يد عثمان » فضرب بها على يده فقال : « هذه لعثمان (١٣٥) » . ثم قال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك (١٣٦) .

= إذا بدأ بخير يمضى فى إكماله ولو زال سببه . وحينئذ كان لعثمان الشرف المضاعف بأن يد رسول الله ﷺ نابت عن يده في عقد البيعة عنه، فبيعة الرضوان كانت انتصارا لعثمان وجميع الصحابة بايعوا بأيدى أنفسهم إلا عثمان فإن أشرف يد فى الوجود نابت عن يده فى إعطاء بيعته ولو لم يكن لعثمان من الشرف فى حياته كلها إلا هذا لكفاه . (خ) .

(١٣٥) أخرج البخارى نحوه فى صحيحه (٧/ ٢٩١) (م) .

(١٣٦) لو أن أمير المؤمنين عثمان كان من حواريى المسيح عليه السلام ، وكانت له من سيدنا عيسى ابن مريم مثل هذه المنقبة التى كرمه الله بها من نبى الرحمة محمد ﷺ ، لعبدته النصارى لأجلها . فالعجب لأمة يكون فيها جهلة يعيبون على عثمان ـ فى زمانه ـ غيبته عن بيعة الرضوان ، ويكون فيهم من يستشعر الشجاعة فى نفسه عند الإقدام على سفك دم هذا الخليفة الرحيم لأمور هذا منها ، ثم يحمل مثل هذا الجهل فى دماغه رجل جاء يعبد الله بأداء فريضة الحج فيواجه به جماعة الصحابة من قريش ورئيسهم عبد الله بن عمر ، ثم تمس الحاجة إلى التعرض لبيان هذه الحقائق فى عصر القاضى أبى بكر بن العربى ، ثم يشعر أمثالنا فى عصرنا بأن عثمان لا يزال من بعض أمته فى موقف يحتاج فيه إلى إنصافه (*) ودفع قالة السوء عنه . حقًا إننا أمة =

(*) ونقول بهذه المناسبة : أن عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه ينبغى أن يسمى العصر الذهبى للإسلام على الرغم من تشويهه من قبل الحساد والمفترين والمضللين ، رحمه الله تعالى وأجزل ثوابه ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين بما هو أهله ، أجر ما جاهد وأنفق من قبل الفتح ، ومن بعد الفتح ، وحتى زمن خلافته .

لقد تمت فى عهد هذا الخليفة العظيم أمور تنظيمية ، وكان من أجلها جمعه الناس على مصحف واحد .

وزاد فى عطاء الناس مائة مائة كما رأينا بل روى ما يدل على ما كان من كثرة الخير فى زمنه والتوسع فى العطاء وتنويعه حيث روى عن الحسن البصرى من علماء التابعين قال : « شهدت منادى عثمان ينادى : أيها الناس اغدوا على أعطياتكم فيغدون ، ويأخذونها وافية ، ثم ينادى : أيها الناس اغدوا على أرزاقكم فيغدون ويأخذونها وافية ، حتى ـ والله سمعته أذناى يقول : اغدوا على كسوتكم فيأخذون الحلل ، واغدوا على السمن والعسل : أرزاق دارة ، وخير كثير وذات بين حسن . ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمنا ، إلا يرده وينصره ويألفه . فلو صبر الأنصار على الأثرة ، لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق . .

واستمرت حركة الفتح فى مختلف الميادين فى زمنه فتم فى عهده فتح شمال إفريقية ، وفتح الإسكندرية مرة ثانية بعد ما كرّ الروم عليها وغزا بلاد النوبة وأخذ الجزية من أهلها على يد قائده عبد الله بن سرح . =

١٧ـ وأما امتناعه عن قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان ، فإن ذلك باطل [(١٣٧)] .

= مسكينة . . . ولأمر ما بلغ بنا الحال بين الأمم إلى ما كنا فيه ، وإلى ما لا نزال غارقين فيه « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . (خ) .

(١٣٧) بشهادة ابنه القماذبان . روى الطبرى (٥/ ٤٣ ، ٤٤ مصر و ١ : ٢٨٠١ طبعة أوربا) عن سيف بن عمر بسنده إلى أبى منصور قال : سمعت القماذبان يحدث عن قتل أبيه . . . قال : « فلما ولى عثمان دعانى فأمكننى منه (أى من عبيد الله بن عمر بن الخطاب) ثم قال : « يا بنى هذا قاتل أبيك ، وأنت أولى به منا ، فاذهب فاقتله » . فخرجت به وما فى الأرض أحد إلا معى ، إلا أنهم يطلبون إلى فيه . فقلت لهم : إلى قتله ؟ قالوا : نعم . وسبوا عبيد الله . فقلت : أفلكم أن تمنعوه ؟ قالوا : لا . وسبوه . فتركته لله ولهم . فاحتملونى . فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرجال وأكفهم » . هذا كلام ابن الهرمزان ، وإن كل منصف يعتقد (ولعل ابن =

= وفى خلافة عثمان أنشئ أول أسطول إسلامى ، وأول من فكر فى ذلك معاوية بن أبى سفيان ، وكان واليًا على الشام ، استعان بهذا الأسطول على غزو قبرص واخذ الجزية من أهلها .

ولقد اقتدى عبد الله بن سعد والى مصر بمعاوية ،فأنشأ هو الآخر أسطولا لحماية سواحل مصر وشمال أفريقية .

وارتاع الروم من تقدم العرب البحرى فسيروا أسطولا عظيمًا بلغ عدد مراكبه ٦٠٠ لعلهم يقضون به على القوة البحرية الإسلامية الناشئة التى أذهلتهم ، وكان ذلك بقيادة الملك قسطنطين نفسه على ما رواه الطبرى .

وقد قابلت أساطيل المسلمين هذه الحملة البحرية بحماسة وشجاعة واشتبكت معها فى معركة « ذات الصوارى » ثم تم النصر فيها للمسلمين بعدما غطت القتلى من الطرفين سطح البحر واحمرت مياهه بدمائهم.

وفى عهد الخليفة عثمان تم فتح أرمينية وأذربيجان كما تم فتح بقية بلاد فارس .

وقد عم الرخاء في عهد عثمان بسبب هذه الفتوحات وكثر المال والرقيق بصورة لم يعرف لها مثيل من قبل !

وقد رثى امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه كثير من الشعراء نذكر منهم ليلى الأخيلية فى بعض ابيات لها قالت :

أبعد عثمان ترجو الخير أمته	قد كان أفضل من يمشى على ساق
خليفة الله أعطاهم وخولهم	ما كان من ذهب حلو وأوراق (م)

[وإن] كان لم يفعل فالصحابة متوافرون ، والأمر فى أوله (١٣٨) . وقد قيل : إن الهرمزان سعى فى قتل عمر ، وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه (١٣٩). وكان قتل عبيد الله له ، وعثمان لم يل بعد . ولعل عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقا ، لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله (١٤٠). وأيضًا فإن أحدًا لم يقم بطلبه [فكيف]

= الهرمزان أيضًا كان يعتقد) أن دم أمير المؤمنين عمر فى عنق الهرمزان ، وأن أبا لؤلؤة لم يكن إلا آلة فى يد هذا الفارسى . وإن موقف عثمان وإخوانه أصحاب رسول الله ﷺ من هذا الحادث لا نظير له فى تاريخ العدالة الإنسانية . (خ) .

(١٣٨) وقد تصرف عثمان فى هذا الأمر بعد أن ذاكر الصحابة فيه . قال الطبرى (٥/ ٤١) جلس عثمان فى جانب المسجد ودعا عبيد الله وكان محبوسًا فى دار سعد بن أبى وقاص ، وهو الذى نزع السيف من يده . . . فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار : أشيروا على فى هذا الذى فتق فى الإسلام ما فتق . فقال على : أرى أن تقتله . فقال بعض المهاجرين : قتل عمر أمس ، ويقتل ابنه اليوم ؟! فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ، إن الله أعفاك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان ، إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك . قال عثمان : أنا وليهم ، وقد جعلتها دية ، واحتملتها فى مالى . (خ) .

(١٣٩) فى تاريخ الطبرى (٥/ ٤٢) حديث سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قال غداة طعن عمر : « مررت على أبى لؤلؤة عشى أمس ، ومعه جفينة (وكان نصرانيًا من أهل الحيرة ظئرًا لسعد بن أبى وقاص) والهرمزان ، وهم نجى ، فلما رهقتهم ثاروا ، وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه . فانظروا بأى شيء قتل ؟ وخرج فى طلبه رجل من بنى تميم ، فرجع إليهم التميمى وقد كان ألظ بأبى لؤلؤة منصرفه عن عمر حتى أخذه . وجاء بالخنجر الذى وصف عبد الرحمن بن أبى بكر فسمع بذلك عبيد الله بن عمر . فأمسك حتى مات عمر ، ثم اشتمل على السيف فأتى الهرمزان فقتله » (خ) .

(١٤٠) وكذلك حبر الأمة عبد الله بن عباس رأى جواز قتل علوج الفرس الذين فى المدينة بلا استثناء .قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣: ٢٠٠) : وقد قال عبد الله=

يصح مع هذه الاحتمالات كلها أن ينظر فى أمر لم يصح ؟

١٨ ـ وأما تعلقهم بأن الكتاب وجد مع غلامه ـ ولم يقل أحد قط إنه كان غلامه (١٤١) ـ إلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح يأمره بقتل

= ابن عباس لما طعن عمر ـ وقال له عمر : كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة ـ فقال (أى ابن عباس) : « إن شئت أن نقتلهم » فقال عمر : « كذبت » أفبعد أن تكلموا بلسانكم ، وصلوا إلى قبلتكم ؟» . قال ابن تيمية : فهذا ابن عباس ـ وهو أفقه من عبيد الله بن عمر وأدين وأفضل بكثير ـ يستأذن عمر فى قتل علوج الفرس مطلقًا الذين كانوا بالمدينة ، لما اتهموهم بالفساد ، اعتقد جواز مثل هذا . . وإذا كان الهرمزان ممن أعان على قتل عمر كان من المفسدين فى الأرض المحاربين فيجب قتله لذلك . ولو قدر أن المقتول معصوم الدم يحرم قتله ، لكن كان القاتل متأولا ويعتقد حل قتله لشبهة ظاهرة ، صار ذلك شبهة تدرأ عن القاتل (يعنى عن عبيد الله بن عمر) . قلت :وإلى هذا ذهب عثمان فى اكتفائه بالدية واحتملها من ماله الخاص (*) . ولو أن حادث مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ بجميع ظروفه ـ وقع مثله فى أى بلد آخر مهما بلغ فى ذروة الحضارة لما كان منهم مثل الذى كان من الصحابة فى تسامحهم إلى حد المطالبة حتى بقتل ابن أمير المؤمنين المقتول بيد الغدر والنذالة والبغى الذميم (خ) .

(١٤١) وإنما قالوا إنه غلام الصدقة ، أى أحد رعاة إبل الصدقة . وإبل الصدقة ألوف كثيرة لها مئات من الرعاة . وإن صح أنه من رعاة إبل الصدقة فهؤلاء لكثرتهم وتبدلهم دائمًا بغيرهم لا يكاد يعرفهم رؤساؤهم فضلا عن أن يعرفهم أمير المؤمنين وكبار عماله وأعوانه . ومع افتراض أنه من رعاة إبل الصدقة فما أيسر أن يستأجره هؤلاء البغاة =

(*) وكما قتل عبيد الله بن عمر الهرمزان ، قتل ابنة أبى لؤلؤة ، وقتل أيضًا جفينة النصرانى لاتهامه بذلك ، فقال أعداء عثمان رضي الله عنه أنه لم يقتص من عبيد الله بسبب ذلك .

والجواب أن ابنة أبى لؤلؤة كانت مجوسية ، وجفينة كان نصرانيًا وقد قال النبى ﷺ كما جاء فى البخارى : « لا يقتل مسلم بكافر » (١) وقد دفع عثمان ديتهما كما دفع دية الهرمزان بعد عفو ابنه عن عبيد الله كما رأينا فى غير هذا المكان (م) .

(١) رواه البخارى (١١١ ، ٧ ، ٣٠ ، ٦٩٠٣ ، ٦٩١٥) من حديث على بن أبى طالب (ع) .

حامليه (١٤٢) . فقد قال لهم عثمان : إما أن تقيموا شاهدين على [بذلك] ، وإلا فيميني أني ما كتبت ولا أمرت (١٤٣) . وقد يكتب على لسان الرجل ، ويضرب على

= لغرض من أغراضهم . وقد ثبت أن الأشتر وحكيم بن جبلة تخلفا في المدينة عند رحيل الثوار عنها مقتنعين بأجوبة عثمان وحججه ، وفي مدة تخلف الأشتر وحكيم ابن جبلة تم تدبير الكتاب وحامله للتذرع بهما فى تجديد الفتنة ورد الثوار ولم يكن لأحد غير الأشتر وأصحابه مصلحة في تجديد الفتنة. وكم لهم من حيل أكثر التواء من استئجار راع يرعى إبل الصدقة . بل لقد ذكروا عن محمد بن أبى حذيفة ربيب عثمان الآبق من نعمته أنه كان فى نفس ذلك الوقت موجودًا في مصر يؤلب الناس على أمير المؤمنين ويزور الكتب على لسان أزواج النبى ﷺ ويأخذ الرواحل فيضمرها ويجعل رجالا على ظهور البيوت فى الفسطاط ووجوههم إلى الشمس لتلوح وجوههم تلويح المسافر ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق الحجاز بمصر ثم يرسلوا رسلا يخبرون عنهم الناس ليستقبلوهم . . . فإذا لقوهم قالوا أنهم يحملون كتبًا من أزواج النبى ﷺ فى الشكوى من حكم عثمان ، وتتلى هذه الكتب فى جامع عمرو بالفسطاط على ملأ الناس وهى مكذوبة مزورة وحملتها كانوا فى مصر ولم يذهبوا إلى الحجاز (انظر كتاب الأستاذ المحقق الشيخ صادق عرجون عن « عثمان بن عفان » ص ١٣٢ ـ ١٣٣). فتزوير الكتب فى مأساة البغى على أمير المؤمنين عثمان كان من أسلحة البغاة استعملوه من كل وجه وفى كل الأحوال . وقد تقدم المثال على ذلك ، وسيأتى طرف منه فيما بعد .

(١٤٢) وكيف يكتب إلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح وقد أذن له بالمجيء إلى المدينة ويعلم أنه خرج من مصر (الطبرى ٥: ١٢٢) وكان المتسلط على الحكم فى الفسطاط محمد ابن أبى حذيفة رئيس البغاة وعميدهم فى هذه الجهة . ومضمون الكتاب المزور قد اضطرب رواة أخباره فى تعيين مضمونه وسيأتى الكلام على ذلك كله فيما بعد. (خ).

(١٤٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (١٨٨/٣) : كل ذى علم بحال عثمان يعلم أنه لم يكن ممن يأمر بقتل محمد بن أبى بكر ولا أمثاله ، ولا عرف منه قط أنه قتل أحدا من هذا الضرب . وقد سعوا فى قتله (أى فى قتل أمير المؤمنين عثمان) ودخل عليه محمد فيمن دخل، وهو لا يأمر بقتالهم دفعا عن نفسه، فكيف يبتدئ =

خطه ، وينقش على خاتمه(١٤٤) .

فقالوا : [تسلم] لنا مروان . فقال : لا أفعل . ولو سلمه كان ظالما(١٤٥) وإنما عليهم أن يطلبوا حقهم عنده على مروان وسواه ، فما ثبت كان هو منفذه ، وآخذه [إن كان له أخذه] والممكن لمن يأخذه بالحق . ومع سابقته وفضيلته ومكانته لم يثبت عليه ما يوجب خلعه فضلا عن قتله .

وأمثل ما روى فى قصته أنه ـ بالقضاء السابق ـ تألب عليه قوم لأحقاد اعتقدوها: ممن طلب أمرًا فلم يصل إليه ، وحسد حسادة أظهر داءها ، وحمله على ذلك قلة دين وضعف يقين ، وإيثار العاجلة على الآجلة(١٤٦) . وإذا نظرت إليهم ذلك

= بقتل معصوم الدم . (خ) .

(١٤٤) وقد حدث مثل ذلك فى زمن عمر، كما رواه البلاذرى فى فتوح البلدان (ص ٤٤٨ طبع سنة ١٣٥٠) ، والحافظ ابن حجر فى الإصابة (٥٢٨/٣ طبع سنة ١٣٢٨) . (خ) .

(١٤٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (١٨٩:٣) بل عثمان إن كان أمر بقتل محمد بن أبى بكر هو أولى بالطاعة ممن طلب قتل مروان ، لأن عثمان إمام هدى وخليفة راشد يجب عليه سياسة رعيته وقتل من لا يدفع شره إلا بقتله . وأما الذين طلبوا قتل مروان فقوم خوارج مفسدون فى الأرض ليس لهم قتل أحد ولا إقامة حد. وليس مروان أولى بالفتنة والشر من محمد بن أبى بكر ، ولا هو (أى ابن أبى بكر) أشهر بالعلم والدين منه (أى من مروان) . بل أخرج أهل الصحاح عدة أحاديث عن مروان ، وله قول مع أهل الفتيا ، واختلف فى صحبته . ومحمد بن أبى بكر ليس بهذه المنزلة عند الناس . . ومروان من أقران ابن الزبير . . إلخ . (خ) .

(١٤٦) بمثل هذه الأوصاف وصفهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى الخطبة التى خطبها على الغرائر فى معسكره بالكوفة عندما كان الصحابى الفارس المجاهد القعقاع بن عمرو التميمى يسعى بإتمام المهمة التى جاءت عائشة وطلحة والزبير لإتمامها ، فروى الطبرى (٥ :١٩٤) أن عليًا ذكر إنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله ﷺ ، ثم الذى يليه، ثم الذى يليه. وقال على مسمع من قتلة عثمان: « ثم حدث =

صريح ذكرهم على دناءة [قدرهم][١٤٧] وبطلان أمرهم[١٤٨] .

كان الغافقى المصرى أمير القوم[١٤٩] ، . . . .

= هذا الحدث الذى جره على الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أفاء الله عليه على الفضيلة ، وأرادوا رد الأشياء على أدبارها » . ثم ذكر أنه راحل غداً إلى البصرة ليجتمع بأم المؤمنين وأخويه طلحة والزبير وقال : « ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان رضي الله عنه بشىء فى شىء من أمور الناس ، وليغن السفهاء عنى أنفسهم». (خ) .

(١٤٧) هكذا فى المخطوطة ـ ولكن الشيخ محبًا أثبتها (قلوبهم) ولم يشر إلى ذلك .

(١٤٨) أجملنا فى ما مضى أوصاف البارزين ممن خرج على عثمان . أول من اكتشف سريرتهم ، ونظر إلى وجوههم بنور الله فتشاءم منهم ، رجل الإسلام المحدث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب صاحب الفراسة التى لا تخطئ . روى الطبرى (٤ :٨٦) أن عمر لما استعرض الجيوش للجهاد سنة ١٤ مرت أمامه قبائل السكون اليمنية مع أول كندة يتقدمهم حصين بن نمير السكونى ومعاوية بن حديج أحد الصحابة الذين فتحوا مصر ثم كان أحد ولاتها ، فاعترضهم عمر ، فإذا فيهم فتية دلم سباط ، فأعرض عنهم ثم أعرض ثم أعرض ، حتى قيل له : مالك ولهؤلاء فقال : إنى عنهم لمتردد ، وما مر بى قوم من العرب أكره إلى منهم . فكان منهم سودان بن حمران وخالد بن ملجم وكلاهما من البغاة على عثمان . (خ) .

(١٤٩) هو الغافقى بن حرب العكى من أبناء وجوه القبائل اليمنية التى نزلت مصر عند الفتح.
فأما تظاهر ابن سبأ بالتشيع لعلى ولم يجد مرتعًا لفساده فى الحجاز ولا فى الشام ، اكتفى باصطناع بعض الأعوان فى البصرة والكوفة ، واختار الإقامة فى الفسطاط ، فكان الغافقى هذا من قنائصه ، وقد استمالوه من ناحية تهافته على الرئاسة والجاه . وكان محمد بن أبى حذيفة ابن عتبة الأموى ربيب عثمان الآبق من نعمته هو اليد اليمنى لتنفيذ خطط السبأيين فى مصر . والغافقى للتصدر والظهور . وفى شوال سنة ٣٥ أعدوا عدتهم للزحف من مصر على المدينة بأربع فرق مجموع رجالها نحو ستمائة وعلى كل فرقة رئيس ورئيسهم العام الغافقى هذا، وتظاهروا بأنهم يقصدون الحج . =

وكنانة بن بشر التجيبي (١٥٠) ، ....

= وفى المدينة تطورت حركاتهم إلى أن استفحل الأمر ومنعوا عثمان من الصلاة بالناس فى المسجد النبوى فصار الغافقى هو الذى يصلى بالناس (الطبرى ٥ : ١٠٧) ثم لما أقنعهم الشيطان بالجرأة على الجناية الكبرى كان الغافقى أحد المجترئين عليه وضربه بحديدة معه وضرب (*) المصحف برجله فاستدار (الطبرى ٥ : ١٣٠) وبعد قتل عثمان بقيت المدينة خمسة أيام وأميرها الغافقى بن حرب (الطبرى ٥: ١٥٥) . (خ).

(١٥٠) وهذا أيضًا كان من قناصص ابن سبأ فى مصر . ولما أرسل عثمان عمارًا (**) إلى مصر ليكتشف له أمر الإشاعات وحقيقة الحال ، استماله السبأيون ، وكان كنانة بن بشر هذا واحدا منهم (الطبرى ٥ / ٩٩) . وعندما جمعوا أوشاب القبائل للزحف على المدينة بحيلة الحج فى شوال سنة ٣٥ انقسموا فى مصر إلى أربع فرق على كل فرقة أمير ، وكان كنانة بن بشر أميرًا على إحدى هذه الفرق (الطبرى ٥ : ١٠٣) ثم كان فى طليعة من اقتحم الدار على عثمان وبيده شعلة من نار تنضج بالنفط ، فدخل من دار عمرو بن حزم ودخلت الشعل على أثره (الطبرى ٥ : ١٢٣) ، ووصل كنانة التجيبى إلى عثمان فأشعره مشقصًا (أى نصلا طويلا عريضًا) فانتضح الدم على آية « فسيكفيكهم الله » (الطبرى ٥ / ١٢٦) ؛ وقطع يد نائلة زوجة عثمان واتكأ بالسيف على صدر عثمان وقتله (الطبرى ٥ : ١٣١) ، قال محمد بن عمر الواقدى: حدثنى عبد الرحمن بن أبى الزناد المدنى ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى المدنى المتوفي سنة ٤٣ قال : الذى قتل أمير المؤمنين عثمان هو كنانة بن بشر ابن عتاب التجيبى (الطبرى ٥ : ١٣٢) وفيه يقول الوليد بن عقبة بن أبى معيط :

ألا إن خير الخلق بعد ثلاثة   قتيل التجيبى الذى جاء من مصر

وكانت عاقبة كنانة هذا وقوعه قتيلا فى الحرب التى نشبت سنة ٣٨ فى مصر =

(*) في سند هذا الخبر الغريب الموحش سيف الذى يكتب التاريخ ، وهو متهم بالكذب كما جاء فى الميزان واللسان . (م) .

(**) قضية استمالة السبأيين لعمار ، وصلاة الغافقى بالناس فى المدينة فى سندهما سيف بن عمر التيمى الجرمى ضعيف جدا واتهم بالوضع والزندقة ! كما جا فى التهذيب لابن حجر وهكذا نرى قسما كبيرا من تاريخنا من وضع الزنادقة فهل من معتبر ؟! (م) .

وسودان بن حمران (١٥١) ، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى (١٥٢) ، وحكيم بن

= بين محمد بن أبى بكر الصديق نائب على وبين عمرو بن العاص ومن معه من جيش معاوية بن حديج السكونى (الطبرى ٦ / ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠) . (خ) .

(١٥١) السكونى ، من قبائل مراد اليمنية النازلة فى مصر . وقد تقدم أنه كان فى سنة ١٤ـ أحد الذين قدموا فى خلافة عمر للجهاد مع جيوش اليمن بقيادة حضين بن نمير ومعاوية بن حديج ، فلما استعرضهم أمير المؤمنين وقع نظره على سودان بن حمران هذا وعلى زميله خالد بن ملجم فتشاءم منهما وكرههما . ولما أرسل أمير المؤمنين عثمان عماراً إلى مصر ليكتشف له مصدر الإشاعات الكاذبة وحقيقة الحال التف السبأيون بعمار وكان سودان بن حمران منهم (الطبرى ٥ : ٩٩) . ولما سير السبأيون متطوعة الفتنة من أوشاب القبائل اليمنية التى فى مصر فى شوال سنة ٣٥ نحو المدينة وجعلوهم أربع فرق كان سودان قائد إحدى هذه الفرق (الطبرى ٥ : ١٠٣) ، ولما وصل متطوعة الفتنة إلى المدينة وخرج لهم محمد بن مسلمة ليعظم لهم (الطبرى ٥: ١١٨) . وفى ٥ : ١٣١ من تاريخ الطبرى وصف تسور سودان ومعه آخرون من دار عمرو بن حزم إلى دار عثمان . وفى ٥ : ١٣٠ بعض تفاصيل ما وقع من سودان عند ارتكابهم الجناية العظمى . ولما انتهوا من قتل أمير المؤمنين خرج سودان من الدار وهو ينادى : قد قتلنا عثمان بن عفان (الطبرى ٥ : ١٢٣) . (خ) .

(١٥٢) كان أبوه رجلا مسناً من مسلمة الفتح . وورد ذكر عبد الله بن بديل فى الفتنة العظمى على أمير المؤمنين عثمان ، فذكر الطبرى (٥/ ١٢٤ ، ١٢٥) أن المغيرة بن الأخنس ابن شريق الثقفى حليف بنى زهرة خرج هو وعبد الله بن الزبير ومروان وغيرهم يدافعون عن أمير المؤمنين على باب الدار ، فحمل عبد الله بن بديل على الأخنس بن شريق وقتله. ونقل الحافظ ابن حجر فى الإصابة (٢/ ٢٨٠) عن ابن الكلبى أن عبد الله بن بديل وأخاه عبد الرحمن شهدا صفين مع على وقتلا بها . والظاهر أن أخاه قتل قبله ، فقد نقل ابن حجر (فى الإصابة ٢ / ٢٨١) عن ابن إسحاق فى كتاب الفردوس أن عبيد الله بن عمر بن الخطاب لما قدم الكوفة ـ أى مع جيش أهل الشام ـ لقى عبد الله بن بديل ، فنصح له ابن بديل بأن لا يهرق دمه فى هذه الفتنة، فاعتذر=

جبلة من أهل البصرة (١٥٣) ، ومالك بن الحارث. . . . .

= عبيد الله بن عمر بأنه يطلب بدم أمير المؤمنين عثمان الذى قتل ظلما ، واعتذر ابن بديل بأنه يطلب بدم أخيه الذى قتل ظلما . وكيف يكون أخوه قتل ظلمًا وقد قتل فى فتنة تطوع للمساهمة فيها مختاراً ، بينما عثمان وهو أمير المؤمنين الذى له حق الولاية عليهم كان مبغيا عليه من ابن بديل وأمثاله ومن هم أقل منه شأنا ومع ذلك لم يقاتل أحدًا ، ولم يدافع عن نفسه ، ونهى الناس عن أن يدافعوا عنه أوباشًا قدموا إلى مدينة الرسول ﷺ من مختلف البلاد ليرتكبوا الشر والإثم . وأين عثمان الذى ملأت حسناته الأرض وتعطرت بأريجها السماء ، من عبد الرحمن بن بديل الذى لا يكاد يعرف له التاريخ عملا . (خ) .

(١٥٣) حكيم بن جبلة العبدى من قبائل عبد القيس ، أصلهم من عمان وسواحل الخليج الفارسى (*) ، وتوطن بالبصرة بعد تمصيرها . وكان حكيم هذا شابًا شجاعًا ، وكانت الجيوش الإسلامية التى تزحف نحو الشرق لنشر الدعوة والفتوح تصدر عن البصرة والكوفة ، فكان حكيم بن جبلة يرافق هذه الجيوش ، ويجازف فى بعض حملات الخطر ، كما تفعل كتائب (الكوماندوز) فى هذا العصر . وقد استعملته جيوش أمير المؤمنين عثمان فى إحدى هذه المهمات عند محاولتها استكشاف الهند كما نوهت بذلك فى مقالة (طلائع الإسلام فى الهند) . ويؤكد شيوخ سيف بن عمر التميمى (وهو أعرف المؤرخين بتاريخ العراق) على ما نقله عنه الطبرى (٥ : ٩٠) أن حكيم بن جبلة كان إذا قفلت الجيوش خنس عنهم فسعى فى أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد فى الأرض ويصيب ما شاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر أن احبسه ومن كان مثله فلا يخرجن من البصرة حتى تأنسوا منه رشدًا ، فحبسه (أى منعه من مبارحة البصرة) . فلما قدم عبد الله بن سبأ البصرة نزل على حكيم بن جبلة ، واجتمع إليه نفر، فنفث فيهم سمومه . فأخرج ابن عامر عبد الله بن سبأ من البصرة فأتى الكوفة فأخرج منها ، ومن هناك رحل ابن سبأ إلى الفسطاط ولبث فيه =

(*) بل الخليج العربى (م) .

الأشتر [١٥٤] فى طائفة هؤلاء رؤوسهم ، فناهيك بغيرهم .

= وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ويختلف الرجال بينهم . وذكر الطبرى (٥ / ١٠٤) أن السبأية لما قرروا الزحف من الأمصار على مدينة الرسول ﷺ كان عدد من خرج منهم من البصرة كعدد من خرج من مصر ، وهم مقسمون كذلك إلى أربع فرق ، والأمير على إحدى هذه الفرق حكيم بن جبلة ونزلوا فى المدينة فى مكان يسمى ذا خشب . ولما حصبوا أمير المؤمنين عثمان وهو يخطب على المنبر النبوى كان حكيم بن جبلة واحداً منهم (الطبرى ٥/١٠٦) . ولما رحل الثوار عن المدينة فى المرة الأولى بعد مناقشتهم لعثمان وسماعهم دفاعه واقتناعهم ، تخلف فى المدينة الأشتر وحكيم بن جبلة (الطبرى ٥ : ١٢٠) وفى ذلك شبهة قوية بأن لهما دخلا فى افتعال الكتاب المزور على أمير المؤمنين. ولما جاءت عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة وأوشكوا أن يتفاهموا مع أمير المؤمنين على رد الأمور إلى نصابها كان حكيم بن جبلة هو الذى أنشب القتال لئلا يتم التفاهم والاتفاق (الطبرى ٥ / ١٧٦ وما بعدها) وارتكب دناءة قتل امرأة من قومه سمعته يشتم أم المؤمنين عائشة فقالت له : يا ابن الخبيثة أنت أولى بذلك فطعنها فقتلها (الطبرى ٥ : ١٧٩) وحينئذ تخلى قومه عن نصرته إلا الأغمار منهم، ما زال يقاتل حتى قطعت رجله ، ثم قتل وقتل معه كل من كان فى الوقعة من البغاة على عثمان ، ونادى منادى الزبير وطلحة بالبصرة : « ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم » فجيء بهم كما يجاء بالكلاب فقتلوا . فما أفلت منهم إلا حرقوص بن زهير السعدى من بنى تميم (الطبرى ٥ : ١٨٠) . روى عامر بن حفص عن أشياخه قال : ضرب عنق حكيم بن جبلة رجل من الحدان يقال له ضخيم فمال رأسه فتعلق بجلده فصار وجهه فى قفاه (الطبرى ٥ : ١٨٢) . (خ) .

(١٥٤) من النخع ، وهى قبيلة يمنية من قبائل مذحج . بطل شجاع من أبطال العرب ، كان أول مشاهده الحربية فى اليرموك ، وفيها فقد إحدى عينيه . ثم شاء أن يكون سيفه مسلولا على إخوانه المسلمين فى مواقف الفتنة .ولو أنه لم يكن ممن ألب على أمير المؤمنين عثمان ، وكتب الله أن تكون وقائعه الحربية فى نشر دعوة الإسلام وتوسيع=

وقد كانوا أثاروا فتنة ، فأخرجهم عثمـان بالاجتهاد ، وصاروا فى جماعتهم عند

= الفتـوح ، لكان له فى التاريخ شـأن آخر . والذى دفعـه فى هذا الطريق غلوه فى الدين وحبـه للرئاسة والجاه ولـست أدرى كيف اجتـمعا فـيه . والأشتـر أحد الذين اتخذوا الكوفـة دار إقامة لهم ، فلمـا كانت إمارة الوليد بـن عقبة على الكوفـة كان الأشتـر يشعر فى نفسـه بأنه أهل للولاية والرئاسة ، فانزلـق مع العائبين على الدولة ورجالهـا من الخليفة الأعلى فى المدينة إلى عـامله على الكوفة الوليد بن عقـبة ، ولما سرق أبو زينـب وأبو مورع خاتم الوليـد من منزله وذهبا بـه إلى المدينة فشـهدا على الوليد بشرب الخـمر كما تقـدم فى ص ٧٦ أسرع الأشتر وآخرون مـعه بالذهاب إلى المدينة لتوسيع دائرة الفتنة ، حتى إذا عزل عثمـان الوليد سعيد بن العاص عاد الأشتر مع سعيد إلى الكوفة (الطبرى ٥ / ٦٣) . وكان عثمان قد سن نظام الأراضي، فمن كـانت له أرض من الفيء في مكان بعـيد عنه يبـادل عليـه بأرض مبـادلة قريبـة منه بالتراضى بين المتبادلين . وبهذه الطريقة تخلى طلحة بن عبيد الله عن أسهمه فى خيبر واشتـرى بها من فىء أهل المـدينة بالعراق أرضًـا يقال لها الـنشاستج (الـطبرى ٥ / ٦٤). وبينما كـان سعيـد بن العاص فى دار الإمارة بالكوفـة والناس عنده أثنى رجل على طلحة بن عـبيد الله بالجـود ، فقال سعـيد بن العاص : لو كـان لى مثل أرض النشاسـتج لأعاشكم الله عيـشًا رغدًا . فقـال له عبد الرحـمن بن خنيس الأسدى : رددت لو كـان هذا الملـطاط لك. والملطات أرض على جـانـب الفـرات كـانت لآل كسـرى. فغضب الأشتـر وأصحـابه وقالوا للأسدى : تتـمنى له من سودانا ! فـقال والده: ويتمنى لكم أضعافه . فثار الأشتـر وصحبه على الأسدى وأبيه وضربوهما فى مجلس الإمارة حتى غشى عليهما . وسمعت بذلك بنو أسد فجاؤوا وأحاطوا بالقصر ليدافعوا عن رجليهـما، فتلافى سعيد بن العاص هذه الفـتنة بحكمته ، ورد بنى أسد عن الأشتر وجماعته . وكتب أشراف الكوفة وصلحاؤها إلى عثمان فى إخراج هؤلاء المشاغبـين من بلدهم ، فارسلهم إلى معاوية فى الشـام (الطبرى ٥ / ٨٥ ـ ٨٦) ثم أخرجهم مـعاوية فنزلوا جزيرة ابن عمـر تحت حكم عبد الرحمن بن خـالد بن الوليد إلى أن تظاهروا بالتوبة ، فذهب الأشتر إلى المدينة ليرفع إلى عثمان توبتهم، فرضى =

. . . .

= عنه عثمان وأباح له الذهاب حيث شاء فاختار العودة إلى زملائه الذين عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فى الجزيرة (الطبرى ٥ / ٨٧ ، ٨٨) .وفى الوقت الذى كان فيه الأشتر يعرض على عثمان توبته وتوبة زملائه وذلك فى سنة ٣٤ كان السبأيون فى مصر يكاتبون أشياعهم فى الكوفة والبصرة بأن يثوروا على أمرائهم واتعدوا يوما ، فلم يستقم ذلك إلا لجماعة الكوفة ، فثار بهم يزيد بن قيس الأرحبى (الطبرى ٥ : ١٠١). ولما وصل الأشتر من المدينة إلى إخوانه الذين عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وجد بين أيديهم كتابًا من يزيد بن قيس الأرحبى يقول لهم فيه : لا تضعوا كتابى من أيديكم حتى تجيئوا . فتشاءموا من هذه الدعوة وآثروا البقاء ، وخالفهم الأشتر فرجع عاصيًا بعد توبته ، والتحق بثوار الكوفة وقد نزلوا فى الجرعة مكان مشرف على القادسية ، وهناك تلقوا سعيد بن العاص أمير الكوفة وهو عائد من المدينة فردوه ، ولقى الأشتر مولى سعيد بن العاص فضرب الأشتر عنقه . وبلغ عثمان إنهم يريدون إقالة سعيد بأبى موسى الأشعرى فأجابهم إلى ما طلبوا (الطبرى ٥ /٩٣ ، ٩٤) . ولما فشل موعد سنة ٣٤ واقتصرت الفتنة على ما كان فى الجرعة ، اتعد السبأيون للسنة التى بعدها (سنة ٣٥) ورتبوا أمرهم على التوجه إلى المدينة مع الحجاج كالحجاج ، وكان الأشتر مع خوارج الكوفة رئيسًا على فرقة من فرقهم الأربع (الطبرى ٥ / ١٠٤) وبعد وصولهم إلى المدينة ناقشهم أمير المؤمنين عثمان وبين لهم حجته فى كل ما كانوا يظنونه فيه ، فاقتنع جمهورهم بذلك وحملوا رؤساء الفتنة على الرضا بأجوبة عثمان وارتحلوا من المدينة للمرة الأولى . إلا أن الأشتر وحكيم بن جبلة تخلفا فى المدينة ولم يرتحلا معهم (الطبرى ٥/ ١٢٠) . ولما وصل المصريون إلى مكان يسمى البويب اعترضهم راكب مثل لهم دور حامل الكتاب المزعوم ، وسيأتى الحديث عن ذلك فيما بعد . ونقل الطبرى (٥/ ١٩٤) أن الأشتر كان فى مؤتمر السبأيين الذى عقدوه قبيل ارتحال على من الكوفة إلى البصرة للتفاهم مع طلحة والزبير وعائشة . فقرر السبأيون فى مؤتمرهم هذا أن ينشبوا الحرب بين الفريقين قبل أن يصطلحا عليهم . وفى وقعة الجمل اصطرع عبد الله بن الزبير والأشتر واختلفا ضربتين وقال عبد الله بن الزبير كلمته المشهورة: «اقتلونى ومالكا» فأفلت منه مالك =

معاوية (١٥٥) ، فذكرهم بالله وبالتقوى لفساد الحال وهتك حرمه الأمة (١٥٦) ، حتى

= الأشتر ، روى الطبرى (٥/ ٢١٧) عن الشعبى أن الناس كانوا لا يعرفون الأشتر باسم مالك ، ولو قال ابن الزبير « اقتلونى والأشتر » وكانت للأشتر ألف ألف نفس ما نجا منها شىء ، ومازال يضطرب فى يدى ابن الزبير حتى أفلت . وروى الطبرى (٥/ ١٩٤) أن عليًا لما فرغ من البيعة بعد وقعة الجمل واستعمل عبد الله بن عباس على البصرة بلغ الأشتر الخبر باستعمال على ابن عباس فغضب وقال : « على ما قتلنا الشيخ إذن ! اليمن لعبيد الله ، والحجاز لقثم ، والبصرة لعبد الله ، والكوفة لعلى!» ثم دعا بدابته فركب راجعا . وبلغ ذلك عليًا فنادى : الرحيل ! ثم أجد السير فلحق به فلم يره أنه بلغه عنه وقال : « ما هذا السير ؟ سبقتنا ! » . وخشى أن ترك والخروج أن يوقع فى نفس الناس شرا ، ثم اشترك الأشتر فى حرب صفين . وولاه على إمارة مصر بعد صرف قيس بن سعد بن عبادة عنها . فلما وصل القلزم (السويس) شرب شربة عسل فمات ، فقيل إنها كانت مسمومة ، وكان ذلك سنة ٣٨ (الإصابة ٣ / ٤٨٢) . (خ) .

(١٥٥) أثاروا الفتنة يوم ضربوا عبد الرحمن بن خنيس الأسدى وأباه وهم فى دار الإمارة بالكوفة ، فكتب أشراف الكوفة وصلحاؤها إلى عثمان بإخراجهم إلى بلد آخر ، فسيرهم إلى معاوية فى الشام . والذين سيروا إلى معاوية هم : الأشتر النخعى ، وابن الكواء اليشكرى ، وصعصعة بن صوحان العبدى ، وأخوه زيد ، وكميل بن زياد النخعى ، وجندب بن زهير الغامدى ، وجندب بن كعب الأزدى ، وثابت بن قيس بن منقع ، وعروة بن الجعد البارقى ، وعمرو بن الحمق الخزاعى (خ) .

(١٥٦) نص كلام معاوية كما رواه الطبرى (٥/ ٨٦) : « إنكم قوم من العرب ، لكم أسنان وألسنة ، وقد أدركتم بالإسلام شرفا ، وغلبتم الأمم ، وحويتم مراتبهم ومواريثهم . وقد بلغنى أنكم نقمتم قريشًا ، وإن قريشًا لو لم تكن عدتم أذلة كما كنتم . أن أئمتكم إلى اليوم جنة ، فلا تسدوا عن جنّتكم . وأن أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور ، ويحتملون منكم المؤونة . والله لتنتهن أوليبتلينكم الله بمن يسومكم ثم لا يحمدكم على الصبر ، ثم تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعية فى حياتكم وبعد موتكم » . (خ) .

قال له زيد بن صوحان [يومًا] ـ فيما يروى (١٥٧) :« كم تكثر علينا [من الأمرة] وبقريش ، فما زالت العرب تأكل من قوائم سيوفهـا وقريش تجاهد (١٥٨)». فقال له معاوية : « لا أم لك . أذكـرك بالإسلام وتذكرنى بالجاهلية ! قـبح الله من كثر على أمير المؤمنين بكم ، فما أنتم ممن ينفع أو يضر . اخرجوا عنى (١٥٩) » .

وأخـبـره ابن الكـوا بأهل الـفـتـنة (١٦٠) فى كل بـلـد . . . .

---

(١٥٧) بل القائل أخوه صعصعة . (خ) .

(١٥٨) وقال أيضا لمعـاوية : « وأما ما ذكرت من الجنة ، فإن الجنة إذا اخـترقت خلص إلينا » أى إذا قتلنا ولاتنا وصارت الولاية إلينا . ولو أن هذه الكلمة قالها ثائر وهو من قبضة حاكمـه ـ منذ بدأت الحكومة إلى أن تقوم الساعة ـ مـا وجد من حاكمه حلمًـا وسعة صدر كالذى وجده صعصعة من معاوية مع قدرته عليه . (خ) .

(١٥٩) وجواب معاوية علي كـلام صعصعة في وصف قريش ومكانتـها طويل ونفيس ، وقد أورده الطبرى (٥ / ٨٦) . (خ) .

(١٦٠) قد يقول قـائل :ألا يدل ما وقع من الحوادث فى مأساة استشهاد الخليفة عـثمان على غفلته فى عدم علمه فيما يجرى فى الخفاء من تآمر المتآمرين .

فى الحقيقـة أن هذا الخليفة لم يكن على الرغم من اشتغاله بالفتـوحات الواسعة التى تمت فى عـهده ، غـافلا عن المؤامـرات التى كانت تحـاك ضده من أجل الكـيد للإسلام ، بل كان عـلى مستوى الأحداث بعـيدا عن تهمة الضـعف التى تتردد على ألسنة خصومه .

قال الأستاذ المؤرخ محمد عزة دروزة :

وقد نشط ابن سـوداء (أى عبد الله بن سبـأ) وجماعاته فى بث الدعـاية ضد عثمان وأمرائه حتى أوسعوا الأرض إذاعـة كما جاء فى رواية الطبرى . وكانوا يكتبون كتبًا فى العـيب فيهم ويرسلونها للناس فى الأمصـار . وبلغ ذلك أهل المدينة فجاؤوا إلى عثمان يسألونه هل أتاه من الأمصار مـثل ما أتاهم . فقال لهم والله ما جاءنى إلا السلامـة، فأخبـره . فقال لهم : أنتم شـركائي وشـهود المؤمنين ! فأشـيروا على ، فأشاروا عليه إرسال أشخاص ممن يثق فيهم للأمصار ،ليقولوا لأهلها أنهم لم ينكروا=

. . . .

= شيئًا من عثمان ، لا أعلامهم ولا عوامهم . . . وإن الأمراء يقسطون بين الناس (الطبرى ج٣ ص ٣٧٩) .

ثم كتب إلى أهل الأمصار كتابًا عامًا يذكر فيه ما بلغه من الإذاعات والطعن على الأمراء ويقول : إنه تولى أمر المؤمنين ليقوم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإنه ولى عماله على ذلك ، وأنه مستعد لسماع كل شكوى منه ومن عماله وإنصاف صاحبها ، وإعطاء كل ذى حق حقه ، ويدعو من له شكوى إلى موافاته فى الموسم (٣٨٠، ٣٨١) الطبرى نقلا عن تاريخ الجنس العربى ٧/ ٢٣١) . ثم استدعى ولاة الأمصار واستطلعهم الأمر ، وقال إنى أخشى أن يكون مصدقًا عليكم فأكدوا له أنهم سالكون طريق الحق والمصلحة ، وأن ما بلغه دسائس ووساوس تبث سرًا ، واقترح بعضهم تعقب المذيعين وقتلهم ، فأمرهم بالانتباه والرفق والتسامح فيما لا يكون فيه ضياع حقوق الأمة ، ومن الولاة معاوية بن أبى سفيان (عن الجنس العربى ٧ / ٢٣٢ وقد نقله عن الطبرى) وذكر المؤرخون أن عثمان جمع بعض خاصته ، فشاورهم فى أمر الناس ! سمع منهم ثم قال لهم :

لقد سمعت كل ما أشرتم به ، ولكل أمر باب يؤتى منه . أن هذا الأمر الذى يخاف على هذه الأمة كائن . وإن بابه الذى يغلق عليه ليفتحن ، فنكفكفه باللين والمواتاة إلا فى حدود الله ! فإن فتح فلا يكونن لأحد على حجة ، وقد علم الله أنى لم آل الناس خيراً . وإن رحى الفتنة دائرة ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها .

سكتوا الناس وهبوا لهم حقوقهم ، فإذا تعوطيت حقوق الله فلا توهنوا !! (الخليفة المفترى عليه ص ٦٤ للأستاذ محمد صادق عرجون) .

ومن أروع الأدلة على قوة عثمان ورباطه جأشه موقفه حين اشتد عليه هجوم الثوار وأصحاب الفتنة ، يقتحمون عليه داره ليقتلوه ، وكبار الصحابة الصناديد مع أبنائهم يرجونه للدفاع عنه ، كما فصلنا القول فى غير هذا المكان ، « فيعزم على كل من رأى أن له عليه سمعًا وطاعة أن يكف يده ويلقى سلاحه» حرصًا على دماء المسلمين ، ولو بتعريض حياته للهلاك والقتل . =

ومؤامرتهم (١٦١) ، فكتب إلى عثمان يخبره بذلك ، فأرسل إليه بأشخاصهم إليه فأخرجهم معاوية (١٦٢) » .

= ليت شعري أى شجاعة نفسية ، وأى صبر يطلبه الناس وراء هذا ؟ ! إذا كانت الشجاعة هى ضبط النفس عند النوازل في غير قلق ، والصبر على المكاره من غير جزع ، ومصابرة الحوادث من غير سأم ، والثبات لجسام الأحداث بلا تزعزع ، فلم تنجب الأمهات مثل عثمان فى شجاعته ورباطة جاشه ، وقوة يقينه ، وثباته على رأيه فإن أحداً من الناس في مثل حال عثمان وشأنه ، لم يلق ما لقى عثمان ، ولا شيئاً منه ، ولم يصبر أحد على ما لقى من البلاء والمحنة مثل ما صبر عثمان . وكيف بصبر ينتهى بصاحبه ـ على علم منه وبصيرة ـ إلى الموت قتلا ، وكان له لو كان جزوعًا وأراد ألا يصبر عن يقين ورضا ، مخارج ينفذ منها ، ويعيش فى خفض من العيش ! ولكن عثمان ﷺ لم يكن ضعيفًا ولا مستضعفًا ـ كما يزعم القاصرون والمقصّرون ـ بل كان قوى الإيمان، عظيم اليقين ، كبير النفس ، وعبقرى الشجاعة ، نبيل الصبر ، نفاذ البصيرة، ففدى الأمة ، ووضع لها بذلك أعظم قواعد النظام فى تكوينها الاجتماعى (الخليفة المفترى عليه للأستاذ عرجون ص ٦٥) (م) .

(١٦١) قال ابن الكواء فيما نقله الحافظ ابن عساكر فى ترجمته من تاريخ دمشق (٧/ ٢٩٩) وأبو جعفر الطبرى فى تاريخه (٥ / ٩٢) يصف لمعاوية أهل الأحداث من أهل الأمصار أما أهل الأحداث من أهل المدينة فهم أحرص الأمة على الشر ، وأعجزهم عنه . وأما أهل الأحداث من أهل الكوفة فإنهم أنظر الناس فى صغير ،وأركبه لكبير. وأما أهل الأحداث من أهل البصرة فإنهم يردون جميعا ويصدرون شتى . وأما أهل الأحداث من أهل مصر فهم أوفى الناس بشر ، وأسرعه ندامة . وأما أهل الأحداث من أهل الشام فأطوع الناس لمرشدهم وأعصاه لمغويهم » (خ) .

(١٦٢) وكتب فيهم إلى عثمان « إنه قدم على أقوام ليست لهم عقول ولا أديان . أثقلهم الإسلام ، وأضجرهم العدل . لا يريدون الله بشىء ، ولا يتكلمون بحجة . إنما همهم الفتنة ، وأموال أهل الذمة . والله مبتليهم ومختبرهم ، ثم فاضحهم ومخزيهم. وليسوا بالذين ينكون أحداً إلا مع غيرهم . فانه سعيداً ومن قبله عنهم ، فإنهم ليسوا لأكثر من شغب أو نكير » (الطبرى ٥/ ٨٧) (خ) .

فمروا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد (١٦٣) ، فحبسهم ، ووبخهم ؛ وقال لهم: « اذكروا [لى] ما كنتم تذكرون لمعاوية (١٦٤) » . وحصرهم ، وأمشاهم بين يديه أذلاء حتى تابوا بعد حول (١٦٥) » .

وكتب إلى عثمان بخبرهم ، فكتب إليه أن سرحهم إلى . فلما مثلوا بين يديه جددوا التوبة ، وحلفوا على صدقهم ، وتبرؤوا مما نسب إليهم (١٦٦) [فخيرهم] حيث

---

(١٦٣) وكان يلى حمصاً لمعاوية ، ويتبعه منطقة الجزيرة حران والرقة (خ) .

(١٦٤) وذلك بعد قوله لهم : « يا آلة الشيطان ، لا مرحبًا بكم ولا أهلاً . وقد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعد نشاط . خسر الله عبد الرحمن أن لم يؤدبكم حتى يحسركم . يا معشر من لا أدرى أعرب أم عجم، لكى لا تقولوا لى ما يبلغنىُ إنكم تقولون لمعاوية. أنا ابن خالد بن الوليد ، أنا ابن من عجمته العاجمات ، أنا ابن فاقئ الردة . والله لئن بلغنى يا صعصعة بن ذل أن أحداً ممن معى دق أنفك ثم أمصك لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى » (الطبرى ٥/ ٨٧) (خ) .

(١٦٥) كان كلما ركب أمشاهم ، فإذا مر به (صعصعة) قال أيا ابن الخطيئة ، أعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر ؟ ما لك لا تقول كما كان يبلغنى إنك تقول لسعيد ومعاوية فيقول : ويقولون : نتوب إلى الله ، أقلنا أقالك الله (الطبرى ٥ / ٨٧ - ٨٨) . (خ) .

(١٦٦) الذي قدم إلى أمير المؤمنين عثمان فى المدينة هو الأشتر النخعى وحده ، وهو الذى ناب عن ابنى صوحان وابن الكواء والآخرين فى تجديد التوبة التى أعلنوها من قبل لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد . غير أن الفتنة لم تكن مقتصرة على هؤلاء ، بل كانت جرثومتها فى يد ابن سبأ الذى اختار الإقامة فى الفسطاط ، وكان لها جناح فى البصرة ، وللأشتر وإخوانة بقية فى الكو بينما كان الأشتر يجدد توبته وتوبة إخوانه فى المدينة كان أعوان ابن سبأ يكاتبون البصرة والكوفة فى موعد يثبون فيه على ولاتهم ، فما رجع الأشتر بتوبته إلى إخوانه الذين كانوا عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد حتى وجد عندهم كتابًا من إخوانهم فى الكوفة يدعونهم للاشتراك فيما اتعدوا له ،فلم يبتهج بهذه الدعوة إلى الفتنة والشر إلا الأشتر الذى لم يكن قد نسى=

يسيرون ، فاختار كل واحد ما أراد من البلاد : كوفة وبصرة ، ومصر . فأخرجهم ، فما استقروا فى [جنب] ما ساروا حتى ثاروا وألبوا،حتى انضاف إليهم جمع(١٦٧) .

وساروا إليه (١٦٨) : على أهل مصر عبد الرحمن بن عديس البلوى (١٦٩) ،

= توبته بعد ، فأسرع إلى الكوفة وانضم إلى الفتنة التى تسمى فى التاريخ (يوم الجرعة) وكان ذلك فى سنة ٣٤ . (خ) .

(١٦٧) لما خفق السبأيون فى الوثوب على ولاتهم سنة ٣٤ فى الموعد الذى وقعت فيه فتنة يوم الجرعة ، اتعدوا لفتنة أخرى بمقياس أوسع يقومون بها فى العام التالى (سنة ٣٥) عند استعداد الحجاج لقصد الحرمين الشريفين من مصر والبصرة والكوفة ، فيذهب الحجاج للقيامُ بطاعة ألله ، ويذهب دعاة الفتنة للمجاهرة بمعصية الله . وقد نظموا أنفسهم فى اثنتى عشرة فرقة : أربع فرق من مصر ، وأربع من البصرة ، وأربع من الكوفة . وفى كل فرقة نحو مائة وخمسين مفتونًا ، أى من كل بلد نحو ستمائة رجل.(خ).

(١٦٨) أى إلى أمير المؤمنين عثمان فى مدينة الرسول ﷺ . (خ) .

(١٦٩) فارس شاعر ، نزل مصر مع جيش الفتح ، ولم يعرف له فى سيرته شىء انفرد بالامتياز به غير اشتراكه فى هذه الفتنة ، مع دعواه أنه كان من الذين بايعوا تحت الشجرة . وأظنه لم يكن من الرؤوس المدبرين للفتنة ، ولكن مدبريها استغلوا ميله إلى الرئاسة ، فاستفادوا من سنه ووجاهته بين فرسان القبائل العربية بمصر ، وولوه القيادة على إحدى الفرق الأربع التى خرجت من مصر إلى المدينة (وقادة الفرق الثلاث الأخرى : كنانة بن بشر التجيبى ، وسودان بن حمران السكونى ، وقتيرة السكونى . ورئيسهم الأعلى الغافقى بن حرب العكى) . وكان عبد الرحمن بن عديس فى مدة الحصار شديد الوطأة على أمير المؤمنين عثمان وأهل بيته . ثم كانت عاقبته القتل فى جبل الجليل بالقرب من حمص ، لقيه أحد الأعراب فلما اعترف له بأنه من قتلة عثمان بادر بقتله (معجم البلدان لياقوت : الجيل) . واخطأ من نسب ابن عديس إلى تجيب، فإنه بلوى من قضاعة . أما تجيب بنت ثوبان المذحجية فلا ينسب إليها إلا بنو ولديها سعد وعدى ابنى أشرس بن شبيب بن السكون من كندة ، وأين كندة من قضاعة ! (خ) .

وعلى أهل البصرة حكيم بن جبلة (١٧٠) ، وعلى أهل الكوفة الأشتر مالك بن الحارث النخعي (١٧١) . فدخلوا المدينة هلال ذى القعدة سنة خمس وثلاثين (١٧٢) .

فاستقبلهم عثمان . قالوا : ادع بالمصحف. فدعا به فقالوا :افتح [السابعة](١٧٣) ـ يعنى يونس ـ فقالوا : اقرأ . فقرأ حتى انتهى إلى قوله : ﴿ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ قالوا له قف . قالوا له : أرأيت ما حميت من الحمى ، أذن الله لك أم على الله افتريت ؟ قال : امضه ، إنما نزلت فى كذا . وقد حمى عمر ، وزادت الإبل فزدت .

فجعلوا يتبّعونه هكذا ، وهو ظاهر عليهم . حتى قال لهم : ماذا تريدون ؟ فأخذوا ميثاقه ، وكتبوا عليه ستًا أو خمسًا (١٧٥) : أن المنفى [يقلب] والمحروم يعطى ، ويوفر الفىء ، ويعدل فى القسم ، ويستعمل [ذو] الأمانة والقوة . فكتبوا ذلك فى كتاب . وأخذ عليهم أن لا يشقوا عصا ، ولا يفرقوا جماعة . ثم رجعوا راضين (١٧٧) . وقيل أرسل إليهم عليًا فاتفقوا على الخمس المذكورة ورجعوا راضين.

---

(١٧٠)تقدم التعريف به . وهو أمير إحدى الفرق الأربع البصرية (والثلاثة الآخرون : ذريح ابن عباد العبدى ، وبشر بن شريح « الحطم » ،وابن المحرش الحنفى . ورئيسهم الأعلى حرقوص بن زهير السعدى) . (خ) .

(١٧١)تقدم التعريف به . وهو أمير إحدى الفرق الأربع الكوفية (والثلاثة الآخرون . زيد بن صوحان العبدى ، وزياد بن النضر الحارثى ، وعبد الله بن الأصم . ورئيسهم الأعلى عمرو بن الأصم) . (خ) .

(١٧٢)نزلوا خارج المدينة على ثلاث مراحل منها، ثم تقدم ثوار البصرة فنزلوا فى ذى خشب،ونزل ثوار الكوفة الأعوص ، ونزل عامتهم بذى المروة . (خ) .

(١٧٣)فى بعض النسخ : التاسعة . قارن [الطبرى جـ ٢ ص ١١٧] ويونس يأتى ترتيبها (السابعة) فى مصحف ابن مسعود رضي الله عنه ونسخة « د » تتفق مع ما ورد فى الطبرى وكان الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله قد أثبتها التاسعة فى أصل الكتاب (ع).

(١٧٥)أى اشترطوا عليه ستة شروط أو خمسة فى المعانى الآتية . (خ) .

(١٧٧)كان الزاحفون من أمصارهم على مدينة الرسول ﷺ فريقين : رؤساء خادعين على =

فبينما هم كذلك (١٧٨)، إذا راكب يتعرض لهم (١٧٩)، ثم يفارقهم مرارا (١٨٠). قالوا : مالك ؟ قال : أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر (١٨١) ففتشوه ، فإذا

= درجات متفاوتة ، ومرؤوسين مخدوعين ، وهم الكثرة التى بثت فيها دعايات مغرضة حتى ظنت أن هنالك منفيين مظلومين ومحرومين سلبوا حقهم .. إلخ . وقد رأيت شهادة أصدق شاهدين فى العراق حينئذ وهما الحسن البصرى وصنوه ابن سيرين عن وفرة الأعطيات والأرزاق وأنواع الخيرات حتى كان منادى عثمان ينادى بدعوة الناس لها فلا يمنع عنها أحد . ورأيت فيما سبق شهادة الإمام الشعبى عن تعميم الرزق والخير حتى إلى الإماء والعبيد . ولما أصغى عامة الثائرين إلى أجوبة عثمان وعرفوا الحقيقة اقتنعوا ورجعوا . وكان رجوعهم من طريقين مختلفين باختلاف اتجاه أمصارهم، فالمصريون اتجهوا شمالا لغرب ليسايروا ساحل البحر الأحمر إلى السويس ومصر ، والعراقيون من بصريين وكوفيين اتجهوا شمالا لشرق منجدين ليبلغوا البصرة والكوفة من أرض العراق . (خ) .

(١٧٨) أى فبينما العراقيون من بصريين وكوفيين فى طريقهم نحو الشرق إلى الشمال ، والمصريون فى طريقهم نحو الغرب إلى الشمال ، وبين الفريقين مراحل بعيدة لأنهما تقدما فى السير والمسافة تزداد بعداً بينهما . (خ) .

(١٧٩) أى للمصريين وحدهم . (خ) .

(١٨٠) ولا يتعرض لهم ثم يفارقهم ويكرر ذلك إلا ليلفت أنظارهم إليه ، ويثير شكوكهم فيها. وهذا ما أراده مستأجرو هذا الرجل لتمثيل هذا الدور ،ومدبرو هذه المكيدة لتجديد الفتنة بعد أن صرفها الله، وأراح شرورها . ولا يعقل أن يكون تدبير هذا الدور التمثيلى صادراً عن عثمان أو مروان أو أى إنسان يتصل بهما، لأنه لا مصلحة لهما فى تجديد الفتنة بعد أن صرفها الله ، وإنما المصلحة فى ذلك للدعاة الأولين إلى أحداث هذا الشغب ، ومنهم الأشتر وحكيم بن جبلة اللذان لم يسافرا مع جماعتهما إلى بلديهما ، بل تخلفا فى المدينة (الطبرى ٥/ ١٢٠) ولم يكن لهما أى عمل يتخلفان فى المدينة لأجله إلا مثل هذه الخطط والتدابير التى لا يفكران يومئذ فى غيرها. (خ) .

(١٨١)وقد صرحوا بأنه عبد الله بن سعد بن أبى سرح (الطبرى ٥ / ١٢٠) ولا يعقل أن=

هم بالكتاب على لسان عثمان ، عليه خاتمه إلى عامل مصر أن يصلبهم ويقطع أيديهم وأرجلهم (١٨٢) . فأقبلوا حتى قدموا المدينة (١٨٣)، فأتوا عليًا فقالوا له : ألم تر إلى

= يكتب إليه عثمان أو مروان ، لأنه كان عقب خروج الثوار من مصر متوجهين إلى المدينة كتب إلى عثمان يستأذنه بالقدوم عليه (الطبرى ٥/ ١٢٢) وخرج بالفعل من مصر نحو العريش وفلسطين وأيلة (العقبة) وتغلب محمد بن أبى حذيفة على الحكم فى مصر ، وهو عدو لله ورسوله ، وخارج على خليفة المسلمين . فكيف يكتب عثمان أو مروان إلى عبد الله بن سعد وعندهما كتابه الذى يستأذن به فى القدوم إلى المدينة ؟ (خ) .

(١٨٢)الأخبار التى جاء فيها أن الراكب غلام عثمان ، وأن الجمل جمل الصدقة : وأن عثمان اعترف بذلك ، كلها أخبار مرسلة لا يعرف قائلها أو مكذوبة أذاعها رواة مطعون فى صدقهم وأمانتهم . ومضمون الكتاب اضطربت الروايات فيه ، ففى بعض الروايات «إذا قدم عليك عبد الرحمن بن عديس فاجلده مائة واحلق رأسه ولحيته وأطل حبسه حتى يأتيك أمرى . وعمرو بن الحمق فافعل به مثل ذلك . وسودان بن حمران مثل ذلك . وعروة بن التباع الليثى مثل ذلك » وفى رواية « إذا أتاك محمد بن أبى بكر الصديق ـ وفلان وفلان ـ فاقتلهم وأبطل كتابهم وقر على عملك حتى يأتيك رأيى» وفى رواية ثالثة أن مضمون الكتاب أمر عامله بالقتل والقطع والصلب على هؤلاء الثوار ، وهذا الاختلاف فى مضمون كتاب واحد مما يزيد الريبة فى أمره . (خ) .

(١٨٣)وأعجب العجب أن قوافل الثوار العراقيين التى كانت متباعدة فى الشرق والغرب عادت معًا إلى المدينة فى آن واحد ، أى أن قوافل العراقيين التى كانت بعيدة عن قوافل المصريين مراحل بعيدة علمت بالرواية المسرحية فى الساعة التى مثلت فيها فى البويب فرجعت إلى المدينة وقت رجوع المصريين ووصلتا إلى المدينة معًا كأنما كانوا على ميعاد. ومعنى هذا أن الذين استأجروا الراكب ليمثل دور حامل الكتاب أمام قوافل المصريين استأجروا راكبًا آخر خرج من المدينة معه قاصداً قوافل العراقيين ليخبرهم بأن المصريين اكتشفوا كتابًا بعث به عثمان إلى عبد الله بن سعد فى مصر بقتل محمد بن أبى بكر قال الطبرى (٥ / ١٠٥). فقال لهم على:«كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا ؟ هذا والله أمر أبرم =

عدو الله كتب فينا بكذا ؟ وقد أحل الله دمه . قالوا له : فقم معنا إليه . قال : والله لا أقوم معكم. قالوا له : فلم كتبت (١٨٤) إلينا ؟ قال : والله ما كتبت إليكم . فنظر بعضهم إلى بعض (١٨٥) . وخرج عليٌّ من المدينة .

= بالمدينة » (يشير كرم الله وجهه إلى تخلف الأشتر وحكيم فى المدينة ، وأنهما هما اللذان دبرا هذه المسرحية) . قال الثوار العراقيون : « فضعوه على ماشئتم . لا حاجة لنا إلى هذا الرجل . ليعتزلنا » وهذا تسليم منهم بأن قصة الكتاب مفتعلة ، وأن الغرض الأول والأخير هو خلع أمير المؤمنين عثمان وسفك دمه الذى عصمه الله بشريعة رسوله ﷺ (خ) .

(١٨٤) د : كتب ورواية خليفة بن خياط : كتبت (تاريخ خليفة بن خياط ١/ ١٤٦) . والمؤلف هنا اعتمد على خليفة بن خياط فى رواية أخبار الفتنة ووثقه فيها ونوه بإسناده [د . عمار طالبى] .

(١٨٥) الطبرى (٥/١٠٨) . وهذا الحوار بين على والثوار مجمع عليه فى كل الروايات . وهو نص قاطع على أن اليد التى زورت الكتاب على عثمان ،وبعثت إلى العراقيين تخبرهم بذلك وتطلب منهم **أن يعودوا إلى المدينة** ، وهى اليد التى زوَّرت على علىٍّ كتابًا إلى الثوار العراقيين **بأن يعودوا** . **وقد قلنا من قبل**: إن الثوار فريقان ـ خادع ومخدوع ـ فالذين نظر بعضهم **إلى بعض عندما حلف على** بأنه لم يكتب إليهم هم من الفريق المخدوع يتعجب كيف لم يكتب **على إليهم** وقد جاءهم كتابه ، ومن ذا الذى يكون قد كتب الكتاب على لسانه **إن لم يكن** هو الذى كتبه ؟ وسيأتى قريبًا أن مسروق بن الأجدع الهمدانى (وهو **من الأئمة الأعلام المقتدى بهم**) عاتب أم المؤمنين عائشة بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان ، فأقسمت له بالله الذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون أنها ما كتبت إليهم سوادًا فى بياض . قال سليمان ابن مهران الأعمش ـ أحد الأئمة الأعلام الحفاظ : « فكانوا يرون أنه كتب على لسانها » أيها المسلمون فى هذا العصر وفى كل عصر ، أن الأيدى المجرمة التى زورت الرسائل الكاذبة على لسان عائشة أو علىٍّ وطلحة والزبير هى التى رتبت هذا الفساد كله ، وهى التى طبخت الفتنة من أولها إلى آخرها ، وهى التى زورت الرسالة المزعومة على لسان أمير المؤمنين عثمان إلى عامله فى مصر فى الوقت الذى كان =

فانطلقوا إلى عثمان فقالوا له : كتبت فينا كذا . قال لهم إما أن تقيموا اثنين من المسلمين ، أو [بينة](*) ـ كما تقدم ذكره ـ فلم يقبلوا ذلك منه (١٨٦) ونقضوا عهده(١٨٧) وحصروه .

وقد روى أن عثمان جيء إليه بالأشتر ، فقال له : يريد القوم منك إما أن تخلع نفسك ، أو تقص منها ، أو يقتلوك . فقال : أما خلعى، فلا أترك أمة محمد بعضها على بعض . وأما القصاص ، فصاحباى قبلى لم يقصا من أنفسهما ، ولا يحتمل ذلك بدنى(١٨٨) .

وروى أن رجلا قال له : نذرت دمك . قال : [له : خذ جنبى فشرط فيه بالسيف شرطة أراق منه دمه](١٨٩) ، ثم خرج الرجل وركب راحلته وانصرف فى

= يعلم فيه أنه لم يكن له عامل فى مصر ، وقد زورت هذه الرسالة على لسان عثمان بالقلم الذى زورت به رسالة أخرى على لسان علىٍّ ، كل ذلك ليرتد الثوار إلى المدينة بعد أن اقتنعوا بسلامة موقف خليفتهم ، وأن ما كان أشيع عنه كذب كله، وأنه كان يتصرف فى كل أمر بما كان يراه حقًا وخيرا . ولم يكن صهر رسول الله ﷺ المبشر منه بالشهادة والجنة هو المجنى عليه وحده بهذه المؤامرة السبأية الفاجرة ، بل الإسلام نفسه كان مجنيًا عليه قبل ذلك . والأجيال الإسلامية التى تلقت تاريخها الطاهر الناصع مشوهًا ومحرفًا هى كذلك ممن جنى عليهم ذلك اليهودى الخبيث ، والمنقادون له بخطام الأهواء والشهوات .

(١٨٦) لأنهم ما جاؤوا ليقبلوا حقًا أو يرجعوا إلى شرع ، وإنما جاؤوا ليخلعوه أو يسفكوا دمه . [خ]

(١٨٧) الذى تقدم أنهم قطعوه على أنفسهم بأن لا يشقوا عصا ولا يفرقوا جماعة . [خ] .

(*) وفى طبعة الشيخ الخطيب [يمينى] (س) .

(١٨٨) هذا الخبر فى تاريخ الطبرى (٥ / ١١٧ ، ١١٨) ، وفى البداية والنهاية (٧ / ١٨٤)، وفى أنساب الأشراف للبلاذرى (٥/ ٩٢) .

(١٨٩) وفى مطبوعة الشيخ الخطيب [خذ جبتى ، فشرط فيها شرطة بالسيف أراق منه دمه]. [س] .

الحين (١٩٠) .

ولقد دخل عليه ابن عمر ، فقال (له عثمان): انظر ما يقول هؤلاء ، يقولون : اخلع نفسك أو نقتلك . قال له (ابن عمر) : أمخلد أنت فى الدنيا ؟

قال : لا . قال : هل يزيدون على أن يقتلوك ؟ قال : لا قال : هل يملكون لك جنة أو نارا ؟ قال : لا . قال : فلا تخلع قميص الله عنك . فتكون سنة ، كلما كره قوم خليفتهم خلعوه أو قتلوه (١٩١) .

---

(١٩٠) هذا الخبر فى كتاب التمهيد للإمام أبى بكر الباقلانى ص ٢١٦ . وأعجب من ذلك ما رواه الطبرى (٥ / ١٣٧ ، ١٣٨) أن عمير بن ضابئ البرجمى وكميل بن زياد النخعى حضرا إلى المدينة ليغتالا عثمان تنفيذاً لقرار اتخذوه بالكوفة مع بقية عصابتهم ، فلما وصلا إلى المدينة نكل عمير ، وترصد كميل للخليفة حتى مرّ به ، فلما التقيا ارتاب منه عثمان ، ووجأ وجهه فوقع على استه ، فقال لعثمان : أوجعتنى يا أمير المؤمنين. قال عثمان : أولست بفاتك ؟! قال : لا والله الذى لا إله إلا هو . فاجتمع الناس وقالوا : نفتشه يا أمير المؤمنين . فقال : لا . قد رزق الله العافية ، ولا أشتهى أن أطلع منه على غير ما قال . ثم قال لكميل : « إن كان كما قلت فاقتد منى (وجئا) فوالله ما حسبتك إلا تريدنى » . وقال : « إن كنت صادقًا فأجزل الله ، وإن كنت كاذبًا فأذل الله » وقعد له على قدميه وقال « دونك ! » فقال كميل : « تركت » . أيها القارئ الكريم ، إن هذا الموقف ليس موقف خليفة فضلا عمن دونه ، بل هو موقف المتخلقين بأخلاق الأنبياء . على أن الله يمهل ولا يهمل . فقد جاء الحجاج بعد أربعين سنة فقتل ضابئًا وقتل كميلا بما أراده فى هذا الحادث من الفتك برجل خلق قلبه من رحمة الله ، و « أن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته (*) » .

(١٩١) أورد البلاذرى هذا الخبر فى أنساب الأشراف (٥/ ٧٦) من حديث نافع عن ابن عمر . وقبل أن يفتى ابن عمر لخليفته بذلك ويدعوه إلى هذه التضحية النبيلة ، كان عثمان على بينة من ذلك ونور من الله ، فقد أخرج ابن ماجة فى مقدمة سننه (الباب ١١ ج ١ ص ٢٨) من حديث النعمان بن بشير عن أم المؤمنين عائشة أن رسول الله ﷺ

(*) رواه البخارى ومسلم . [م] .

وقد أشرف عليهم عثمان ، واحتج عليهم بالحديث الصحيح فى بنيان المسجد، وحفر بئر رومة ، وقول النبى ﷺ حين رجف بهم أحد (١٩٢). وأقروا له به فى أشياء ذكرها (١٩٣) .

وقد ثبت أن عثمان أشرف عليهم وقال : أفيكم ابنا محدوج ؟ أنشدكما الله ألستما تعلمان أن عمر قال : إن ربيعة فاجر أو غادر ، وإنى والله لا أجعل فرائضهم وفرائض قوم جاؤوا من مسيرة شهر ، وإنما مهر أحدهم عند [طبيبه] (١٩٤). وإنى زدتهم فى غزاة واحدة خمسمائة ، حتى ألحقتهم بهم ؟ قالوا : بلى .

قال : أذكركما الله ألستما تعلمان أنكما أتيتمانى فقلتما : إن كندة أكلة رأس ، وإن ربيعة هى الرأس ، وإن الأشعث بن قيس قد أكلهم . فنزعته واستعملتكما ؟ قالا: بلى .

قال لعثمان : « يا عثمان إن ولاك الله هذا الأمر يومًا فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذى قمصك الله فلا تخلعه (**) يقول ذلك ثلاث مرات . وفى مسند الإمام أحمد (ج ٦ الطبعة الأولى : ص ٧٥ . ٨٦ ، ١١٤ ، ١٤٩) حديث عائشة هذا بألفاظ مختلفة يرويه عنها عروة بن الزبير والنعمان بن بشير وغيرهما .

(١٩٢) قوله ﷺ : اثبت أحد ! فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان رواه البخارى . (م) [قلت : تقدم تخريجه (ع) .

(١٩٣) انظر فى مسند الإمام أحمد (١/ ٥٩ الطبعة الأولى رقم ٤٢٠ الطبعة الثانية) حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن . وسنن النسائى (٢/ ١٢٤، ١٢٥) وجامع الترمذى (٤/ ٣١٩ ، ٣٢٠) .

(١٩٤) كذا فى طبعة الشيخ الخطيب ، لكن فى : ب ، ج ، ز : طسه وفى د : [طنبه] وهو ما نختاره ، والطنى : الفجور ، والتهمة « وفى رواية خليفة بن خياط ١/ ١٤٩» طنبه : وهو سير يوصل بوتر القوس . [س] .

(**) أورد الترمذى وابن ماجة نحوه وحسنه الترمذى وصححه محقق المشكاة [م].

قلت : صحيح : رواه أحمد (٦/ ٧٥) وابن أبى عاصم فى (السنة) (٢/ ٥٦٢) والترمذى (٣٧٠٥) وصححه الألبانى . وانظر المشكاة (٦٠٦٨) (ع).

قال : اللهم إنهم كفروا معروفي ، وبدلوا نعمتى ، فلا ترضهم عن إمامهم ولا ترض إمامًا عنهم .

وقد روى عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : كنت مع عثمان فى الدار فقال : أعزم على كل من رأى أن عليه سمعًا وطاعة إلا كف يده وسلاحه (١٩٥) . ثم قال : قم يا بن عمر - وعلى ابن عمر سيفه متقلدًا - فأخبر به الناس (١٩٦) فخرج ابن عمر . ودخلوا فقتلوه (١٩٧) .

---

(١٩٥) الذى يدل عليه مجموع الأخبار عن موقف عثمان من أمر الدفاع عنه أو الاستسلام للأقدار ، وهو أنه كان يكره الفتنة ، ويتقى الله فى دماء المسلمين إلا أنه صار فى آخر الأمر يود لو كانت لديه قوة راجحة يهابها البغاة ، فيرتدعون عن بغيهم ، بلا حاجة إلى استعمال السلاح للوصول إلى هذه النتيجة . وقبل أن تبلغ الأمور مبلغها عرض عليه معاوية أن يرسل إليه قوة من جند الشام تكون رهن إشارته ، فأبى أن يضيق على أهل دار الهجرة بجند يساكنهم (الطبرى ٥ / ١٠١) وكان لا يظن أن الجرأة تبلغ بفريق من إخوانه المسلمين إلى أن يتكالبوا على دم أول مهاجر إلى الله فى سبيل دينه . فلما تذاءب عليه البغاة واعتقد أن الدفاع عنه تسفك فيه الدماء جزافا ، عزم على كل من له عليهم سمع وطاعة أن يكفوا أيديهم وأسلحتهم عن مزالق العنف . والأخبار بذلك مستفيضة في مصادر أوليائه وشانئيه . على أنه لو ظهرت فى الميدان قوة منظمة ذات هيبة تقف فى وجوه الثوار ، وتضع حدًا لغطرستهم وجاهليتهم ، لارتاح عثمان لذلك وسر به ، مع ما هو مطمئن إليه من أنه لن يموت إلا شهيدا . (خ) .

(١٩٦) فى البداية والنهاية (٧ / ١٨٢) عن مغازى ابن عقبة (أن ابن عمر لم يلبس سلاحه إلا يوم الدار فى خلافة عثمان ، ويوم أراد نجدة الحرورى أن يدخل المدينة مع الخوارج أيام عبد الله بن الزبير) (خ) .

(١٩٧) فى تاريخ الطبرى (٥ / ١٢٩) كان آخر من خرج عبد الله بن الزبير ، أمره عثمان أن يصير إلى أبيه بوصيته التى كتبها استعدادًا للموت ، وأمره أن يأتى أهل الدار (أى المدافعين عنه فى ساحة القصر) فيأمرهم بالانصراف إلى منازلهم ، فخرج عبد الله ابن الزبير آخرهم، فما زال يدعى بها ويحدث الناس عن عثمان بآخر ما مات عليه . =

[وجاءه] زيد بن ثابت فقال له : إن هؤلاء الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله (مرتين) . قال (عثمان) لا حاجة لى فى ذلك كفوا (١٩٨) .

= وإنما أوصى عثمان إلى الزبير لأن الزبير كان محل الثقة من كبار الصحابة . روى الحافظ ابن عساكر (٥/ ٣٦٢) أن ستة من الصحابة أوصوا إليه : عثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، والمقداد ، ومطيع بن الأسود ، وأبو العاص بن الربيع فكان ينفق على أيتامهم من ماله ، ويحفظ لهم أموالهم (خ) .

(١٩٨) أورده البلاذرى فى أنساب الأشراف (٥/ ٧٣) من حديث ابن سيرين وأخرج الحافظ ابن عساكر عن مؤرخ الصدر الأول موسى بن عقبة الأسدى (الذى قال فيه الإمام مالك : عليكم بمغازى ابن عقبة ، فإنه ثقة ، وهى أصح المغازى) أن أبا حبيبة الطائى (وهو ممن يروى عنهم أبو داود والنسائى والترمذى) قال : لما حضر عثمان جاء بنو عمرو بن عوف إلى الزبير فقالوا : يا أبا عبد الله نحن نأتيك ثم نصير إلى ما تأمرنا به (أى من الدفاع عن أمير المؤمنين) قال أبو حبيبة : فأرسلنى الزبير إلى عثمان ، فقال : أقرئه السلام وقل: « يقول لك أخوك : إن بنى عمرو بن عوف جاؤونى ووعدونى أن يأتونى ثم يصيروا إلى ما أمرتهم به . فإن شت أن آتيك فأكون رجلا من أهل الدار يصيبنى ما يصيب أحدهم ، فعلت . وإن شئت انتظرت ميعاد بنى عمرو فأدفع بهم عنك ، فعلت » قال أبو حبيبة : فدخلت عليه (أى على عثمان) فوجدته على كرسى ذى ظهر ، ووجدت رياطًا مطروحة ومراكن مغلوة ، ووجدت فى الدار الحسن بن على ، وابن عمر ، وأبا هريرة ، وسعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم ، وعبد الله بن الزبير . فأبلغت عثمان رسالة الزبير ، فقال : «الله أكبر ، الحمد لله الذى عصم أخى . قل له : إنك إن تأت الدار تكن رجلا من المهاجرين ، حرمتك حرمة رجل ، وغناؤك غناء رجل . ولكن انتظر ميعاد بنى عمرو ابن عوف ، فعسى الله أن يدفع بك » . قال : فقام أبو هريرة فقال : أيها الناس ، لقد سمعت أذناى رسول الله ﷺ يقول « **تكون بعدى فتن وأحداث** » فقلت : وأين النجاء منها يا رسول الله ؟ قال : « **الأمير وحزبه** » وأشار إلى عثمان (**) . فقال=

(**) رواه البيهقى فى « دلائل النبوة »(١) . [م] .

(١) لم أجده فيه مع البحث .

وقال له أبو هريرة : اليوم طاب الضرب معك . قال : عزمت عليك لتخرجن(١٩٩) . وكان الحسن بن على آخر من خرج من عنده، فإنه جاء الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان، فعزم عليهم فى وضع سلاحهم، وخروجهم، ولزوم بيوتهم.

= القوم : ائذن لنا فلنقاتل ، فقد أمكنتنا البصائر (*) . فقال (عثمان) : « عزمت على أحد كانت لى عليه طاعة ألا يقاتل » . قال : فبادر ـ أى سبق ـ الذين قتلوا عثمان ميعاد بنى عمرو بن عوف فقتلوه .

وبنو عمرو بن عوف قبيل كبير من الخزرج أحد فرعى الأنصار ، وكان النبى ﷺ عند وصوله إلى المدينة مهاجراً من مكة نزل ضيفًا عليهم ثلاثة أيام ثم انتقل إلى بنى النجار (خ).

(١٩٩) هذا الخبر فى تاريخ الطبرى (٥/ ١٢٩) [خ] .

(*) وهذه المواقف المشرفة للصحابة رضوان الله عليهم تلقم خصوم الإسلام الذين يقولون بأن الصحابة كلهم كانوا راضين بقتل عثمان ويتبرؤون منه حتى تركوه ولم يدافعوا عنه ! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا .

وقد ثبت فى « نهج البلاغة » من كلام على بن أبى طالب أنه قال : « والله دفعت عنه » .

وقد نقل البلاذرى فى كتابه : « أنساب الأشراف » ١٠٣/٥ عن المدائنى عن سلمة بن عثمان عن على بن زيد عن الحسن قال : « دخل على بن أبى طالب على بناته ، وهن يمسحن عيونهن فقال : ما لكنّ تبكين ؟ قلن : نبكى على عثمان . فبكى وقال : ابكين .

وروى ابن السمان عن قيس بن عباد قال : سمعت عليًا يوم « الجمل » يقول : « اللهم إنى أبرأ إليك من دم عثمان ، وقد طاش عقلى يوم قتل عثمان ، وأنكرت نفسى ، وجاؤونى للبيعة فقلت : ألا تستحى من الله أن أبايع قومًا قتلوا رجلا قال له رسول الله : ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة » . رواه مسلم .

وقد جاء فى العقد الفريد لابن عبد ربه عبارة تصور موقف علىٍّ من مقتل عثمان أحسن تصوير قال سعيد الخزاعى :

لقيت عليًا بعد الجمل ، فقلت له : إنى سائلك عن مسألة كانت منك ومن عثمان، فإن نجوت اليوم نجوت غدًا أن شاء الله قال : سل عما بدا لك ، قلت أخبرنى أى منزلة وسعتك إذ قتل عثمان ولم تنصره ؟! قال : إن عثمان كان إمامًا وأنه نهى عن القتال ، وقال : من سلّ سيفه فليس منى !! فلو قاتلنا دونه عصيناه قال : فأى منزلة وسعت عثمان إذا استسلم ؟ قال : المنزلة التى وسعت ابن آدم إذ قال لأخيه : ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وما أروعَ ما قاله محمدُ بنُ سيرين فى هذا الموضوع : « ما علمت أنّ عليًا اتهم فى دم عثمان حتى بويع ! فلما بويع اتهمه الناس وذلك أمر مركوز فى الطبائع !» (م).

فقال له ابن الزبير ومروان : نحن نعزم على أنفسنا ألا نبرح . ففتح عثمان الباب ودخلوا عليه فى أصح الأقوال (٢٠٠) .

فقلته المرء الأسود (٢٠١) .

وقيل : أخذ ابن أبى بكر بلحيته ، وذبحه [رومان] (٢٠٢) ، وقيل : رجل من أهل مصر يقال له حمار (٢٠٣) . فسقطت قطرة من دمه على المصحف على قوله : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾ فإنها فيه ما حكت إلى الآن (٢٠٤) .

وروى أن عائشة رضي الله عنها قالت : « غضبت لكم من السوط ، ولا أغضب لعثمان

---

(٢٠٠) أصل هذا الخبر فى تاريخ الطبرى (٥/١٢٨) عن سيف بن عمر التميمى عن أشياخه . (خ) .

(٢٠١) كذا فى مطبوعة الجزائر . والذى فى تاريخ الطبرى (٥ / ١٢٥) « الموت الأسود » ، والأصول التى طبع عليها تاريخ الطبرى أصح من الأصول التى طبع عليها كتابنا فى الجزائر ، ومن الثابت أن ابن سبأ كان مع ثوار مصر عند مجيئهم من الفسطاط إلى المدينة (الطبرى ٥/ ١٠٣ ، ١٠٤) وهو فى كل الأدوار التى مثلها كان شديد الحرص على أن يعمل من وراء ستار ، فلعل « الموت الأسود » اسم مستعار له أراد أن يرمز به إليه ليتمكن من مواصلة دسائسه لهدم الإسلام . (خ) .

قلت : الأظهر أن ما فى تاريخ الطبرى أصح حيث عبر عن ذلك بالموت فقال : ودخل عليه رجل يقال له الموت الأسود . وذكر خليفة بن خياط : أنه رجل من بنى سدوس يقال له . الموت الأسود (١/ ١٥٢) .

(٢٠٢) رومان رجل من بنى أسد بن خزيمة . وليس محرفًا كما قال الشيخ محب الدين الخطيب ، حيث وضع مكانه (كنانة بن بسر) بدعوى أن نسخة الجزائر كثيرة التحريف . [انظر تاريخ خليفة بن خياط ١/ ١٥٣] (س) .

(٢٠٣) لم أر هذا الاسم فيمن اجترؤوا على ارتكاب الجريمة العظمى ، ولعل النساخ حرفوا اسم سودان بن « حمران » أو اسم عمرو بن « الحمق » . (خ) .

(٢٠٤) ذكرت هذه الحادثة فى الطبرى بسند حسن . وقد بعث الله على قتلة عثمان من قتلهم جميعًا . ولعل الآية تشير إلى هذا الانتقام . [م] .

من السيف ؟ استعتبتموه حتى إذا تركتموه [كالفل](٢٠٥) المصفى ، ومصتموه موص الإناء،وتركتموه كالثوب المنقى من الدنس، ثم قتلتموه »(٢٠٦) . قال مسروق(٢٠٧) : قلت لها:« هذا عملك ، كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه » . فقالت عائشة : « والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم سوادًا فى بياض » . قال الأعمش : فكانوا يرون أنه كتب على لسانها(٢٠٨) .

وقد روى أنه ما قتله أحد إلا أعلاج من أهل مصر .

قال القاضى أبو بكر رضي الله عنه :: فهذا أشبه ما روى فى الباب .وبه يتبين ـ وبأصل المسألة سلوك سبيل الحق ـ أن أحدًا من الصحابة لم يسع عليه ، ولا قعد عنه . ولو استنصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء عشرين ألفًا بلديين أو أكثر من ذلك(٢٠٩) ،

---

(٢٠٥) ب ، ج ، ز : العبد . وأصلحه الشيخ محب الدين : القند . ولعله الذهب لأنه قد ورد فى تاريخ ابن الأثير فى شأن عثمان [كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذا ماصوه كما يماص الثوب بالماء [٣/ ٢٠٧] . (س) .

(٢٠٦) قالت ذلك أول مرة عند وصولها إلى المدينة عائدة من الحج ، فاجتمع إليها الناس وألقت فيهم خطبة بليغة وردت هذه الجملة فى آخرها (الطبرى ٥/ ١٦٥ ، ١٦٦) . والموص : الغسل بالأصابع . والقند : عسل قصب السكر إذا جمد . [خ] .

(٢٠٧) هو من أئمة التابعين المقتدى بهم توفى سنة ٦٣ . وهو الذى قال لعمار بالكوفة قبل يوم الجمل : يا أبا اليقظان علام قتلتم عثمان ؟ قال : على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا . فقال مسروق : والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين (الطبرى ٥/ ١٨٧)

وقد وجدت بعده فى تاريخ الطبرى ما يخالفه : خرج أبو موسى فلقى الحسن ابن على . . وقال لعمار : يا أبا يقظان ! أعدوت على أمير المؤمنين عثمان قتلته ؟! فقال : لم أفعل (٧/ ٣٥) . (م) .

(٢٠٨) كما كتب على لسان علىٍّ ولسان عثمان [خ] .

(٢٠٩) أين هذه المواقف الشريفة للصحابة ـ دون استثناء واحد منهم مما يزعم السفهاء من أن الصحابة كلهم كانوا راضين بقتله ، ويتبرؤون منه حتى تركوه بعد قتله ثلاثة أيام =

ولكنه ألقى بيده إلى المصيبة (٢١٠) .

وقد اختلف العلماء فيمن نزل به مثلها : هل يلقى بيده ، أو يستنصر (٢١١) ؟ وأجاز بعضهم أن يستسلم ويلقى بيده اقتداء بفعل عثمان ، وبتوصية النبى ﷺ بذلك فى الفتنة (٢١٢) .

قال القاضى أبو بكر رضي الله عنه : ولقد حكمت بين الناس فألزمتهم الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى لم يك [ترى] فى الأرض منكر ، واشتد الخطب على أهل الغصب ، وعظم على الفسقة الكرب ، فتألبوا وألبوا ، وثاروا إلىّ [واستسلمت] لأمر الله ، وأمرت كل من حولى ألا يدافعوا عن دارى ، وخرجت

= بلا دفن كما ذكره مؤلف التحفة الاثنى عشرية ورد عليهم بما ألقمهم حجراً فكان مما قاله: « . . إن هذا كله كذب صريح وبهتان صريح لا يخفى على الصبيان فضلا عن ذوى العرفان (مختصر التحفة الاثنى عشرية : ٢٦٦) » [م] .

(٢١٠) لأنه اختار بذلك أهون الشرين ، فآثر التضحية بنفسه على توسيع دائرة الفتنة وسفك دماء المسلمين . وعثمان افتدى دماء أمته بدمه مختاراً فما أحسن الكثيرون منها جزاءه، وأن أوربا تعبد بشراً بزعم الفداء ولم يكن فيه مختارا . (خ) .

(٢١١) من سياسة الإسلام أن يختار فى كل حالة أقلها شرا وأخفها ضررا ، فإذا كانت للخير قوة غالبة تقمع الشر وتضيق دائرته فالإسلام يهدي إلى قمع الشر بقوة الخير بلا تردد. وإن لم يكن للخير قوة غالبة تقمع الشر وتضيق دائرته ـ كما كانت الحال فى موقف أمير المؤمنين عثمان من البغاة عليه ـ فمصلحة الإسلام فى مثل ما جنح إليه عثمان أعلى الله مقامه فى دار الخلود (خ) .

(٢١٢) وهى قوله ﷺ على ما رواه الإمام البخارى فى كتاب المناقب (ك ٦١ ب ٢٥ ج ٤ ص ١٧٧) وفى كتاب الفتن (ك ٩٢ ب ٩ ج٨ ص ٩٢) من صحيحه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « **ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماضى و الماشى فيها خير من الساعى . ومن يشرف لها تستشرفه . ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به** » . وأعلن أبو موسى الأشعرى فى الكوفة قبل وقعة الجمل أنه سمعه من رسول الله ﷺ (الطبرى ٥/ ١٨٨) . [خ] .

على السطوح بنفسى ، فعاثوا على ، وأمسيت سليب الدار ، ولولا ما سبق من حسن المقدار لكنت قتيل الدار .

وكان الذى حملنى على ذلك ثلاثة أمور : أحدها وصاية النبى ﷺ المتقدمة(٢١٤) ، والثانى الاقتداء بعثمان، والثالث سوء الأحدوثة التى فر منها رسول الله ﷺ بالوحى (٢١٥) . فإن من غاب عنى ، بل من حضر من الحسدة معى ، خفت أن يقول : إن الناس مشوا [مستعينين به] مستغيثين له فأراق دماءهم .

وأمر عثمان كله سنة ماضية ، وسيرة راضية . فإنه تحقق أنه مقتول بخبر الصادق له بذلك ،وأنه بشره بالجنة على بلوى تصيبه ، وأنه شهيد .

وروى أنه قال له فى المنام : إن شئت نصرتك ، أو تفطر عندنا الليلة (٢١٧) .

---

(٢١٤) وقد نقلناها آنفًا من حديث أبى هريرة فى صحيح البخارى ، ومن حديث أبى موسى فى الكوفة قبل وقعة الجمل . [خ] .

(٢١٥) وذلك لما قال ابن سلول فى غزوة بنى المصطلق « إذا رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فأراد عمر أن يقتله ، فمنعه النبى ﷺ وقال : « **لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه** » . [خ] .

(٢١٧) هذه الرواية لابن أبى الدنيا من حديث عبد الله بن سلام فى البداية والنهاية (٧/ ١٨٢ـ ١٨٣) ، ومن طريق آخر عنه فى أنساب الأشراف للبلاذرى (٥/ ٨٢) . وفى مسند أحمد (١أ ٧٢ الطبعة الأولى رقم ٥٢٦ الثانية) من حديث مسلم أبى سعيد مولى عثمان قال : « إن عثمان أعتق عشرين مملوكا ، ودعا بسراويل فشدها عليه ولم يلبسها فى جاهلية ولا إسلام ، وقال : إنى رأيت رسول الله ﷺ البارحة فى المنام ورأيت أبا بكر وعمر ، وأنهم قالوا لى : اصبر ، فإنك تفطر عندنا القابلة ، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه ، فقتل وهو بين يديه » . وروى الإمام أحمد هذا الحديث عن نائلة زوجة عثمان (١/ ٧٣ رقم ٥٣٦) بقريب من هذا . وفى البداية والنهاية (٧/ ١٨٢) من حديث أيوب السختيانى عن نافع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ومن طرق أخرى متعددة وانظر (تاريخ الطبرى(*) ٥/ ١٢٥) . (خ) .

(*) روى الطبرى نحوه مختصرا وإسناده حسن (م) .

وقد انتدبت المردة والجهلة إلى أن يقولوا : إن كل فاضل من الصحابة كان عليه مشاغبًا مؤلبًا، وبما جرى عليه راضيًا . واخترعوا كتابا فيه فصاحة وأمثال كتب عثمان به مستصرخًا إلى على . وذلك كله مصنوع ، ليوغر قلوب المسلمين على السلف الماضين والخلفاء الراشدين (٢١٨) .

قال القاضى أبو بكر رضي الله عنه : فالذى ينخل من ذلك أن عثمان مظلوم ، محجوج بغير حجة (٢١٩) . وأن الصحابة برآء من دمه بأجمعهم ، لأنهم أتوا إرادته ، وسلموا له رأيه فى إسلام نفسه .

ولقد ثبت ـ زائدًا إلى ما تقدم عنهم ـ أن عبد الله بن الزبير قال لعثمان : إنا معك فى الدار عصابة مستبصرة ينصر الله بأقل منهم ، فائذن لنا . فقال : أذكر الله رجلا أراق لى دمه (أو قال دمًا) (٢٢٠) .

---

(٢١٨) هذه الكتب المصنوعة والأخبار المبالغ فيها أو المكذوبة شحنت بها أسفار الأخبار وكتب الأدب . ولتمييز الحق فيها من الباطل طريقان :أحدهما طريق أهل الحديث فى أن لا يقبلوا إلا الأخبار المسندة إلى أشخاص بأسمائهم ثم يستعرضوا أحوال هؤلاء الأشخاص فيقبلوا من صادقهم ، ويضربوا وجهه الكذاب بكذبه . والطريق الثانى طريق علماء التاريخ وهو أن يعرضوا كل خبر على سجايا من يخبر عنه ، ويقارنوه بسيرته ، وهل هو مما ينتظر وقوعه ممن نسب إليه ويلائم المعروف من سابقته وأخلاقه أم لا وتمحيص تاريخنا يحتاج إلى هذين الطريقين معا يقوم بهما علماء راسخون فيهما. [خ] .

(٢١٩) كما تبين فى هذا الكتاب بأسانيده القاطعة . وانظر كتاب (التمهيد) للإمام أبى بكر الباقلانى (ص ٢٢٠ ـ ٢٢٧) . (خ) .

(٢٢٠) ولما بدأ حجاج بيت الله يعودون إلى المدينة كان أول المسرعين منهم المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفى الصحابى ، فأدرك عثمان قبل أن يقتل ، وشهد المناوشة على باب دار عثمان فجلس على الباب من داخل وقال : ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى نموت وكان أول من برز للبغاة المهاجمين ، وقاتل حتى قتل . وخرج معه لقتالهم الحسن بن على بن أبى طالب وهو يقول فى تسفيه عمل البغاة :

لا دينهم دينى ولا أنا منهم ... حتى أسير إلى طمار شمام

أى إلى جبل أشم لا ينجو من سقط منه . وخرج معهما محمد بن طلحة بن عبيد الله ـ وكان يعرف بالسجاد لكثرة عبادته ـ وهو يقول :

=

وقال سليط بن أبي سليط : نهانا عثمان عن قتالهم ، فلو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم عن أقطارها (٢٢١) .

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : كنت مع عثمان في الدار فقال : أعزم على كل من رأى أن لي عليه سمعًا وطاعة إلا كف يده وسلاحه، فإن أفضلكم غناء من كف يده وسلاحه (٢٢٢) .

وثبت أن الحسن والحسين وابن الزبير وابن عمر ومروان كلهم شاك في السلاح حتى دخلوا الدار ، فقال عثمان : أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم (٢٢٣) .

= أنا ابن من حامى عليه بأحد ورد أحزابًا على رغم معد
انظر تاريخ الطبرى (٥/١٢٨ ، ١٢٩) . [خ] .

(٢٢١) رواه الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/١١٨ ، ١١٩) هامش الإصابة) من حديث ابن سيرين عن سليط . وأورده الحافظ ابن حجر مختصرا في الإصابة (٢/٧٢) . (خ) .

(٢٢٢) وفي تاريخ الطبرى (٥/١٢٧) أن عثمان دعا عبد الله بن عباس فقال له : اذهب فأنت على الموسم (أى على إمارة الحج) فقال ابن عباس : « والله يا أمير المؤمنين لجهاد هؤلاء أحب إلى من الحج » فأقسم عليه لينطلقن ، فانطلق ابن عباس على الموسم تلك السنة . [خ] .

(٢٢٣) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧/١٨١) : كان الحصار مستمراً من أواخر ذى القعدة إلى يوم الجمعة الثامن عشر من ذى الحجة . فلما كان قبل ذلك بيوم ، قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار ـ وكانوا قريبا من سبعمائة ، فيهم عبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة وخلق من مواليه ولو تركهم لمنعوه ـ : « أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله » وقال لرقيقه « من أغمد سيفه فهو حر » فبرد القتال من داخل ، وحمى من خارج . حتى كانت الساعة التي تم فيها للشيطان ما سعى له وتمناه . ويكفى لبيان ما كان لهذه الفاجعة الكبرى من الأثر في النفوس ما نقله البلاذرى في أنساب الأشراف (٥/١٠٣) عن المدائنى عن سلمة بن عثمان عن على بن زيد عن الحسن قال: دخل على يومًا على بناته وهن يمسحن عيونهن . فقال : ما لكنَّ تبكين ؟ قلن: نبكى على عثمان ، فبكى وقال : ابكين . . [خ] .

فلما قضى الله من أمره ما قضى ، ومضى فى قدره ما مضى ، علم أن الحق [ألا] يترك الناس سدى ، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه . ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدرا وعلمًا وتقى ودينا ، فانعقدت له البيعة . ولو لا الإسراع بعقد البيعة لعلى لجرى على من بها من الأوباش مالا يرقع خرقة . ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار ، ورأى ذلك فرضًا عليه ، فانقاد إليه (٢٢٤) .

---

(٢٢٤) فى تاريخ الطبرى (٥/ ١٥٥) عن سيف(*) بن عمر التميمى عن أشياخه قالوا : بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام أميرها الغافقى بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه : يأتى المصريون عليًا فيختبئ منهم ويلوذ بحيطان المدينة (أى يختبئ فى بساتينها) فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم مرة بعد مرة . ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه . فأرسلوا إليه حيث هو رسلا فباعدهم وتبرأ من مقالتهم . ويطلب البصريون طلحة ، فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقالتهم . . فبعثوا إلى سعد بن أبى وقاص وقالوا : إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع ، فاقدم نبايعك . فبعث إليهم أنى وابن عمر خرجنا منها ، فلا حاجة لى فيها . . ثم إنهم أتوا ابن عمر عبد الله فقالوا : أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر فقال : إن لهذا الأمر انتقامًا والله لا أتعرَّض له فالتمسوا غيرى . وأخرج الطبرى (٥/ ١٥٦) عن الشعبى قال : أتى الناس عليًا وهو فى سوق المدينة وقالوا له : ابسط يدك نبايعك . قال : لا تعجلوا ، فإن عمر كان رجلا مباركا ، وقد أوصى بها شورى ، فأمهلوا يجتمع الناس ويتشاورون . فارتد الناس عن على . ثم قال بعضهم : إن رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان ولم يقم بعده قائم بهذا الأمر لم نأمن اختلاف الناس وفساد الأمة . فعادوا إلى على ، فأخذ الأشتر بيده ، فقبضها علىٌّ فقال : أبعد ثلاثة ؟ أما والله لئن تركتها لتعصرن عينيك عليها حينًا . فبايعته العامة . وأهل الكوفة يقولون : أول ما بايعه الأشتر . وروى سيف عن أبى حارثة محرز العبشمى وعن أبى عثمان يزيد بن أسيد الغسانى قالا : لما كان يوم الخميس على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان جمعوا أهل المدينة ، فوجدوا سعدًا والزبير خارجين ووجدوا طلحة فى حائط له . . . فلما اجتمع لهم أهل المدينة قال لهم أهل مصر : أنتم أهل الشورى وأنتم تعقدون الإمامة وأمركم عابر على الأمة ، فانظروا رجلا تنصبونه ونحن لكم تبع . فقال الجمهور : على بن أبى طالب نحن به رضوان . . . فقال على : دعونى والتمسوا =

(*) سيف هذا متهم بالكذب كما جاء فى اللسان والميزان [م] .

وعقد له البيعة طلحة ، فقال الناس : بايع عليًا يد شلاء ، والله لا يتم هذا الأمر [(٢٢٥)] .

فإن قيل : بايعا مكرهين [(٢٢٦)] . قلنا : حاشا لله أن يكرها ، لهما ولمن بايعهما . ولو كان مكرهين ما أثر ذلك ، لأن واحدًا أو اثنين تنعقد البيعة بهما وتتم ، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له ، وهو مكره على ذلك شرعًا . ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما ، ولا في بيعة الإمام [(٢٢٧)] .

وأما من قال يد شلاء وأمر يتم ، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع ، ولم يكن كذلك [(٢٢٨)] .

= غيرى . . فقالوا : ننشدك الله ، ألا ترى الفتنة ، ألا تخاف الله ؟ فقال: إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، وإن تركتمونى فإنما أنا كأحدكم، إلا أنى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم . ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد (أى يوم الجمعة) فلما أصبحوا من يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجاء عليٌّ حتى صعد المنبر فقال : « يا أيها الناس عن ملأ وأذن. أن هذا أمركم، ليس لأحد فيه حق إلا أن أمرتم . وقد افترقنا بالأمس على أمر . فإن شئتم قعدت لكم ، وإلا فلا أجد على أحد » فقالوا «نحن على ما فارقناك عليه بالأمس » . وهذه الوقائع على بساطتها تدل على أن بيعة عليٌّ كانت كبيعة إخوانه من قبل جاءت على قدرها وفى أبانها ، وأنها مستمدة من رضا الأمة فى حينها ، لا من وصية سابقة مزعومة ، أو رموز خيالية موهومة (خ).

(٢٢٥) قائل هذه الكلمة حبيب بن ذؤيب . رواه الطبرى (١٥٣/٥) عن أبى المليح الهذلى [خ].

(٢٢٦) يعنى طلحة والزبير : [خ] .

(٢٢٧) القاضى ابن العربى يقرر هنا الحكم الشرعى فى عقد البيعة ، لا على أنه رأى له . وللإمام أبى بكر الباقلانى كلام سديد فى (التمهيد) ص ٢٣١ . [خ] .

(٢٢٨) وقد علمت أن أهل الكوفة يقولون: إن الأشتر كان أول من بايع ولو كانت يد طلحة هى الأولى فى البيعة لكانت أعظم بركة ، لأنها يد دافعت عن رسول الله ﷺ ، ويد الأشتر لا تزال رطبة من دم الشهيد المبشر بالجنة . (خ) .

فإن قيل : فقد قال طلحة : « بايعت واللج (٢٢٩) على قفى (٢٣٠) » . قلنا: اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل فى « القفا » لغة « قفى » كما يجعل فى «الهوى » : « هوى » . وتلك لغة هذيل لا قريش (٢٣١) فكانت كذبة لم تدبر .

وأما قولهم « يد شلاء » لو صح فلا متعلق لهم فيه ، فإن يدًا شلت في وقاية رسول الله ﷺ يتم لها كل أمر ، ويتوقى بها من كل مكروه (٢٣٢) . وقد تم الأمر على وجهه ، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه . وجهل المبتدع ذلك فاخترع ما هو

---

(٢٢٩) فى جميع النسخ المخطوطة (اللح) وصوابه (اللج) وهو السيف . وقد أصلحه الشيخ محب الدين الخطيب ولم ينبه إلى ذلك » . [س] .

(٢٣٠) بل هى أبعد عن لغة قريش من لهجة هذيل ، فقد قال ابن الأثير فى النهاية (مادة لجج) إنها لغة طائية ، يشددون ياء المتلكم [خ] .

(٢٣١) كان طلحة من العصابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الموت يوم أحد حين انهزم المسلمون ، فصبروا ولزموا . ورمى مالك بن زهير الجشمى بسهم يريد رسول الله ﷺ ـ وكان لا يخطئ رميه ـ فاتقاه طلحة بيده عن رسول الله ﷺ ، فكان ذلك سبب الشلل في يده من خنصره . وأقبل رجل من بنى عامر يجر رمحًا له على فرس كميت أغر مدججًا فى الحديد يصيح : أنا أبو ذات الودع ، دولونى على محمد . فضرب طلحة عرقوب فرسه ، فاكتسعت . ثم تناول رمحه فلم يخطئ به عن حدقته، فخار كما يخور الثور ، فما برح طلحة واضعًا رجله على خده حتى مات . قالت بنتاه ـ عائشة وأم إسحاق ـ : جرح أبونا يوم أحد أربعًا وعشرين جراحة فى جميع جسده ، وقد غلبه الغشى ، وهو مع ذلك محتمل رسول الله ﷺ حتى كسرت رباعيتاه يرجع به القهقرى ، كلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب . فكان النبى ﷺ يقول إذا رأى طلحة : « **من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله** (*) » رواه أبو نعيم الأصبهانى . وكان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كان يوم طلحة . وسمع على بن أبى طالب رجلا يقول بعد يوم الجمل: ومن طلحة ؟ فزجره على، وقال : إنك لم تشهد يوم أحد ،=

(*) إسناده صحيح لشواهده كما جاء فى الأحاديث الصحيحة ٢/ ٣٢ [م] .

حجة عليه .

فإن قيل : بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان . قلنا : هذا لا يصح في شرط البيعة، وإنما يبايعونه على الحكم بالحق ، وهو أن يحضر الطالب للدم ، ويحضر المطلوب ، وتقع الدعوى ، ويكون الجواب ، وتقوم البينة ، ويقع الحكم. فأما على الهجم عليه بما كان من قول مطلق ، أو فعل غير محقق ، أو سماع كلام ، فليس ذلك في دين الإسلام (٢٣٣) .

قالت العثمانية : تخلف عنه من الصحابة جماعة ، منهم سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة ، وابن عمر ، وأسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم .

قلنا : أما بيعته فلم يتخلف عنها . وأما نصرته فتخلف عنها قوم ، منهم من

= لقد رأيته وإنه ليحترس بنفسه دون رسول الله ﷺ وإن السيوف لتغشاه، وإن هو إلا جنة بنفسه لرسول الله ﷺ . أخرج الحافظ ابن عساكر (٧/ ٧٨) من طريق ابن منده عن طلحة قال سماني رسول الله ﷺ يوم أحد (طلحة الخير) وفي غزوة العسرة (طلحة الفياض)، ويوم حنين (طلحة الجود) . [خ] .

(٢٣٣) وانظر (التمهيد) للباقلاني ص ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ . وحقيقة موقف عليٍّ من قتلة عثمان أنهم عند البيعة له كانوا هم المستولين على زمام الأمر في المدينة . وفي حالة الإرهاب التي كانت سائدة يومئذ لم يكن في استطاعة علي ولا غيره أن يقف منهم مثل موقف الصحابة من عبيد الله بن عمر لما قتل الهرمزان . مع الفارق العظيم بين دم أمير المؤمنين الخليفة الراشد ، والأسير الحربي المجوسي الذي قال : إنه أسلم بعد وقوعه في الأسر . ولما انتقل عليٌّ من المدينة إلى العراق ليكون على مقربة من الشام انتقل معه قتلة عثمان ولا سيما أهل البصرة والكوفة منهم ، فلما صاروا في بصرتهم وكوفتهم صاروا في معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم ، ولا شك أن عليًا أعلن البراءة منهم وأراد أن يتفق مع أصحاب الجمل على ما يمكن الاتفاق عليه في هذا الشأن، فأنشب قتلة عثمان القتال بين معسكر علي ومعسكر أصحاب الجمل ، وتمكن أصحاب الجمل من قتل المصريين من قتلة عثمان إلا واحداً من بني سعد بن زيد مناة بن تميم=

ذكرتم ، لأنها كانت مسألة اجتهاد ، فاجتهد كل واحد وأعمل نظره وأصاب قدره (٢٣٣).

* * *

= حمته قبيلته . فلما اتسعت الأمور وسفكت الدماء كان على فى موقف يحتاج فيه إلى بأس هؤلاء المعروفين بأنهم من قتلة عثمان وفى مقدمتهم الأشتر وأمثاله . وأن كثيرين منهم انقلبوا على علىٍّ بعد ذلك وخرجوا عليه معتقدين كفره . ويقول علماء السنة والمؤرخون إن الله كان بالمرصاد لقتلة عثمان، فانتقم منهم بالقتل والنكال واحداً بعد واحد ، حتى الذين طال بهم العمر إلى زمن الحجاج كانت عاقبتهم سفك دمائهم جزاء بما قدمت أيديهم والله أعدل الحاكمين . (خ) .

(٢٣٣) وانظر (التمهيد) للباقلانى ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .

قاصمة

روى قوم أن البيعة لما تمت لعلى استأذن طلحة والزبير عليا فى الخروج إلى مكة(٢٣٤) . فقال لهما عليٌ : لعلكما تريدان البصرة والشام . فأقسما ألا يفعلا(٢٣٥) .

وكانت عائشة بمكة (٢٣٦) .

وهرب عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة إلى مكة ،ويعلى بن أمية عامل عثمان على اليمن .

فاجتمعوا بمكة كلهم ، ومعهم مروان بن الحكم ، واجتمعت بنو أمية . وحرضوا على دم عثمان وأعطى يعلى لطلحة والزبير وعائشة أربعمائة ألف درهم . وأعطى لعائشة « عسكرًا » جملا اشتراه باليمن بمائتى دينار . فأرادوا الشام ، فصدهم ابن عامر وقال : لا ميعاد لكم بمعاوية، ولى بالبصرة صنائع ، ولكن إليها .

---

(٢٣٤) وممن استأذنه فى الخروج إلى مكة عبد الله بن عمر بن الخطاب . وسبب ذلك أن عليا لما تمت له البيعة عزم على قتال أهل الشام ، وندب أهل المدينة إلى الخروج معه فأبوا عليه ، فطلب عبد الله بن عمر وحرضه على الخروج معه فقال : إنما أنا رجل من أهل المدينة إن خرجوا خرجت على السمع والطاعة ، لكن لا أخرج للقتال فى هذا العام . ثم تجهز ابن عمر وخرج إلى مكة (ابن كثير ٧/ ٢٣٠) وكان الحسن بن علي مخالفًا لأبيه فى أمر الخروج لمقاتلة أهل الشام ومفارقته المدينة كما ترى فيما بعد . (خ) .

(٢٣٥) قول على لهما وقسمهما له من زيادات مرتكبى (القاصمة) ورواتها (خ) .

(٢٣٦) ذهبت إليها هى وأمهات المؤمنين لما قطع البغاة الماء عن أمير المؤمنين عثمان ، وأخذ يستسقى الناس ، فجاءته أم حبيبة بالماء فأهانوها ، وضربوا وجه بغلتها ، وقطعوا حبل البغلة بالسيف (الطبرى ٥/ ١٢٧) ، فتجهز أمهات المؤمنين إلى الحج فرارًا من الفتنة (ابن كثير ٧ / ٢٢٩) (خ) .

فجاؤوا إلى ماء الحوأب (٢٣٧) ، ونبحت كلابه ، فسألت عائشة ، فقيل لها : هذا ماء الحوأب . فردت خطامها عنه ، وذلك لما سمعت النبى ﷺ يقول : « **أيتكن صاحبة الجمل الأديب** (٢٣٨) ، **والتى تنبحها كلاب الحوأب ؟** » فشهد طلحة والزبير أنه ليس هذا ماء الحوأب (٢٣٩) ، وخمسون رجلا إليهم (٢٤٠) وكانت أول شهادة زور دارت فى الإسلام (٢٤١) .

---

(٢٣٧) الحوأب من مياه العرب على طريق البصرة . قاله أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الإسكندرى فيما نقله عنه ياقوت فى معجم البلدان . وقال أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم : ماء قريب من البصرة ، على طريق مكة إليها . سمى بالحوأب بنت كلب بن وبرة القضاعية [خ] .

(٢٣٨) الأديب : الأدب (أظهر الإدغام لأجل السجعة) ، والأدب الكثير وبر الوجه . قاله ابن الأثير فى النهاية [خ] .

(٢٣٩) هذا الخبر عن الصحابى الجليل الزبير عار عن الصحة . وقد ذكر الإمام ابن كثير فى البداية والنهاية (٦/ ٢١٢) خلافه فقال :

روى أبو نعيم بن حماد فى الملاحم ـ وقد أسنده ـ ثم روى أحمد ـ وقد أسنده ـ عن أبى حازم أن عائشة لما أتت على الحوأب فسمعت نباح الكلاب فقالت : ما أظننى إلا راجعة ، أن رسول الله ﷺ قال: « لنا أيتكن ينبح عليها كلاب الحوأب » ، فقال لها الزبير: ترجعين؟ وعسى الله أن يصلح بك بين الناس (١) . قال ابن كثير : وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجاه . [م] .

(٢٤٠) لم يشهدوا ، ولم تقل عائشة ، ولم يقل (**) النبى ﷺ . وسنبين ذلك فى موضعه من (العاصمة) فيما بعد . [خ] .

(٢٤١) شهادة الزور تصدر عن رعاع لا يخافون الله كأبى زينب وأبى المورع كما تقدم وتصدر عمن يزعم لنفسه أنه قادر على خلق شخصية لم يخلقها الله كالذى اخترع اسم ثابت مولى أم سلمة كما تقدم أما طلحة والزبير ـ المشهود لهما بالجنة من نبى الرحمة ﷺ=

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٦/ ٩٧) والبيهقى فى (دلائل النبوة) ٦/ ٤١٠) وانظر الصحيحة(٤٧٤) ومجمع الزوائد (٣/ ٢٣٤) (ع) وسيأتى قريبًا ص ١٦٢، ١٦٣ .

(**) لقد صح حديث الحوأب كما نرى ذلك واضحًا عما قريب [م] .

وخرج عليٌّ إلى الكوفة (٢٤٢) ، وتعسكر الفريقان والتقوا (٢٤٣) ، وقال عمار - وقد دنا من هودج عائشة - : ما تطلبون ؟ قالوا : نطلب دم عثمان . قال : قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب لغير الحق (٢٤٤) .

والتقى علي والزبير ، فقال له عليٌّ : أتذكر قول النبي ﷺ إنك تقاتلني ؟ فتركه ورجع (٢٤٥) . وراجعه ولده ، فلم يقبل . واتبعه الأحنف

= الذي لا ينطق عن الهوى - فكانا أسمى أخلاقًا وأكرم على أنفسهما وعلى الله من أن يشهدا الزور . وهذه الفرية عليهما من مبغضي أصحاب رسول الله ﷺ ليست أول فرية لهم في الإسلام ، ولا آخر ما يفترونه من الكذب عليه وعلى أهله . [خ].

(٢٤٢) خرج من المدينة في آخر شهر ربيع الآخر سنة ٣٦ ، ليكون على مقربة من الشام . وكان ابنه الحسن يود لو بقي والده بالمدينة فيتخذها دار خلافته كإخوانه الثلاثة قبله فلا يبرحها (الطبرى ٥ / ١٧١ وانظر ٥ / ١٦٣) . وقد سلك عليٌّ من المدينة إلى العراق طريق الربذة وفيد والثعلبية والأساود وذي قار . ومن الربذة أرسل إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فرجعا إليه وهو في ذي قار بأن أبا موسى وأهل الحجا من الكوفيين يرون القعود ، فأرسل الأشتر وابن عباس ، ثم أرسل ابنه الحسن وعمارًا لاستمالة القوم إليه . وبينما هو في الطريق أنشب عثمان بن حنيف وحكيم ابن جبلة القتال مع أصحاب الجمل . وفي الأساود جاءه خبر مصرع حكيم بن جبلة وقتلة عثمان . ثم جاء عثمان بن حنيف إلى علي وهو في الثعلبية منتوف اللحية ومغلوبًا على أمره . وفي ذي قار أقام عليٌّ معسكره ، ثم قام بمن معه إلى البصرة وفيها أصحاب الجمل [خ] .

(٢٤٣) بعد وصول علي إلى ذي قار وقيام القعقاع بن عمرو بمساعي التفاهم تقدم على بمن معه إلى البصرة فأسرع قتلة عثمان إلى إحباط مساعي الإصلاح بإنشاب القتال .

(٢٤٤) كان الفريقان يطلبان التفاهم وجمع الكلمة ، أما الباغي فهم قتلة عثمان ، وقد قتلهم الله جميعًا إلا واحداً منهم، وسيأتي بيانه . [خ] .

(٢٤٥) إن هذا الخبر غير صحيح ، وقد ذكر الإمام ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٢١٣) ما يماثله وهو ضعيف : [م] . =

من قتله » (٢٤٦) .

ونادى عليٌّ طلحة من بعد : ما تطلب ؟ قال : دم عثمان . قال : قاتل الله أولانا بدم عثمان . ألم تسمع النبى ﷺ يقول : « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » (٢٤٧) وأنت أول من بايعنى ونكث (٢٤٨) .

* * *

= روى البيهقى ـ وقد أسنده ـ عن أبى وجرة المازنى قال : سمعت عليًا والزبير وعلىٌّ ، يقول له : ناشدتك الله يا زبير ! أما سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنك تقاتلنى ، وأنت ظالم » قال : بلى ولكنى نسيت (١) قال البيهقى وهذا غريب . [م] .

(٢٤٦) الذى قتل الزبير عمير بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع التميمى . والأحنف أتقى لله من أن يأمرهم بقتله ، بل سمعوه يتذمر من قتال المسلمين بعضهم مع بعض فلحقوا بالزبير فقتلوه [الطبرى ٥/ ١٩٨] . [خ] .

(٢٤٧) كان طلحة أصدق إيمانًا وأسمى أخلاقًا من أن يبايع وينكث . وإنما كما يريد جمع الكلمة للنظر فى أمر قتلة عثمان ، واستجاب على لهذه الدعوة كما سيأتى فى البحوث التالية ، ولكن الذين جنوا على الإسلام أول مرة بالبغى على عثمان كانوا أعداء لله مرة أخرى بإنشاب القتال بين هذين الفريقين من المسلمين [خ] .

(٢٤٨) الحديث صحيح كما سنرى فى غير هذا الموضع ولكن ليس فيه : « اللهم انصر من نصره واخذل من خذله » [م] .

(١) ضعيف : رواه البيهقى فى (دلائل النبوة) والعقيلى فى (الضعفاء) (٣/ ٣٥) وابن الجوزى فى (العلل المتناهية) (٢/ ٣٦٥) وابن عساكر كما فى كنز العمال (٣١١٨٨) (غ) .

قلت : رواه أحمد (١/ ٢١٩، ٤/ ٢٨١، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٣، ٥/ ٣٧٠) ، وابن ماجه (١١٦) وأبو نعيم فى تاريخ أصفهان (٢/ ٣٥٩) وانظر مجمع الزوائد (٩/ ١٠٧) ، وميزان الاعتدال (٧٦٧١) (ع) .

عاصمة

أما خروجهم إلى البصرة فصحيح لا إشكال فيه .

ولكن لأى شىء خرجوا ؟ لم يصح فيه نقل ، ولا يوثق فيه بأحد ، لأن الثقة لم ينقله ، وكلام المتعصب [غير مقبول] . وقد دخل مع المتعصب من يريد الطعن فى الإسلام واستنقاص الصحابة :

فيحتمل أنهم خرجوا خلعًا لعلىٍّ لأمر ظهر لهم (٢٤٩) ، وهو أنهم بايعوا لتسكين الثائرة ،وقاموا يطلبون الحق .

ويحتمل أنهم خرجوا ليتمكنوا من قتلة عثمان (٢٥٠) .

ويمكن أنهم خرجوا [لينظروا] فى جمع طوائف المسلمين ، وضم [تشردهم]، وردهم إلى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا . وهذا هو الصحيح ، لا شىء سواه . بذلك وردت صحاح الأخبار .

فأما الأقسام الأول فكلها باطلة وضعيفة :

أما بيعتهم كرها فباطل [وقد بيناها] .

وأما خلعهم فباطل ، لأن الخلع لا يكون إلا بنظر من الجميع ، فيمكن أن يولى

(٢٤٩)وهذا الاحتمال بعيد عن هؤلاء الأفاضل الصالحين ، ولم يقع منهم ما يدل عليه ، بل الحوادث كلها دلت على نزاهتهم عنه . وإلى هذا ذهب الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (١٣/٤١ ، ٤٢) فنقل عن كتاب (أخبار البصرة) لعمر بن شبة قول المهلب: « إن أحدًا لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا عليًا فى الخلافة ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة » [خ] .

(٢٥٠)وهذا ما كانوا يذكرونه إلا أنهم يريدون أن يتفقوا مع علىٍّ على الطريقة التى يتوصلون بها إلى ذلك . وهذا ما كان يسعى به الصحابى المجاهد القعقاع بن عمرو ، وقبله الطرفان كما سيأتى [خ] .

واحد أو اثنان ، ولا يكون الخلع إلا بعد الإثبات والبيان .

وأما خروجهم فى أمـر قتلة عثمان فيضـعف ، لأن الأصل قبله تأليف الكلمة ، ويمكن أن يجتمع الأمران (٢٥٣) .

ويروى أن تغيبهم (٢٥٤) قطعًا للشغب بين الناس . فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين ﷺ رجاء أن يرجع الـناس إلى أمهم فيـرعوا حـرمة نبيـهم . واحتـجوا عليها(٢٥٥) بقول الله تعالى : ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء : ١١٤] ، وقـد خرج النبى ﷺ فى الـصلح وأرسل فيـه.

---

(٢٥٣) واجتـماع الأمرين هو الذى كـاد يقع ، لولا أن السبأيين أحبطوه . فأصحـاب الجمل جاؤوا فى أمر قتلة عثمان ، ولم يجيئوا إلا لذلك . إلا أنهم أرادوا أن يتفاهموا عليه مع على ، لأن التفاهم معه أول الوسائل للوصول إلى ما جاؤوا له [خ] .

(٢٥٤) أى تغيب طلحة والزبير وعائشة عن المدينة [خ] .

(٢٥٥) لما أقنعوها بالخروج إلى البصرة [خ] .

(٢٥٦) عثـمان بن حنيـف أنصارى من الأوس ، كـان عند هجرة النبى ﷺ إلى المدينـة أحد الشبان الأوسيين الخمسة عشر الذين انضموا إلى عبد عمرو بن صيفى عند خروجه إلى مكة مغاضبًا النبى ﷺ ، وكان عبد عمرو يسمى فى الجاهلية الراهب فسماه النبى ﷺ الفاسق (الطبرى ٣/ ١٦) . والظاهر أن عثـمان بن حنيف عاد من مـكة وأسلم قبل وقعة أحـد لأنها أول مشـاهده (الإصابة ٢/ ٤٥٩) . وتزعم الشيعـة أنه شاغب على خليفـة رسول الله ﷺ أبى بكر الصـديق فى أول خلافـته (تنقيح المقـال للمامـقانى ١/ ١٩٨) وأعتـقد أن هذا من كذبهم عليـه ، وقد تولى لعمـر مساحـة أرض العراق وضرب الجـزية والخراج على أهلهـا ، فلو صح ما زعمـوه من شغبـه على أبى بكر لتنافى هذا مع استـعمال عمر لـه ، إلا أن يكون تاب . ولما بويع لعلى آخر سنة ٣٥ واختـار ولاته فى بداية سنة ٣٦ ولى عثـمـان بن حنيف على البـصـرة (الطبرى ٥/ ١٦١). ولما وصل أصحاب الجـمل إلى الحفير على أربعة أميـال من البصرة أرسل إليهم عثمان بن حنيف عمران بن حصين الخزاعى صاحب راية النبى ﷺ على خزاعة يوم الفتح ليعلم له علمهم، فلما عاد إليه وذكر له حديثه مع أصحاب الجمل قال له =

فرجت المثوبة ، واغتنمت [الفرصة] ، وخرجت حتي بلغت الأقضية مقاديرها .

وأحس بهم أهل البصرة ، فحرض من كان بها من المتألبين على عثمان الناس ، وقالوا : اخرجوا إليهم حتى تروا ما جاؤوا إليه ، فبعث عثمان بن حنيف حكيم بن جبلة (٢٥٦) ، فلقى طلحة والزبير بالزابوقة ، فقتل حكيم (٢٥٧) ، ولو خرج مسلمًا مستسلمًا لا مدافعًا (٢٥٨) لما أصابه شيء . وأى خير كان له فى المدافعة ، وعن أى شيء كان يدافع ؟ وهم ما جاؤوا مقاتلين ولا ولاة ، وإنما ساعين فى الصلح، راغبين فى تأليف الكلمة ، فمن خرج إليهم ودافعهم وقاتلهم دافعوا عن مقصدهم ، كما يفعل فى سائر الأسفار والمقاصد .

فلما وصلوا إلى البصرة تلقاهم الناس بأعلى المربد مجتمعين (٢٥٩) ، حتى لو

= عثمان بن حنيف : أشر عليّ يا عمران . فقال له : إنى قاعد ، فاقعد . فقال عثمان : بل أمنعهم حتى يأتى أمير المؤمنين على . وأشار عليه هشام بن عامر الأنصارى ـ أحد الصحابة المجاهدين الفاتحين ـ بأن يسالمهم حتى يأتى أمر على ، فأبى عثمان بن حنيف ونادى فى الناس ، فلبسوا السلاح ، وأقبل عثمان على الكيد (الطبرى ٥/ ١٧٤ ـ ١٧٥) ، وكانت العاقبة فشله وخروج الأمر من يده إلى أيدى أصحاب الجمل . ووقع ابن حنيف فى أسر الجماهير فنتفت لحيته ، ثم أنقذه أصحاب الجمل منهم فانسحب إلى معسكر على فى الثعلبية ثم فى ذى قار . هذا هو عثمان بن حنيف وموقفه من أصحاب الجمل . أما حكيم بن جبلة فالقارئ يعلم أنه من قتلة أمير المؤمنين عثمان ، وقد تقدم التعريف به . [خ] .

(٢٥٧) الزابوقة : موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجمل فى دورها الأول بعد أن خطب طلحة والزبير وعائشة فى المربد . أما مصرع حكيم بن جبلة فكان بعد المعارك الأولى التى انتهت بغلبة أصحاب الجمل واستيلائهم على الحكم فى البصرة ، فتمرد حكيم بن جبلة على هذه الحالة الجديدة وقاتل مع ثلاثمائة من أعوانه حتى قتل. (خ).

(٢٥٨) أى مقاتلا [خ] .

(٢٥٩) مربد البصرة : موضع كانت تقام فيه سوق الإبل خارج البلد ، ثم صارت تكون فيه مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء. ثم اتسع عمران البصرة فدخل المربد فى العمران=

رمى حجر ما وقع إلا على رأس إنسان . فتكلم طلحة وتكلمت عائشة رضي الله عنها .

وكثر اللغط (٢٦٠) ، وطلحة يقول « أنصتوا فجعلوا يركبونه ولا [ينصتون] ، فقال : « أف ، أف فراش نار ، وذباب طمع » وانقلبوا على غير بيان (٢٦١) .

وانحدروا إلى بنى نهد ، فرماهم الناس بالحجارة حتى نزلوا الجبل (٢٦٢) والتقى

= فكان من أجل شوارعها ، وسوقه من أجل أسواقها ، وصار محلة عظيمة سكنها الناس . ولما انحطت منزلة البصرة وهرم عمرانها تضاءلت ، فأمسى المربد بائنًا عنها حتى كان بينه وبين البصرة فى زمن ياقوت ثلاثة أميال ، والمربد خراب كالبلدة المفردة فى وسط البرية . وكان موضع البصرة يومئذ قريبًا من موضع ضاحيتها الزبير فى أيامنا هذه .

(٢٦٠) لأن الذين فى الميسرة كانوا يقولون تعليقًا على خطبتى طلحة والزبير : فجرا ، وغدرا، وقالا الباطل ، وأمرا به . قد بايعا ثم جاءا يقولان ما يقولان والذين كانوا فى الميمنة يقولون : صدقا ، وبرا ، وقالا الحق ، وأمرا بالحق . وتحاثى الناس وتحاصبوا وأرهجوا . إلا أنه لما انتهت عائشة من خطبتها ثبت الذين مع أصحاب الجمل على موالاتهم لهم،وافترق أصحاب عثمان بن حنيف فرقتين فقالت فرقة: صدقت الله وبرت وجاءت بالمعروف ، وقال الآخرون : كذبتم ما نعرف ما تقولون . فتحاثوا وتحاسبوا وأرهجوا . [خ] .

(٢٦١) لما رأت عائشة ما يفعل أنصار عثمان بن حنيف انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لابن حنيف حتى وقفوا فى موضع آخر ومال بعض الذين كانوا مع ابن حنيف إلى عائشة وبقى بعضهم مع عثمان بن حنيف (الطبرى ٥/ ١٧٥) .

(٢٦٢) حفظ لنا الطبرى (٥/ ١٧٦ ، ١٧٧) وصفًا دقيقًا نقله سيف بن عمر التميمى عن شيخيه محمد بن عبد الله بن سواد بن نويرة وطلحة بن الأعلم الحنفى عن موقف أصحاب الجمل السلمى فى هذه الوقعة ، وإسراف حكيم بن جبلة فى إنشاب القتال. قالا : وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة بنى مازن ثم حجز الليل بين الفريقين . وفى اليوم التالى انتقل أصحاب الجمل إلى جهة دار الرزق ، وأصبح عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة فجددوا القتال ، وكان حكيم يطيل لسانه بسبب أم=

طلحة والزبير وعثمان بن حنيف ـ عامل عليٍّ ، على البصرة ـ وكتبوا بينهم أن يكفوا عن القتال ، ولعثمان دار الإمارة والمسجد وبيت المال ، وأن ينزل طلحة والزبير من البصرة حيث شاءا ، ولا يعرض بعضهم لبعض حتى يقدم علي (٢٦٣) .

وروى أن حكيم بن جبلة عارضهم حينئذ ، فقتل بعد الصلح .

وقدم عليٌّ البصرة (٢٦٥) ، وتدانوا ليتراؤوا (٢٦٦)، فلم يتركهم أصحاب الأهواء،

= المؤمنين ويقتل من يلومه على ذلك من نساء ورجال ، ومنادى عائشة يدعو الناس إلى الكف عن القتال فيأبون ، حتى إذا مسهم الشر وعضهم نادوا أصحاب عائشة إلى الصلح . [خ] .

(٢٦٣) ونص كتاب الصلح فى تاريخ الطبرى (٥/ ١٧٧) . ولما بلغ عليًا ما وقع كتب إلى عثمان بن حنيف يصفه بالعجز . وجمع طلحة والزبير الناس وقصدوا المسجد وانتظروا عثمان بن حنيف فأبطأ ولم يحضر ووقعت فتنة فى المسجد من رعاع البصرة أتباع حكيم بن جبلة ، وكان لها رد فعل من أناس ذهبوا إلى عثمان بن حنيف ليحضروه فتوطأه الناس ونتفوا شعر وجهه ، أمرهم بذلك مجاشع بن مسعود السلمى زعيم هوازن وبنى سليم والأعجاز من قبائل البصرة [الطبرى ٥/ ١٧٨) . [خ] .

(٢٦٥) فنزل مكانا منها يسمى الزاوية.. وكان أصحاب الجمل نازلين مكانا منها يسمى الفرضة. [خ] .

(٢٦٦) عند موضع قصر عبيد الله بن زياد ، وكان ذلك يوم الخميس فى النصف من جمادى الآخرة سنة ٣٦ (الطبرى : ٥/ ١٩٩) . وكان الصحابى الجليل القعقاع بن عمرو التميمى قد قام بين الفريقين بالوساطة الحكيمة المعقولة ، فاستجاب له أصحاب الجمل، وأذعن عليٌّ لذلك ، وبعث عليٌّ إلى طلحة والزبير يقول : « إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر فى هذا الأمر » ، فأرسلا إليه: « إنا على ما فارقنا عليه القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس » . قال الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٧/ ٢٣٩) : فاطمأنت النفوس وسكنت واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين . فلما أمسوا بعث عليٌّ عبد الله بن عباس إليهم ، وبعثوا محمد بن طلحة السجاد إلى على ، وعولوا جميعًا على الصلح ، وباتوا بخ ليلة

وبادروا بإراقة الدماء . واشتجر [بينهم] الحرب ، وكثرت الغوغاء على البوغاء . كل ذلك حتى لا يقع برهان ، ولا [تقف] الحال على بيان ، ويخفى قتلة عثمان . وإن واحدًا فى الجيش يفسد تدبيره ، فكيف بألف !

وقد روى أن مروان لما وقعت عينه فى الاصطفاف على طلحة قال لا [أطلب] أثرًا بعد عين، ورماه بسهم فقتله (٢٦٧) ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب، ولم ينقله ثبت؟

وقد روى (أنه) أصابه سهم بأمر مروان ، لا أنه رماه .

وقد خرج كعب بن سور بمصحف منشور بيده يناشد الناس أن [لا] يريقوا دماءهم (٢٦٩)، فأصابه سهم غرب فقتله (٢٧٠) ، ولعل طلحة مثله ومعلوم أنه عند

لم يبيتوا بمثلها للعافية . وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط ، قد أشرفوا على الهلكة . وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها ، حتى اجتمعوا على نشاب الحرب فى السر ، واستسروا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا من الشر . فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم ، انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالا (وانظر مع ذلك الموضع من تاريخ ابن كثير تاريخ الطبرى ٥/ ٢٠٢ ، ٢٠٣ ومنهاج السنة ٢/ ١٨٥ و ٣/ ٢٢٥ ، ٢٤١) وهكذا أنشبوا الحرب بين علىّ وأخويه الزبير وطلحة ، فظن أصحاب الجمل أن عليًا غدر بهم، وظن على أن إخوانه غدروا به ، وكل منهم أتقى لله من أن يفعل ذلك فى الجاهلية فكيف بعد أن بلغوا أعلى المنازل من أخلاق القرآن. [خ] .

(٢٦٧) آفة الأخبار رواتها. وفى العلوم الإسلامية علاج آفة الكذب الخبيثة ، فإن كل راوى خبر يطالبه الإسلام بأن يعين مصدره على قاعدة « من أين لك هذا ؟ » . ولا تعرف أمة مثل هذه الدقة فى المطالبة بمصادر الأخبار كما عرفه المسلمون ، ولا سيما أهل السنة منهم . وهذا الخبر عن طلحة ومر... « اقيط » لا يعرف أبوه ولا صاحبه . وما دام لم ينقله ثبت بسند معروف عن رجال ثقات فإن للقاضى ابن العربى أن يقول بملء فيه : ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب ؟!

(٢٦٩) كعب بن سور الأزدى أول قضاة المسلمين على البصرة ولاه أمير المؤمنين عمر . قال الحافظ ابن عبد البر : كان مسلمًا فى زمن النبى ﷺ لكنه لم يره .

(٢٧٠) قال الحافظ ابن عساكر (٧/ ٨٥) فى ترجمة طلحة : وقالت عائشة لكعب بن سور =

الفتنة وفي ملحمة القتال يتمكن أولو الإحن والحقود ، من حل العرى ونقض العهود. وكانت آجالا حضرت ، ومواعد انتجزت [٢٧١] .

فإن قيل : لم خرجت عائشة رضي الله عنها وقد قال ﷺ لهن في حجة الوداع « هذه ثم

= الأزدى : « خل يا كعب عن البعير ، وتقدم بكتاب الله فادعهم إليه » ودفعت إليه مصحفًا ، وأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون أن يجرى الصلح ، فاستقبلهم كعب بالمصحف ، وعليٌّ من خلفهم يـزعهم ويأبون إلا إقدامًا ، فلما دعاهم كعب رشقوه رشقًا واحدًا فقتلوه ، ثم راموا أم المؤمنين فكان أول شيء أحدثته حين أبوا أن قالت : « أيها الناس ، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم ، وأقبلت تدعو ، وضج أهل البصرة بالدعاء . وسمع على الدعاء فقال : ما هذه الضجة ؟ فقالوا : عائشة تدعو ويدعو الناس معها على قتلة عثمان وأشياعهم . فأقبل عليٌّ يدعو وهو يقول : « اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم » . قلت : وهكذا اشترك صالحو الفريقين في لعن قتلة أمير المؤمنين الشهيد المظلوم في الساعة التي كان فيها قتلة عثمان ينشبون القتال بين صالحي المسلمين .

(٢٧١) نقل الحافظ ابن عساكر(٧/ ٨٦ ، ٨٧) قول الشعبي : رأى على بن أبي طالب طلحة ملقى في بعض الأودية ، فنزل فمسح التراب عن وجهه ثم قال : « عزيز عليَّ أبا محمد أن أراك مجدلا في الأودية وتحت نجوم السماء . إلى الله أشكو عجرى وبجرى» « قال الأصعمي : أي سرائري وأحزاني التي تجول في جوفي) . وقال : «ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة » . وقال أبو حبيبة مولى طلحة : دخلت أنا وعمران بن طلحة على عليٍّ بعد الجمل فرحب بعمران وأدناه وقال : « إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال فيهم ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ ، وكان الحارث الأعور (*) جالسًا في ناحية فقال : « الله أعدل من أن نقتلهم ويكونوا إخواننا في الجنة ، فقال له على : « قم إلى أبعد أرض الله =

(*) الحارث بن عبد الله الهمداني الحوثي أبو زهير الكوفي الأعور أحد كبار الشيعة . قال عنه الشعبي وابن المديني : كذاب . قلت وإنما كان يدفعه إلى الكذب تحزبه وتشيعه ، فالحزبية والتشيع والتعصب المذهبي من مدراج الباطل ، والإسلام دين الاعتدال والإنصاف والصدق وأن تقول الحق ولو على نفسك . [م] .

ظهور الحصر [٢٧٢]» . قلنا : حدث حديثين امرأة ، فإن أبت فأربعة . يا عقول النسوان ألم أعهد إليكم ألا ترووا أحاديث البهتان ، وقدمنا لكم على صحة خروج عائشة البرهان [٢٧٣] ، فلم تقولون ما لا تعلمون ؟ وتكررون ما وقع الانفصال عنه

= وأسحقها ، فمن هو ذا إن لم أكن أنا وطلحة فى الجنة ؟» وذكر محمد بن عبد الله. أن عليًا تناول دواة فحذف بها الأعور يريده بها فأخطأه . وقال له ابن الكواء (**) «الله أعدل من ذلك » ، فقام إليه على بدرة فضربه وقال له : « أنت ـ لا أم لك ـ وأصحابك تنكرون هذا ؟! » .

(٢٧٢) فى مسند أحمد (٢/٤٤٦ الطبعة الأولى) من حديث صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ لما حج بنسائه قال: « إنما هى هذه الحجة ثم الزمن ظهور الحصر » وفيه (٥/٢١٨ الطبعة الأولى) من حديث واقد بن أبى واقد الليثى عن أبيه أنه ﷺ قال لنسائه فى حجته: « هذه ثم ظهور الحصر » .وحديث أبى واقد فى باب فرض الحج من كتاب المناسك بسنن أبى داود (ك ١١ ب١) . والحصر جمع حصير، أى لزوم المنزل . ونقله الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٥/ ٢١٥) على أنه إشارة نبوية إلى أنه ﷺ ينعى لهن نفسه وأن هذه آخر حجة له ﷺ ، وليس فيه أمر منه بأن لا يزايلن الحصر إلى حج أو مصلحة أو إصلاح بين الناس . فاستشهاد أعداء الصحابة بهذا الحديث على المنع مطلقا عده القاضى ابن العربى من البهتان لأنه استشهاد به لغير ما أراده النبى ﷺ . [خ] .

(٢٧٣) روى الإمام ابن حزم فى بحث « وجوه الفضل والمفاضلة » من كتاب الإمام والمفاضلة) المدرج فى الجزء الرابع من (الفصل) ص ١٣٤ عن شيخه أحمد بن محمد الخوزى عن أحمد بن الفضل الدينورى عن محمد بن جرير الطبرى أن علىَّ بن أبى طالب بعث عمار بن ياسر والحسن بن على إلى الكوفة إذ خرجت أم المؤمنين إلى البصرة ، فلما أتياها اجتمع إليهما الناس فى المسجد ، فخطبهم عمار ، وذكر لهم خروج عائشة أم المؤمنين إلى البصرة ثم قال لهم : « إنى أقول لكم ، ووالله إنى لأعلم أنها=

(**) ابن الكواء : عبد الله بن أبى أوفى اليشكرى أحد القائمين بالفتنة على عثمان . وبعد صفين والتحكيم كان على رأس « الخوارج على علىٍّ فلما حاجهم على وابن عباس رجع إلى علىٍّ قبل وقعة النهروان . بهذان التعليقان السابقان للخطيب [م].

كأنكم لا تفهمون ؟ « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » .

وأما الذى ذكرتم من الشهادة على ماء الحوأب ، فقد بؤتم فى ذكرها بأعظم حوب(٢٧٤) ما كان قط شىء مما ذكرتم ، ولا قال(٢٧٥) النبى ﷺ ذلك الحديث ،

= زوجة رسول الله ﷺ فى الجنة كما هى زوجته فى الدنيا ، ولكن الله ابتلاكم بها لتطيعوها أو لتطيعوه » فقال له مسروق أو أبو الأسود : « يا أبا اليقظان ، فنحن مع من شهدت له بالجنة دون من لم تشهد له » فسكت عمار . (خ) .

(٢٧٤) الحوب : الإثم . [خ] .

(٢٧٥) بل هو حديث صحيح أخرجه أحمد ٦/ ٥٢ ، ٩٧ وغيره من حديث إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم عن عائشة وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات وقد صححه ابن حبان (١٨٣١) والحاكم والحافظ والذهبى وابن كثير .

وبمناسبة الكلام علي حديث الحوأب ، لابد لنا من التصريح بأن خروج عائشة رضي الله عنها كان اجتهاداً منها لتحقيق غاية طلحة والزبير ، والتعاون مع على رضي الله عنه من أجل إطفاء الفتنة والقضاء على المنافقين والمفسدين من قتلة عثمان رضي الله عنهم جميعًا .

وقد جاء فى كتاب التحفة الاثنى عشرية فى رد المطاعن فى حق أم المؤمنين وحبيبة حبيب رب العالمين عائشة الصديقة وزوج مفخرة العوالم على الحقيقة . منها إنها خرجت من المدينة إلى مكة ، ومنها إلى البصرة ، ومعها يزيد على ستة عشر ألف رجل من العسكر . وقد قال تعالى فى الأزواج المطهرات :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾ فأمرهن بالسكون فى البيوت ونهاهن عن الخروج من بيوتهن .

والجواب : أن الأمر باستقرارهن فى البيوت والنهى عن الخروج منها ليس بمطلق، ولو كان مطلقا لما أخرجهن رسول الله ﷺ بعد نزول الآية إلى الحج والعمرة والغزوات ، ولا رخص لهن بزيارة الوالدين وعيادة المريض وتعزية أقاربهن . واللازم باطل ، فكذا الملزوم . والمراد من هذا الأمر والنهى تأكيد التستر والحجاب بأن لا يدرن ولا يتسكعن فى الطرق كنساء العوام .

وما طعن به أعداء الله على أم المؤمنين رضي الله عنها وجد فى فاطمة رضي الله عنها لما ثبت=

ولا جرى ذلك الكلام ، ولا شهد أحد بشهادتهم ، وقد كتبت شهاداتكم بهذا الباطل

= فى كتبهم بطريق التواتر أن الأمير ـ عليا ـ قد أركب فاطمة على مطية وطاف بها فى محلات المدينة ومساكن الأنصار طالبًا منهم الإعانة على ما غصب من حقها فى خلافة أبى بكر ﵁ (وبذلك بناء على رواية الخصوم) .

ولما ظهر علىٌّ ﵁ جاء إلى أم المؤمنين ﵂ فقال : « غفر الله لك » قالت: « ولك . ما أردت إلا الإصلاح » .

ثم أنزلها دار عبد الله بن خلف وهى أعظم دار فى البصرة على سنية بنت الحارث أم طلحة الطلحات ، وزارها ورحبت به وبايعته وجلس عندها .

فقال رجل : يا أمير المؤمنين إن بالباب رجلين ينالان من عائشة ، فأمر القعقاع ابن عمرو أن يجلد كل منهما مائة جلدة وأن يجردهما من ثيابهما ففعل (الطبرى : ٥/ ٢٢٣) ولما أرادت الخروج من البصرة بعث إليها بكل ما ينبغى من مركب وزاد ومتاع وأرسل معها أربعين امرأة وسير معها أخاها محمداً .

ولما كان اليوم الذى ارتحلت فيه جاء علىٌّ ﵁ فوقف على الباب وخرجت من الدار فى الهودج فودعت الناس ودعت لهم وقالت : « يا بنى لا يغتب بعضكم بعضًا. إنه والله ما كان بينى وبين علىٍّ بن أبى طالب ﵁ فى القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها . وإنه لمن الأخيار » فقال على ﵁ :

« صدقت ، والله ما كان بينى وبينها إلا ذلك وإنها زوجة نبيكم ﷺ فى الدنيا والآخرة . وسار معها مودعًا أميالا سرَّح بيته معها بقية ذلك اليوم .

أما خروج عائشة ﵂ فهو اجتهاد منها لتحقيق غاية طلحة والزبير ، والتعاون مع على من أجل إطفاء الفتنة والقضاء علي المنافقين من قتلة عثمان ﵁ جميعًا (التحفة ص ٢٦٨ ـ ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ باختصار) .

فأين هذه البراءة مما زعمه بعض المفترين بأن خروج عائشة ﵂ يوم الجمل كان انتقامًا من على ﵂ من أنه حض الرسول ﷺ على طلاقها فى حادثة « الإفك » لما رأى من حزنه من كلام بعض الناس .وقد قال غير واحد إنها اجتهدت ، ولكنها أخطأت فى الاجتهاد ، ولا إثم على المجتهد المخطئ ، بل له أجر على اجتهاده ، وكونها ﵂ من أهل الاجتهاد مما لا ريب فيه . =

وسوف تسألون (٢٧٦) .

= قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

إن عائشة لم تقاتل ، ولم تخرج لقتال ، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين . وظنت أن فى خروجها مصلحة للمسلمين ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى ، فكانت كلما ذكرت تبكى حتي تبل خمارها . وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال ، فندم طلحة والزبير ﷺ أجمعين ، ولم يكن لهؤلاء قصد فى القتال ، ولكن وقع القتال بغير اختيارهم (المنتقى ص ٢٢٣) [م] .

(٢٧٦) تقدم بيان موضع الحوأب . وأن الكلام الذى نسبوه إلى النبى ﷺ وزعموا أن عائشة ذكرته عند وصولهم إلى ذلك الماء ليس له موضع فى دواوين السنة المعتبرة (١) . وقد رأينا خبره عند الطبرى (٥/ ١٧٠) فرأيناه يرويه عن إسماعيل بن موسى الفزارى (وهو رجل قال فيه ابن عدى : أنكروا منه الغلو فى التشيع) ، ويرويه هذا الشيعى عن على بن عابس الأزرق (قال عنه النسائى : ضعيف) ، وهو يرويه عن أبى الخطاب الهجرى (قال الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب : مجهول) وهذا الهجرى المجهول يرويه عن صفوان بن قبيصة الأحمسى (قال عنه الحافظ الذهبى فى ميزان الاعتدال : مجهول) . هذا هو خبر الحوأب . وقد بنى على أعرابى زعموا أنهم لقوه فى طريق الصحراء ومعه جمل أعجبهم فأرادوا أن يكون هو جمل عائشة فاشتروه منه وسار الرجل معهم حتى وصلوا إلى الحوأب فسمع هذا الكلام ورواه ، مع أنه هو نفسه - أى الأعرابى صاحب الجمل - مجهول الاسم ولا نعرف عنه إن كان من الكذابين أو الصادقين . ويظهر لى أنه ليس من الكذابين ولا من الصادقين ، لأنه من أصله رجل موهوم لم يخلق ، ولأن جمل عائشة واسمه « عسكر » جاء به يعلى ابن أمية من اليمن وركبته عائشة من مكة إلى العراق ، ولم تكن ماشية على رجليها حتى اشتروا لها جملا من هذا الأعرابى الذى زعموا أنهم قابلوه فى الصحراء ، وركبوا على لسانه هذه الحكاية السخيفة ليقولوا أن طلحة والزبير - المشهود لهما =

---

(١) بل هو صحيح كما تقدم تخريجه فى تعليقنا وتعليق الشيخ الاستانبولى حفظه الله .

قاصمة

ودارت الحرب بين أهل الشام وأهل العراق (٢٧٧) : هؤلاء يدعون إلى عليٍّ بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام ، وهؤلاء يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون : لا نبايع من يؤوى القتلة (٢٧٨) .

= بالجنة ممن لا ينطق عن الهوى ـ قد شهدا الزور . ولو كنا نستجيز نقل الأخبار الواهية لنقلنا في معارضة هذا الخبر خبراً آخر نقله ياقوت فى معجم البلدان (مادة حوأب) عن سيف بن عمر التميمى أن المنبوحة من كلاب الحوأب هى أم زمل سلمى بنت مالك الفزارية التى قادت المرتدين ما بين ظفر والحوأب فسباها المسلمون ووهبت لعائشة فأعتقتها ، فقيلت فيها هذه الكلمة . وهذا الخبر ضعيف والخبر الذى أوردوه عن عائشة أوهى منه . وما برح الكذب بضاعة يتجر بها الذين لا يخافون الله . ذكرنا فيما سبق أن خبر الحوأب صحيح فليرجع إليه [م] .

(٢٧٧) فى موضع يسمى (صفين) بقرب الرقة على شاطئ الفرات آخر تخوم العراق وأول أرض الشام . سار إليها عليٌّ بجيوشه فى أواخر ذى القعدة سنة ٣٦ . [خ] .

(٢٧٨) لما انتهى عليٌّ من حرب الجمل وسار من البصرة إلى الكوفة فدخلها يوم الاثنين ١٢ من رجب ، أرسل جرير بن عبد الله البجلى إلى معاوية فى دمشق يدعوه إلى طاعته. فجمع معاوية رؤوس الصحابة وقادة الجيوش وأعيان أهل الشام واستشارهم فيما يطلب عليٌّ ، فقالوا : لا نبايعه حتى يقتل قتلة عثمان ، أو يسلمهم إلينا . فرجع جرير إلى عليٍّ بذلك . فاستخلف عليٌّ على الكوفة أبا مسعود بن عامر ، وخرج منها فعسكر بالنخيلة أول طريق الشام من العراق ، وقد أشار عليه ناس بأن يبقى فى الكوفة ويبعث غيره إلى الشام فأبى . وبلغ معاوية أن عليًا تجهز وخرج بنفسه لقتاله فأشار عليه رجاله أن يخرج هو أيضًا بنفسه ، فخرج الشاميون نحو الفرات من ناحية صفين ، وتقدم علىٌّ بجيوشه إلى تلك الجهة . وكان جيش عليٍّ فى مائة وعشرين ألفًا وجيش معاوية فى تسعين ألفًا ، وبدأ القتال فى ذى الحجة سنة ٣٦ بمناوشات ومبارزات ، ثم تهادنوا فى المحرم سنة ٣٧ واستؤنف القتال بعده ، وقتل فى هذه =

وعليٌّ يقول لا أمكن طالبا من مطلوب ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم ، ومعاوية يقول : لا نبايع متهمًا [بقتله] أو قاتلا له ، هو أحد من نطلب فكيف نحكمه أو نبايعه ، وهو خليفة عداء وتسور .

وذكروا فى تفاصيل ذلك كلمات آلت إلى استفعال رسائل (٢٧٩) ، واستخراج أقوال ، وإنشاء أشعار ، وضرب أمثال تخرج عن سيرة السلف يقرأها الخلف وينبذها الخلف (٢٨٠) .

= الحرب سبعون ألفًا ، وكان الوقائع ٩٠ وقعة فى ١١٠ أيام ، وامتازت هذه الحرب بنبل الشجاعة فى القتال ، ونبل التعامل والاتصال عند التهادن والراحة . ثم كتب كتاب التحكيم يوم ١٣ صفر سنة ٣٧ على أن يعلن الحكمان حكمهما فى رمضان بدومة الجندل بمكان منها يسمى أذرح . [خ] .

(٢٧٩) أى انتحالها زوراً ولا أصل لها . وأكثر ما تجد ذلك فيما يرويه أخباريو الشيعة عن رواة مجهولين أو كذابين . وأخفهم وطأة أبو مخنف لوط بن يحيى ، قال الحافظ الذهبى: « أبو مخنف أخبارى تالف ، لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره » . وقال فيه ابن عدىٍّ : « شيعى محترق صاحب أخبارهم » ثم جاء بعده آخرون منهم كانوا شرًا على تاريخ الإسلام من لوط هذا . . فأفسدوا على الأمة معرفتها بماضيها [خ] .

(٢٨٠) الخلف (بفتح الخاء وسكون اللام) : الطالح . وفى التنزيل « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى » . والخلف (بفتح الخاء واللام) : الصالح . ومنه الحديث « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين(*) » (خ) .

(*) يريد بذلك علماء الحديث محاربى المبتدعة والمعطلة [م] .

عاصمة

أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعا ، وأما كونه بهذا السبب فمعلوم كذلك قطعًا ، وأما الصواب فيه فمع عليٍّ ، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم ، وتهمة الطالب للقاضى لا توجب عليه أن يخرج عليه ، بل يطلب (الحق) عنده ، فإن ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر ، فكم من حق يحكم الله فيه . وإن لم يكن له دين فحينئذ يخرج عليه ، فيقوم له عذر فى الدنيا (٢٨١) .

---

(٢٨١) وجود قتلة عثمان فى معسكر على حقيقة لا يمارى أحد فيها ، بل إن الأشتر وهو من رؤوس البغاة على عثمان كان أكبر مسعر للحرب بين أصحاب رسول الله ﷺ الذين فى معسكر على والذين فى معسكر معاوية . ولما طالب عليٌّ معاوية ومن معه من الصحابة والتابعين أن يبايعوه احتكموا إليه فى قتلة عثمان وطلبوا منه أن يقيم حد الله عليهم أو أن يسلمهم إليهم فيقيموا عليهم حد الله وقد اعتذرنا عن أمير المؤمنين على بأن قتلة عثمان لما صاروا مع على فى العراق صاروا فى معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم، فكان عليٌّ يرى - بينه وبين نفسه - أن قتلهم يفتح عليه بابًا لا يستطيع سده بعد ذلك. وقد انتبه لهذه الحقيقة الصحابى الجليل القعقاع بن عمرو التميمى وتحدث بها مع أم المؤمنين عائشة وصاحبى رسول الله ﷺ طلحة والزبير فأذعنوا لها وعذروا عليًا ووافقوا على التفاهم معه على ما يوصلهم إلى الخروج من هذه الفتنة ، فما لبث قتلة عثمان أن أنشبوا الحرب بين الفريقين . فالمطالبون بإقامة حد الله على قتلة عثمان معذورون لأنهم يطالبون بحق ، سواء كانوا من أصحاب الجمل ، أو من أهل الشام. وتقصير على فى إقامة حد الله كان عن ضرورة قائمة ومعلومة ، ولكن إذا كانت حرب البصرة ناشئة عن إنشاب قتلة عثمان الحرب بين الفريقين الأولين ، فقد كان من مصلحة الإسلام أن لا تنشب حرب صفين بين الفريقين الآخرين. وكان سبط رسول الله ﷺ الحسن بن على كارهًا خروج أبيه من المدينة إلى العراق لما يخشاه من نشوب الحرب مع أهل الشام . ولو أن عليًا لم يتحرك من الكوفة استعدادًا لهذا القتال لما حرك معاوية فيه ساكنًا قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢/ ٢١٩) : =

ولئن اتهم عليٌّ بقتل عثمان فليس فى المدينة أحد من أصحاب النبى ﷺ إلا وهو متهم به، أو قل معلوم قطعًا أنه قتله ، لأن ألف رجل جاؤوا لقتل عثمان لا يغلبون أربعين ألفًا) (٢٨٢).

وهبك أن عليا وطلحة والزبير تضافروا على قتل عثمان ، فباقى الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن اعتد فيهم وضوى إليهم ماذا صنعوا بالقعود عن نصرته ؟

فلا يخلو أن يكون لأنهم رأوا أولئك طلبوا حقا وفعلوا حقا ، فهذه شهادة قائمة على عثمان فلا كلام لأهل الشام . وإن كانوا قعدوا عنه استهزاء بالدين ، وأنهم لم يكن لهم [رأس مال] فى الحال ، ولا مبالاة عندهم بالإسلام ولا فيما يجرى فيه من اختلال ، فهى ردة ليست معصية ؛ لأن التهاون بحدود الدين وإسلام حرمات

= «لم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء» . ومع ذلك فإن هذه الحرب المثالية هى الحرب الإنسانية الأولى فى التاريخ التى جرى فيها المتحاربان معًا على مبادئ الفضائل التى يتمنى حكماء الغرب لو يعمل بها فى حروبهم ولو فى القرن الحادى والعشرين وأن كثيرًا من قواعد فقه الحرب فى الإسلام لم تكن لتعلم وتدون لولا وقوع هذه الحرب ، ولله فى كل أمر حكمة [خ] .

(٢٨٢) ليس فى أهل السنة رجل واحد يتهم عليًا بقتل عثمان ، لا فى زماننا ولا فى زمانه . وقد مضى الكلام على ذلك فى هذا الكتاب . وكل ما فى الأمر وجود قتلة عثمان مع على ، وموقف على منهم ، وعذره بينه وبين الله فى موقفه هذا . فنحن جميعًا على رأى القعقاع بن عمرو بأن موقف على موقف ضرورة . غير أن الحمقى من أخبارى الشيعة دسوا على علىٍّ أخبارًا تشعر بغير ما كان فى قلبه من المحبة والرضا والموالاة والتأييد لعثمان أثناء محنته ، فأساؤوا بذلك إلى على من حيث يريدون الإساءة إلى عثمان . أما معاوية وفريقه فلم يذكروا عليًا فى أمر البغى على عثمان إلا لمناسبة انضواء قتلة عثمان إليه واستعانته بهم . فقتلة عثمان هم الذين أساؤوا إلى الإسلام وإلى عثمان وإلى على أيضًا ، فالله حسيبهم . ولو أن كل المسلمين كانوا كعبد الرحمن بن خالد بن الوليد فى [illegible] قبل أن تستفحل الفتنة ويفلت الزمام من أيدى العقلاء ـ لما وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه .

الشريعة للتضييع كفر ، وإن كانوا قعدوا لأنهم لم يروا أن يتعدوا حد عثمان وإشارته فأى ذنب لهم فيه ؟ وأى حجة لمروان ـ وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين وابن عمر وأعيان العشرة معه فى داره يدخلون إليه ويخرجون عنه فى الشكة والسلاح ـ [المطالبون] ينظرون ؟ ولو كان بهم قوة أو أووا إلى ركن شديد لما مكنوا أحدًا أن يراه منهم ولا يداخله ، وإنما كانوا نظارة، فلو قام فى وجوههم الحسن والحسين وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن الزبير ما جسروا، ولو قتلوهم ما بقى على الأرض منهم حى.

ولكن عثمان سلم نفسه ، فترك ورأيه . وهى مسألة اجتهاد كما قدمنا .

وأى كلام كان يكون لعلى [لو كتبت عنده البيعة] (٢٨٤) وحضر عنده ولى عثمان وقال الخليفة ؟ (له : يا أيها) [وما] (٢٨٥) تمالأ عليه ألف نسمة حتى قتلوه، وهم معلومون . ماذا كان يقول إلا : أثبت ، وخذ . وفى يوم كان يثبت ، إلا أن يثبتوا هم أن عثمان كان مستحقا للقتل (٢٨٦) .

---

(٢٨٤) غير الشيخ محب هذه العبارة فكتب « لما تمت له البيعة » ولم يشر إلى ذلك وهو مخالف للنص فى جميع النسخ (ص ١٦٧) وهذا أدى إلى تغيير المعنى الذى قصد إليه المؤلف (س) .

(٢٨٥) غير الشيخ محب الدين النص هنا أيضًا هكذا [وقال له : إن الخليفة قد تمالأ عليه. .] وهو مخالف لجميع النسخ المخطوطة ومؤد إلى تغيير فى المعنى [س] .

(٢٨٦) المؤلف معترف بأن الإثبات كان فى متناول اليد ، لأن الجريمة مشهودة ، والمجرمون أعلنوا فيها فجورهم فلم يتكتموا . ولكن كيف يكون التنفيذ ، ومن الذى يقوم به ومدينة الرسول مستكينة تحت وطأة الإرهاب ؟ ومن ذا الذى يضمن لعلى حياته إذا أصدر هذا الحكم ؟ أليس هؤلاء هم الذين تداولوا فى قتله لما عقدوا مؤتمرهم فى ذى قار بعد خطبة على التى ألقاها على الغرائر قبيل مصيره إلى البصرة (الطبرى : ٥/ ١٦٥) ؟ ألم يسخط الأشتر على أمير المؤمنين علىٍّ بعد وقعة الجمل لأنه ولى ابن عمه عبد الله بن عباس على البصرة ولم يولها الأشتر ، ففارقه غاضبًا ، ولحق به على فتلافى ما يكون منه من الشر (الطبرى ٥/ ١٩٤ ، والخوارج على علىٍّ ألم ينبتوا=

وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين أنه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبدا ، وكان يكون الوقت أمكن للطلب ، وأرفق فى الحال ، وأيسر وصولا إلى المطلوب (٢٨٧) .

والذى يكشف الغطاء فى ذلك أن معاوية لما صار إليه الأمر لم يمكنه أن يقتل من قتلة عثمان أحدا ، إلا بحكم ، إلا من قتل فى حرب بتأويل ، أو دس عليه فيما [قيل] (٢٨٨) . حتى انتهى الأمر إلى (زمانِ) الحجاج ، وهم يقتلون بالتهمة لا بالحقيقة . فتبين لكم أنهم ما كانوا فى ملكهم يفعلون ما أضحوا له يطلبون .

والذى تثلجُ به صدوركم أن النبى ﷺ ذكر فى الفتن ، وأشار وبين .

وأنذر [الخوارج] (٢٩٠) وقال : « تقتلهم أدنى الطائفتين إلى

= من هذه النواة ؟ ولما قتل علىٌ ألم يقتل بمثل السلاح الذى قتل به عثمان ؟ [خ] .

(٢٨٧) كان يكون الوقت أمكن للطالب لو وجدت فى المدينة القوة التى كان يتمناها عثمان .
ويقال إن قوة من جند الشام كانت خرجت من دمشق قاصدة المدينة ، فلما جاءها خبر شهادة أمير المؤمنين عثمان رجعت من الطريق ، فبقيت المدينة خاضعة لقتلة عثمان حتى بعد البيعة لعلىٌ ، وهم أن نزلوا على أحكام هذه البيعة فيما لا ضرر منه عليهم ، لا ريب أنهم ينقلبون وحوشًا ضارية لو صدرت عليهم أحكام الله بإقامة الحدود فيما ارتكبوا من جرم شنيع [خ] .

(٢٨٨) أن سطوة الله وعدله الأعلى نزلا بأكثر قتلة عثمان فلم يبق منهم فى ولاية معاوية إلا المشرَّد الخائف الباحث عن جحر يختبئ فيه . وبزاول سطوتهم وتقلص شرهم لم يبق بمعاوية حاجة إلى تتبعهم [خ] .

(٢٩٠) اسم الخوارج جاء من جماعة خرجوا على على بن أبى طالب وصحبه لأنه قبل بالتحكيم قائلين: إن حكم الله واضح لا يحتاج إلى هذا التحكيم وكان شعارهم « لا حكم إلا لله » ، ويسمون أيضًا بالحرورية نسبة إلى قرية فى الكوفة تسمى (حروراء) خرجوا إليها . وقد حاربهم أمير المؤمنين على رضي الله عنه فى الواقعة الشهيرة بوقعة «النهروان » وهزمهم وقتل منهم كثيراً ، ولكنه لم يستطع إبادتهم ، حتى دبروا له مكيدة قتله على يد عبد الرحمن بن ملجم عليه من الله ما يستحق .

وقد حارب الخوارج الدولة الأموية وأقلقوا راحتها فى حروب متواصلة بحجة =

الحق»(٢٩١) فبين أن كل طائفة (منهما) تتعلق بالحق ، ولكن طائفة علىٍّ أدنى إليه . (٢٩٢) وقال تعالى : ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا

= أنها مغتصبة للخلافة بزعمهم ولكنها استطاعت أن تنهك قواهم ، غير أنها لم تستطع استئصالهم .

والخوارج يقولون بتكفير عثمان لما غيرَّ وبدل بزعمهم ، وبتكفير على لقبوله التحكيم وطعنوا فى أصحاب الجمل وكل ذلك من جهلهم وضلالهم .

وكان من نظريتهم أن الخلافة تكون باختيار حر من المسلمين وقد خالفوا بذلك الشيعة القائلين بانحصار الخلافة فى بيت النبى ﷺ . كان ذلك بخلاف أهل السنة القائلين بأن الخلاف من قريش إذا وجدوا وتحققت فيهم الجدارة . وهو الحق .

والخوارج على الرغم من ضلالهم وانحرافهم ، لم يعرفوا بالكذب كالرافضة الذين ينكرون الأحاديث الصحيحة ويضعون الأحاديث المكذوبة على لسان رسول الله ﷺ ويؤولون آيات القرآن الكريم حسب أهوائهم ! . . [م] .

(٢٩١) فى صحيح مسلم (ك١٢ ح ١٥٠ ج ٣ ص ١١٣) من حديث أبى سعيد الخدرى : «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق » [خ] .

(٢٩٢) أهل السنة المحمدية يدينون لله على أن عليًا ومعاوية ومن معهما من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا جميعًا من أهل الحق ، وكانوا مخلصين فى ذلك . والذى اختلفوا فيه إنما اختلفوا عن اجتهاد ، كما يختلف المجتهدون فى كل ما يختلفون فيه . وهم لإخلاصهم فى اجتهادهم مثابون عليه فى حالتى الإصابة والخطأ ، وثواب المصيب أضعاف ثواب المخطئ ، وليس بعد رسول الله ﷺ بشر معصوم عن أن يخطئ ، وقد يخطيء بعضهم فى أمور ويصيب فى أخرى ، وكذلك الآخرون . ومن مرق عن الحق فى إثارة الفتنة الأولى على عثمان لا يعد من إحدى الطائفتين اللتين على الحق وإن قاتل معها والتحق بها ؛ لأن الذين تلوثت أيديهم ونياتهم وقلوبهم بالبغى الظالم على أمير المؤمنين عثمان ـ كائنًا من كانوا ـ استحقوا إقامة الحد الشرعى عليهم سواء استطاع ولى الأمر أن يقيم عليهم هذا الحد أو لم يستطع . وفى حالة عدم استطاعته فإن مواصلتهم تسعير القتال بين صالحى المسلمين كلما أحسوا منهم بالعزم على =

عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجرات] فلم يخرجهم عن « الإيمان » بالبغى بالتأويل ، ولا سلبهم اسم « الاخوة » بقوله بعده ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٠]

وقال ﷺ فى عمار : « تقتله الفئة الباغية » (٢٩٣) .

وقال فى الحسين: «ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من

= الإصلاح والتآخى ـ كما فعلوا فى وقعة الجمل وبعدها ـ يعد إصرارًا منهم على الاستمرار فى الإجرام ما داموا على ذلك . فإن قلنا: إن الطائفتين كانتا من أهل الحق فإنما نريد أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا من الطائفتين ومن سار معهم على سنته ﷺ من التابعين ، ونرى أن عليًا المبشر بالجنة أعلى مقامًا عند الله من معاوية خال المؤمنين وصاحب رسول رب العالمين ، وكلاهما من أهل الخير . وإذا اندس فيهم طوائف من أهل الشر فإن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . نقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٧/ ٢٧٧) عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الشعبانى قاضى إفريقية المتوفي سنة ١٥٦ وكان رجلا صالحًا من الآمرين بالمعروف ـ وذكر أهل صفين ـ فقال : « كانوا عربًا يعرف بعضهم بعضًا فى الجاهلية ، فالتقوا فى الإسلام معهم على الحمية وسنة الإسلام ، فتصابروا ، واستحيوا من الفرار، وكانوا إذا تحاجزوا دخل هؤلاء فى عسكر هؤلاء وهؤلاء فى عسكر هؤلاء ، . فيستخرجون قتلاهم فيدفنونهم » . قال الشعبى : « هم أهل الجنة ، لقى بعضهم بعضًا فلم يفر أحد من أحد » [خ] .

(٢٩٣) قال النبى ﷺ ذلك لما كانوا يبنون المسجد (١) ، فكان الناس ينقلون لبنة لبنة وعمار ينقل لبنتين لبنتين ، فقال النبى ﷺ فيه هذه الكلمة على مارواه أبو سعيد الخدرى لعكرمة مولى ابن عباس ولعلى بن عبد الله بن عباس . وهو فى كتاب الجهاد والسير من صحيح البخارى (ك ٥٦ ب ١٧ ج ٣ ص ٢٠٧) . وقد كان معاوية يعرف من=

---

(١) رواه البخارى (٤٤٧ ، ٥٨١٢) بلفظ (ويح عمار تقتله الفتن الباغية . .) .

المسلمين » ، فحسن له خلعه نفسه وإصلاحه .

وكذلك يروى أنه أذن فى الرؤيا لعثمان فى أن يستسلم ويفطر عنده الليلة .

فهذه كلها أمور جرت على رسم النزاع ، ولم يخرج عن طريق من طرق الفقه ، [ولا تعدت] سبيل الاجتهاد الذى يؤجر فيه المصيب عشرة والمخطئ أجرًا واحدًا .

= نفسه أنه لم يكن منه البغى فى حرب صفين ، لأنه لم يردها ، ولم يبتدئها ، ولم يأت لها إلا بعد أن خرج على من الكوفة وضرب معسكره فى النخيلة ليسير إلى الشام كما تقدم ، ولذلك لما قتل عمار قال معاوية : « إنما قتله من أخرجه » . وفى اعتقادى الشخصى أن كل من قتل من المسلمين بأيدى المسلمين منذ قتل عثمان فإنما إثمه على قتلة عثمان لأنهم فتحوا باب الفتنة ، ولأنهم واصلوا تسعير نارها ، ولأنهم الذين أوغروا صدور المسلمين بعضهم على بعض ، فكما كانوا قتلة عثمان فإنهم كانوا القاتلين لكل من قتل بعده ، ومنهم عمار ومن هم أفضل من عمار كطلحة والزبير ، إلى أن انتهت فتنتهم بقتلهم عليًا نفسه وقد كانوا من جنده وفى الطائفة التى كان قائمًا عليها . فالحديث من أعلام النبوة . والطائفتان المتقاتلتان فى صفين كانتا طائفتين من المؤمنين . وعلى أفضل من معاوية . وعلى ومعاوية من صحابة رسول الله ومن دعائم دولة الإسلام . وكل ما وقع من الفتن فإثمه على مسعرى نارها لأنهم السبب الأول فيها ، فهم الفئة الباغية التى قتل بسببها كل مقتول فى وقعتى الجمل وصفين وما تفرع عنهما . [خ] .

سيأتى الكلام على هذا عند الكلام على الصلح بين الحسن ومعاوية . [خ] .

نص الحديث : « إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب ، فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ ، فله أجر واحد » رواه البخارى ومسلم .[م] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢/ ٢١٩ ـ ٢٢٠) : « لم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء ، بل كان من أشد الناس حرصًا على أن لا يكون قتال ، =

حديث (إن ابنى هذا سيد . . .) صحيح : رواه البيهقى فى (٦/ ١٦٥) والطبرانى (٣/ ٢٣) وأبو داود (٤٦٦٢)، والترمذى (٣٧٧٣) ، وأحمد (٥/ ٤٤) ، والبخارى (٣/ ٢٤٤ ، ٩/ ٧١) .

وما وقع من روايات فى كتب التاريخ ـ عدا ما ذكرنا ـ فلا تلتفتوا إلى حرف منها، فإنها كلها باطلة .

= وكان غيره أحرص على القتال منه . وقتال صفين للناس فيه أقوال : فمنهم من يقول كلاهما كان مجتهدًا مصيبًا ، كما يقول ذلك كثير من أهل الكلام والفقه والحديث ممن يقول : كل مجتهد مصيب، ويقول : كانا مجتهدين . وهذا قول كثير من الأشعرية والكرامية والفقهاء وغيرهم ، وهو قول كثير من أصحاب أبى حنيفة والشافعى وأحمد وغيرهم . وتقول الكرامية كلاهما إمام مصيب ، ومنهم من يقول : بل المصيب أحدهما لا بعينه ، وهذا قول طائفة منهم . ومنهم من يقول : علىٌّ هو المصيب وحده ومعاوية مجتهد مخطئ ، كما يقول ذلك طوائف من أهل الكلام والفقهاء أهل المذاهب الأربعة. وقد حكى هذه الأقوال الثلاثة أبو عبد الله حامد من أصحاب الإمام أحمد وغيره ومنهم من يقول كان الصواب أن لا يكون قتال وكان ترك القتال خيرًا للطائفتين ، فليس فى الاقتتال صواب ، ولكن عليا كان أقرب إلى الحق من معاوية ، والقتال قتال فتنة : ليس بواجب ولا مستحب ، وكان ترك القتال خيرًا للطائفتين مع أن عليًا كان أولى بالحق ، وهذا قول أحمد وأكثر أهل الحديث وأكثر أئمة الفقهاء ، وهو قول أكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وهو قول عمران بن حصين رضي الله عنه وكان ينهى عن بيع السلاح فى ذلك القتال ويقول : هو بيع السلاح فى الفتنة . وهو قول أسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة وابن عمر، وسعد بن أبى وقاص وأكثر من بقى من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم . ولهذا كان من مذهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة فإنه قد ثبتت فضائلهم ووجبت موالاتهم ومحبتهم ». [خ] .

قاصمة التحكيم

وقد تحكم الناس فى التحكيم فقالوا فيه مالا [يرضى الله . وإذا [لاحظتموه] بعين المروءة ـ دون الديانة ـ رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها فى الكتب فى الأكثر عدم الدين ، وفى الأقل جهل بين .

والذى يصح من ذلك ما روى الأئمة كخليفة بن خياط (٢٩٨)، والدارقطنى(٢٩٩): أنه لما خرج الطائفة العراقية فى مائة ألف والشامية فى سبعين أو تسعين ألفا ونزلوا على الفرات بصفين ، اقتتلوا فى أول يوم وهو الثلاثاء على الماء فغلب أهل العراق عليه (٣٠٠) .

---

(٢٩٨) هو الإمام الحافظ أبو عمرو خليفة بن خياط العصفرى البصرى ، أحد أوعية العلم ، ومن شيوخ الإمام البخارى . قال عنه ابن عدى : هو صدوق مستقيم الحديث من متيقظى رواة السنة . توفى سنة ٢٤٠ . [خ] .

(٢٩٩) هو الإمام الحافظ أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى (٣٠٦ـ ٣٨٥) كان مع جلالته فى الحديث من أئمة فقهاء الشافعية ، وله تقدم فى الأدب ورواية الشعر . وجاء من بغداد إلى مصر ليساعد ابن حنزابة وزير كافور على تأليف مسنده فبالغ الوزير فى إجلاله . قال الحافظ عبد الغنى بن سعيد « أحسن الناس كلاما على حديث رسول الله ﷺ : على بن المدينى فى وقته ، وموسى بن هارون القيسى فى وقته ، والدارقطنى فى وقته » [خ] .

(٣٠٠) لم يكن القتال على الماء جديًا ، وقد قال عمرو بن العاص يومئذ « ليس من النصف أن نكون ريانين وهم عطاش » . والذين تظاهروا فى الجيش الشامى بمنع العراقيين عن الماء أرادوا أن يذكروهم بمنعهم الماء عن أمير المؤمنين عثمان فى عاصمة خلافته وهو الذى اشترى بئر رومة من ماله ليستقى منه إخوانه المسلمون . وبعد اشتراكهم فى الماء تناوشوا شهر ذى الحجة من سنة ٣٦ ثم تهادنوا شهر المحرم من سنة ٣٧ ، ووقعت وقائع شهر صفر التى سيشير إليها المؤلف [خ] .

ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة (سبع وثلاثين) ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت (٣٠١) ، ورفعت المصاحف من أهل الشام ، ودعوا إلى الصلح ، وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعويين بالحق ، فكان من جهة عليٍّ أبو موسى (٣٠٢) ، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص .

وكان أبو موسى رجلا تقيًا ثقفًا فقيها عالما حسبما بيناه فى كتاب (سراج المريدين) (٣٠٣) ، أرسله النبى ﷺ إلى اليمن مع معاذ ، وقدمه عمر ، وأثنى عليه بالفهم (٣٠٤) . وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأى مخدوعا في القول ، وأن ابن العاص كان ذا دهاء وأرب حتى ضربت الأمثال بدهائه تأكيداً لما أرادت من الفساد ، وتبع فى ذلك بعض الجهال بعضا وصنفوا فيه حكايات . وغيره

(٣٠١) وكانت تسمى « ليلة الهرير » اقتتل الناس فيها حتى الصباح . [خ] .

(٣٠٢) وكان آخر العهد بأبى موسى عندما كان واليًا على الكوفة ، وجاء دعاة عليٍّ يحرضون الكوفيين على لبس السلاح والالتحاق بجيش على استعداداً لما ينتظرونه من قتال مع أصحاب الجمل فى البصرة ، ثم مع أنصار معاوية فى الشام . فكان أبو موسى يشفق على دماء المسلمين أن تسفك بتحريض الغلاة ، ويذكر أمة محمد ﷺ بقول نبيهم فى الفتنة « القاعد فيها خير من القائم » ، فتركه الأشتر يحدث الناس فى المسجد بالحديث النبوى ، وأسرع إلى دار الإمارة فاحتلها . فلما عاد إليها أبو موسى منعه الأشتر من الدخول ، وقال له : اعتزل إمارتنا فاعتزلهم أبو موسى واختار الإقامة فى قرية يقال لها عرض بعيداً عن الفتن وسفك الدماء . فلما شبع الناس من سفك الدماء واقتنعوا بأن أبا موسى كان ناصحًا للمسلمين فى نهيهم عن القتال طلبوا من على أن يكون هو ممثل العراق فى أمر التحكيم ، لأن الحالة التى كان يدعو إليها هى التى فيها الصلاح . فأرسلوا إلى أبى موسى وجاؤوا به من عزلته . [خ] .

(٣٠٣) من مؤلفات أبى بكر بن العربى وهو فى الزهد والتصوف السنى ، وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠٣٤٨ ب [س] .

(٣٠٤) واختصه بكتابه الشهير فى القضاء وآدابه وقواعده . [خ] .

من الصحابة كـان أحذق منه وأدهى . وإنما بنوا ذلك على أن عمـرًا لما غدر أبا موسى فى قصة التحكيم صار له الذكر فى الدهاء [والفكر] .

وقالوا : أنهما لما اجتمعا بأذرح من دومة الجندل (٣٠٥) ، وتفاوضا اتفقا على أن يخلعا الرجلين (٣٠٦) . فقال عمرو لأبى موسى : اسبق بـالقول . فتقدم فقال : إنى

(٣٠٥) أذرح : قـرية من أعمـال الشراة تقع فى منـطقة بين أراضى شـرقى الأردن والمملكة العربية السعودية فى الأطراف الجنوبية من بادية الشام . [خ] .

(٣٠٦) من الحقائق ما إذا أسيء التعبير عنه وشابته شـوائب المغالطة يوهم غير الحقيقة ، فينشأ عن ذلك الاختلاف فى الحكم عليه . ومن ذلك حادثة التحكيم وقول المغالطين إن أبا موسى وعمرا اتفقا على خلع الرجلين ، فخلعـهما أبو موسى ، واكتفى عمرو بخلع علىٍّ دون مـعاوية . وأصل المغـالطة من تجاهل المغـالطين أن معـاوية لم يكن يومـئذ خليفة، ولا هو ادعى الخـلافة حتى يحتاج عمرو إلى خلعـها عنه . بل إن أبا موسى وعمرًا اتفقـا على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين إلى الموجودين على قـيد الحياة من أعيـان الصحـابة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض . واتفـاق الحكمين على ذلك لا يتناول معاوية لأنه لم يكن خليفـة ، ولم يقاتل على الخلافة ، وإنما كان يطالب بإقامة الحد الشـرعى على الذين اشتركوا فى قتل عثـمان . فلما وقع التحكيم على إمامة المسلمين ، واتفق الحكمان على ترك النظر فيها إلى كبار الصحابة وأعيانهم تناول التحكيم شيئًا واحدًا هو الإمامة . أما التصرف العملى فى إدارة البلاد التى تحت حكمه ، ومعاوية متصرف فى البلاد التى تحت حكمه فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر ، ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة . وكان يكون مـحلاً للمكر أو الغفلة لو أن عمرًا أعلن في نتيجة التحكيم أنه ولى معـاوية إمارة المؤمنين وخلافة المسلمين ، وهذا ما لم يعلنه عمـرو ، ولا ادعاه معـاوية ، ولم يقل به أحد فى الثلاثة عـشر قرنا الماضـية، وخلافة معـاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن على ، وقد تمت بمبـايعة الحسن لمعاوية ، ومن ذلك اليوم فقط سمى معاوية أمير المؤمنين . فعمرو لم يغالط أبا موسى ولم يخدعه ، لأنـه لم يعط معاوية شيئًـا جديدًا ، ولم يقرر فى التحكـيم غير الذى قرره أبو موسى ، ولم يخرج عما اتفقا عليه معا ، فبقيت العراق والحجاز وما يتبعهما تحت يد من كانت تحت يده من قبل،وبقيت الشام وما يتبعها تحت يد من كانت تحت=

نظرت فخلعت عليا عن الأمر ، ولينظر المسلمون لأنفسهم ، كما خلعت سيفى هذا من عاتقى - وأخرجه من عنقه فوضعه فى الأرض . وقام عمرو فوضع سيفه فى الأرض ، وقال : إنى نظرت فأثبت معاوية فى الأمر (٣٠٧)، (٣٠٨) كما أثبت سيفى

= يده من قبل ، وتعلقت الإمامة بما سيكون من اتفاق أعيان الصحابة عليها. وأى ذنب لعمرو فى أى شىء مما وقع ؟ إن البلاهة لم تكن من أبى موسى ، ولكن ممن يريد أن يفهم الوقائع على غير ما وقعت عليه . فليفهمها كل من شاء كما يشاء. أما هى ، فظاهرة واضحة لكل من يراها كما هى . [خ] .

(٣٠٧) أى أمر ؟ إن كان الاستمرار فى إدارة البلاد التى تحت يده ، فإن هذا الأمر ماضٍ على معاوية وعلي معًا ، فكل منهما باق فى الحكم على ما تحت يده . وإن كان المراد بالأمر الإمامة العامة وإمارة المؤمنين فإن معاوية لم يكن إمامًا - أى خليفة - حتى يثبته عمرو كما كان ، وقد أوضحنا هذه الحقيقة فى الفقرة السابقة ، وهذه هى نقطة المغالطة التى هزا بها مؤرخو الإفك المفترى فسخروا بجميع قرائهم وأوهموهم بأن هناك خليفتين أو أميرين للمؤمنين ، وأن الاتفاق بين الحكمين كان على خلعهما معًا ، وأن أبا موسى خلع الخليفتين تنفيذاً للاتفاق ، وأن عمرا خلع أحدهما وأبقى الآخر خليفة خلافا للاتفاق وهذا كله كذب وإفك وبهتان ، والذى فعله عمرو هو نفس الذى فعله أبو موسى لا يفترق عنه قط فى نقير ولا قطمير . وبقى أمر الإمامة والخلافة أو إمارة المؤمنين معلقًا على نظر أعيان الصحابة ليروا فيه رأيهم متى شاؤوا وكيف شاؤوا وإذا كانت هذه الخطوة الثانية لم تتم فما فى ذلك تقصير من أبى موسى ولا من عمرو ، فهما قد قاما بمهمتهما بحسب ما أدى إليه اجتهادهما واقتناعهما . ولو لم تكلفهما الطائفتان معًا بأداء هذه المهمة لما تعرضا لها ، ولا أبديا رأيًا فيها . ولو كان موقف أبى موسى فى هذا الحادث التاريخى العظيم موقف بلاهة وفشل لكان ذلك سبة عليه فى التاريخ ، وأن الأجيال التى بعده فهمت موقفه على أنه من مفاخره التى كتب الله له بها النجاح والسداد ، حتى قال ذو الرمة الشاعر يخاطب حفيده بلال بن أبى بردة بن أبى موسى :

أبوك تلافى الدين والناس بعدما تشاءوا وبيت الدين منقطع الكسر

هذا فى عاتقى . وتقلده : فأنكره أبو موسى ، فقال عمرو : كذلك اتفقنا . وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف .

* * *

= فشد آصار الدين أيام أذرح ورد حروبا قد لقحن إلى عقر

[خ] .

(٣٠٨) قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى بعدما روى هذه القصة :

« فإنه حديث منكر ورفعه موضوع والله أعلم . إذ لو كان هذا معلومًا عند على لم يوافق على تحكيم الحكمين ، حتى لا يكون سببًا لإضلال الناس ، كما نطق به هذا الحديث . وآفة هذا الحديث هو زكريا بن يحيى ، وهو الكندى الحميرى الأعمى. قال ابن معين ليس بشىء » البداية (٧/ ٣٨٥) . [م] .

عاصمة

قال القاضى أبو بكر رضي الله عنه : هذا كله كذب صراح ، ما جرى منه حرف قط . وإنما هو شيء [اخترعته] المبتدعة ، ووضعته التاريخية للملوك ، فتوارثته أهل المجانة ، والجهارة بمعاصى الله والبدع (٣٠٩) .

---

(٣٠٩) أن التاريخ الإسلامى لم يبدأ تدوينه إلا بعد زوال بنى أمية وقيام دول لا يسر رجالها التحدث بمفاخر ذلك الماضى ومحاسن أهله . فتولى تدوين تاريخ الإسلام ثلاث طوائف : طائفة كانت تنشد العيش والجدة من التقرب إلى مبغضى بنى أمية بما تكتبه وتؤلفه . وطائفة ظنت أن التدين لا يتم ، ولا يكون التقرب إلي الله ، إلا بتشويه سمعة أبى بكر وعمر وعثمان وبنى عبد شمس جميعا . وطائفة ثالثة من أهل الإنصاف والدين ـ كالطبرى وابن عساكر وابن الأثير وابن كثير ـ رأت أن من الإنصاف أن تجمع أخبار الأخباريين من كل المذاهب والمشارب ـ كلوط بن يحيى الشيعى المحترق، وسيف بن عمر العراقى المعتدل ـ ولعل بعضهم اضطر إلى ذلك إرضاء لجهات كان يشعر بقوتها ومكانتها . وقد أثبت أكثر هؤلاء أسماء رواة الأخبار التى أوردها ليكون الباحث على بصيرة من كل خبر بالبحث عن حال راويه . وقد وصلت إلينا هذه التركة لا على أنها هى تاريخنا ، بل على أنها مادة غزيرة للدرس والبحث يستخرج منها تاريخنا ، وهذا ممكن وميسور إذا تولاه من يلاحظ مواطن القوة والضعف فى هذه المراجع ، وله من الألمعية ما يستخلص به حقيقة ما وقع ويجردها عن الذى لم يقع ، مكتفيًا بأصول الأخبار الصحيحة عن الزيادات الطارئة عليها . وإن الرجوع إلى كتبْ السنة ، وملاحظات أئمة الأمة ، مما يسهل هذه المهمة . وقد آن لنا أن نقوم بهذا الواجب الذى أبطأنا فيه كل الإبطاء ، وأول من استيقظ فى عصرنا للدسائس المدسوسة على تاريخ بنى أمية العلامة الهندى الكبير الشيخ شلبى النعمانى فى انتقاده لكتب جرجى زيدان ، ثم أخذ أهل الألمعية من المنصفين فى دراسة الحقائق فبدأت تظهر لهم وللناس منيرة مشرقة ، ولا يبعد ـ إذا استمر هذا الجهاد فى سبيل الحق ـ أن يتغير فهم المسلمين لتاريخهم ، ويدركوا أسرار ما وقع فى ماضيهم من معجزات . [خ] .

وإنما الذى روى الأئمة الثقات الأثبات أنهما لما اجتمعا للنظر فى الأمر - فى عصبة كريمة من الناس منهم ابن عمر ونحوه - عزل [عمرو] معاوية (٣١٠) .

ذكر الدار قطنى بسنده إلى حصين بن المنذر (٣١١) : لما عزل عمرو معاوية جاء (جاء حصين بن المنذر) فضرب فسطاطه قريبًا من فسطاط معاوية ، فبلغ [نثاه](٣١٢) معاوية ، فأرسل (إلىَّ) فقال : إنه بلغنى عن هذا (أى عن عمرو) كذا وكذا(٣١٣)، فاذهب فانظر ما هذا الذى بلغنى عنه .

فأتيته فقلت : أخبرنى عن الأمر الذى وليت أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه؟ قال : قد قال الناس فى ذلك ما قالوا ، والله ما كان الأمر على ما قالوا (٣١٤) ، ولكن قلت لأبى موسى : ما ترى فى هذا الأمر ؟ قال : أرى أنه فى النفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض . قلت : فأين تجعلنى أنا ومعاوية ؟ فقال : إن يستعن بكما ففيكما معونة ، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما . قال : فكانت هى التى قتل معاوية منها نفسه . فأتيته فأخبرته (أى فأتى حصين معاوية فأخبره) أن الذى بلغه عنه كما بلغه . فأرسل إلى أبى الأعور الذكوانى (٣١٥)

---

(٣١٠) أى بتقريره مع أبى موسى أن إمامة المسلمين يترك النظر فيها إلى أعيان الصحابة . [خ].

(٣١١) قال الدارقطنى : حدثنا إبراهيم بن همام ، حدثنا أبو يوسف الفلوسى وهو يعقوب بن عبد الرحمن بن جرير ، حدثنا الأسود بن شيبان ، عن عبد الله بن مضارب عن حصين بن المنذر (وحصين من خواص على الذين حاربوا معه) (خ) .

(٣١٢) أى عزله عليًا ومعاوية وتفويضه الأمر إلى كبار الصحابة . [خ] .

(٣١٣) أى أنهما لم يعزلا ، ولم يوليا ، ولكن تركا الأمر لأعيان الصحابة . [خ] .

(٣١٤) وكتبها الشيخ محب : نبأه (س) .

(٣١٥) هو أبو الأعور السلمى (وذكوان قبيلة من سليم) واسمه عمرو بن سفيان ، كان من كبار قواد معاوية . وفى حرب صفين طلب الأشتر أن يبارزه فترفع عن ذلك لأنه لم ير الأشتر من أنداده .

فبعثه فى خيله ، فخرج يركض فرسه ويقول : أين عدو الله ، أين هذا الفاسق ؟

قال أبو يوسف (٣١٦) : أظنه قال : « إنما يريد حوباء نفسه » فخرج (عمرو) إلى فرس تحت فسطاطه فجال فى ظهره عريانًا ، فخرج يركضه نحو فسطاط معاوية وهو يقول : « إن الضجور قد تحتلب العلبة ، يا معاوية إن الضجور قد تحتلب العلبة»(٣١٧) . فقال معاوية : [أحسبه] (٣١٨) ، ويريد الحالب فتدق أنفه ، وتكفأ إناءه » (٣١٩) .

قال الدارقطنى ـ وذكر سندًا عدلا (٣٢٠) [وساق الحديث] : ربعى عن أبى

---

(٣١٦) أى الفلوسى راوى هذا الخبر عن الأسود بن شيبان عن عبد الله بن مضارب عن حضين .

(٣١٧) الضجور : الناقة التى ترغو وتعربد عند الحلب . و« قد تحلب الضجور العلبة » مثل . ومعناه أن الناقة التى ترغو قد تحلب ما يملأ العلبة ، يضربونه للسيئ الخلق قد يصاب منه الرفق واللين ، وللبخيل قد يستخرج منه المال .

(٣١٨) فى نسخة الشيخ محب [أجل !!] [س] .

(٣١٩) ثم قال : ثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم ودعلج بن أحمد قالا حدثنا محمد بن أحمد بن النضر ثنا معاوية بن عمر ثنا زائدة عن عبد الملك بن عمير عن . . . [س].

(٣٢٠) أورد المؤلف هذا الخبر للدلالة على ورع عمرو (*) ومحاسبته لنفسه وتذكيره بسيرة السلف .

(*) قال النبى ﷺ فى الثناء على عمرو بن العاص رضي الله عنه : « أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص » وهو حديث حسن كما جاء فى الأحاديث الصحيحة ٢/ ٦٤ .

قال شيخنا محدث الديار الشامية فى المصدر السابق : وفى هذا الحديث منقبة عظيمة لعمرو بن العاص رضي الله عنه ، أن شهد له النبى ﷺ : « لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة » متفق عليه . وقال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

وعلى هذا لا يجوز الطعن فى عمرو بن العاص رضي الله عنه كما يفعل بعض الكتاب المعاصرين ، وغيرهم من المخالفين ـ بسبب ما وقع من الخلاف بل القتال مع على رضي الله عنه ، لأن ذلك لا ينافى الإيمان ، فإنه لا يستلزم العصمة كما يخفى ، لا سيما إذا قيل : إن ذلك وقع منه بنوع من الاجتهاد وليس اتباعًا للهوى . [م] .

موسى أن عمرو بن العاص قال : « والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لهما منه شيء لقد غبنا ونقص رأيهما . وايم الله ما كان مغبونين ولا ناقصى الرأى . ولئن كانا امرأين يحرم عليهما هذا المال الذى أصبناه بعدهما لقد هلكنا . وايم الله ما جاء الوهم إلا من قبلنا » (٣٢١) .

فهذا كان بدء الحديث ومنتهاه . فأعرضوا عن الغاوين ، وازجروا العاوين ، وعرجوا عن سبيل الناكثين ، إلى سنن المهتدين . وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين . وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله ﷺ، فقد هلك من كان أصحاب النبى ﷺ خصمه . دعوا ما مضى ، فقد قضى الله فيه ما قضى . وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقادًا وعملا . ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل [ما جن] اتخذ الدين هملا ، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا . ورحم الله الربيع بن خثيم (٣٢٢) فإنه لما قيل له : قتل الحسين! قال : أقتلوه ؟ قالوا : نعم . فقال : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) ﴾ [الزمر] . ولم يزد على هذا أبدًا . فهذا العقل والدين ، والكف عن أحوال المسلمين ، والتسليم لرب العالمين .

* * *

(٣٢١) وأسقطها الشيخ محب من النص وجعلها فى الهامش !! [س] .

(٣٢٢) هو من تلاميذ عبد الله بن مسعود وأبى أيوب الأنصارى وعمرو بن ميمون ، وأخذ عنه الإمام الشعبى وإبراهيم النخعى وأبو بردة . قال له ابن مسعود : لو رآك النبى ﷺ لأحبك . توفى سنة ٦٤ [خ] .

تكملة : ب ، ج ز ومطبوعة الشيخ محب [خيثم] وهو خطأ والتصحيح من طبقات ابن خياط صفحة ١٤١ [س] .

قاصمة

قال قيل : إنما يكون ذلك فى المعانى التى تشكل ، وأما هذه الأمور كلها فلا إشكال فيها ، لأن النبى ﷺ نص على استخلاف عليٍّ بعده فقال « أنت منى بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبى بعدى » (٣٢٣) ، (وقال) : « اللهم (٣٢٤) وال

---

(٣٢٣) فى كتاب المغازى من صحيح البخارى (ك ٦٤ ب ٧٨ ج ٥ ص ١٢٩) وفى فضائل الصحابة من صحيح مسلم (ك ٤٤ ح ٣١ ج ٧ ص ١٢٠) من حديث سعد بن أبى وقاص أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليًا ، فقال : أتخلفنى فى الصبيان والنساء ؟ قال : « ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبى بعدى » . وانظر المناقشة فى هذا الحديث بين السيد عبد الله بن الحسين السويدى سنة ١١٥٦ وبين الملا باشى على أكبر شيخ علماء الشيعة ومجتهديهم فى زمن نادر شاه فى كتاب (مؤتمر النجف) (**) ص ٢٥ - ٢٧ طبع السلفية [خ] .

(٣٢٤) أخرجه النسائى فى « خصائص على » وأحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين . وله طرق أخرى كلها صحيحة ولكن ليس فى طريق من طرقه جميعها : «اللهم انصر من نصره واخذل من خذله »(١) [م] .

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى معرض كلامه على الحديث السابق :

« . . وقد شبه النبى ﷺ أبا بكر بإبراهيم وعيسى ، وشبه عمر بنوح وإبراهيم عليهم جميعًا الصلاة والسلام - لما أشارا فى الأسرى ، وهذا أعظم من تشبيه على =

(**) رجعت إلى كتاب « مؤتمر النجف » الذى أشار إليه محب الدين الخطيب ، فإذا به يذكر على لسان السويدى أن ابن الجوزى قال : إن هذا الحديث موضوع مع أنه رواه البخارى ومسلم !

وليس فى هذا الحديث نص على استخلاف على بعد الرسول ﷺ . قال الشيخ السويدى :

لو دل هذا على الاستخلاف ، لا قتضى أن ابن أم مكتوم خليفة بعد النبى ﷺ . لأنه استخلفه على المدينة ، واستخلف أيضًا غيره ، فلم خص على رضي الله عنه بالخلافة دون غيره ، مع اشتراك الكل فى الاستخلاف ؟

وأيضًا لو كان هذا من باب الفضائل ، لما وجد عليٌّ على نفسه وقال : « اتجعلنى مع النساء والأطفال والضعفة ؟ فقال النبى ﷺ تطييبًا لنفسه : « اما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ »

(١) تقدم تخريجه (٤) .

من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله (٣٢٥) » . فلم يبق بعد هذا خلاف لمعاند .

فتعدى عليه أبو بكر واقتعد فى غير موضعه .

ثم خلفه فى التعدى عمر .

ثم رجا أن يوفق عمر للرجوع إلى الحق ، فأبهم الحال وجعلها شورى قصرًا للخلاف ، للذى سمع من النبى ﷺ .

ثم تحيل ابن عوف حتى ردها عنه إلى عثمان .

ثم قتل عثمان لتسوره على الخلافة وعلى أحكام الشريعة (٣٢٦)، وصار الأمر إلى علىٍّ بالحق الإلهى النبوى ، فنازعه من عاقده ، وخالف عليه من بايعه ، ونقض عهده من شده .

وانتدب أهل الشام [مع معاوية] إلى الفسوق فى الدين ، بل الكفر (٣٢٧).

= بهارون ؛ ولم يوجب ذلك أن يكونا بمنزلة أولئك الرسل . وتشبيه الشىء بالشىء لمشابهته فى بعض الوجوه كثير فى الكتاب والسنة ، وكلام العرب » (مجموع الفتاوى ٤/٤١٩ باختصار) . [م] .

(٣٢٥) فى مسند أحمد (١/ ٨٤ ، ٨٨ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢ الطبعة الأولى رقم ٦٤١ ، ٦٧٠ ، ٩٥٠ ، ٩٦١ ، ١٣١ ، ١٣١٠ . وفى ٤ / ٢٨١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ الطبعة الأولى و ٥ / ٣٤٧ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٤١٩ الطبعة الأولى) وانظر تفسير الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب لهذا الحديث ، وسيأتى كلام المؤلف على الحديثين فى ص ٢٦٣ . [خ] .

(٣٢٦) كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا . وقد جاء فى هذا الكتاب ما يثبت كذبهم . [م] .

(٣٢٧) كل هذه الفقرات من هذيان مرتكبى « القاصمة » وشيعتهم . وقد أجاب المؤلف فى «العاصمة » التالية مدحضًا سخافاتهم ، ولكن اتسع عليه ميدان القول ففاته الكلام على موقف أهل الشام من هذه الفتن التى وقعت فى الإسلام . وقد رأيت فى =

. . . .

= ص ٩٢ قول ابن الكوا أحد زعماء الفتنة وهو يصف أشباهه فى الأمصار الكبرى : « وأما أهل الأحداث من أهل الشام فأطوع النـاس لمرشدهم ، وأعصاهم لمغويهم » .
وإذا كان أهل الأحداث فى الشام هكذا على ما شهـد به زعيم من زعماء الفتنة ، فإن أهل العافية والإيمان منهم قد شهد لهم أمير المؤمنين علىٌ فيما نقله ابن كثير فى البداية والنهاية (٨/ ٢٠) عن عبـد الرزاق بن همام الصنعانى أحد الأئمة الأعـلام الحفاظ ، عن شيخه معمر بن راشـد البصرى وهو أيضًا من الأعلام ، عن الزهرى مدون السنة وشيخ الأئمة أن عبد الله بن صفوان الجمحى قال : قال رجل من صفين « اللهم العن أهل الشام » فقال له على : « تسب أهل الشام ، فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال » (*) وروى هذا الحديث من وجه آخـر مرفوعًا (*) إلى النبى ﷺ .
وروى أبو إدريس الخولانى وهو من أعـلام حملة السنة والشريعة ومن شـيوخ الحسن البصـرى وابن سيرين ومكحـول وأضرابهم أن أبا الدرداء قال : قـال رسول الله ﷺ «بينما أنا نائم رأيت الكتاب احتمل من تحت رأسى ، فظننت أنه مذهوب به ، فأتبعته بصرى فعـمد به إلى الشام . وإن الإيمان ـ حتى تقع الفـتنة ـ بالشام » . (**) وروى هذا الحديث من الصحابة غير أبى الدرداء أبو أمـامة وعبد الله بن عمرو بن العاص .

(*) حديث الأبدال لعلى ضعيف لانقطاعه ، فإن شريح بن عبيد الحمصى لم يدرك عليًا .
وبمناسبة الكلام على الأبدال نـسوق رأى شيخ الإسلام الإمام ابـن تيمية رحمه الله تعالى نظرًا لخطورة الموضوع :
أما الأسمـاء الدائرة على ألسنة الكثيرين مـن النساك والعامة مـثل « الغوث » الذى بمكة ، و«الأوتاد الأربعة»، و« ألا قطاب السبعة » .
يريد حديثًا رواه شريح بن عبـيد قال ذكر أهل الشام عند على رضي الله عنه وقيل العنهم يا أمير المؤمنين ! قال : لا ! إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول الأبدال يكونـون بالشام ، وهم أربعون رجلا ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجـلا ، يسـقى بهم الغـيث ، وينتـصر بهم عـلى الأعداء ، ويصـرف عن أهل الشـام بهم العذاب، وهو حديث ضعيف لانقطاعه ، فإن شريح هذا لم يدرك عليًا .
(**) رأيت فى المشكاه نحـوه بلفظ قال رسول الله ﷺ : « رأيت عـمودًا من نور ، خـرج من تحت راسى حتى استقر بالشام » رواه البيهقى فى « دلائل النبوة » وسنده صحيح كما قال محقق المشكاة .
وروى أبو داود بإسناد صحـيح قال رسول الله ﷺ : « سـتفتح الشام ، فـإذا خيرتم المنازل فيـها ، فعليكم بمدينة يقال لها دمشق ، فإنها معـقل المسلمين من الملاحم وفسطاطها ، منها ارض يقال لها: «الغوطة» وسنده صحيح كما قال محقق المشكاة . [م] .

. . . .

= وللمقارنة بين أهل الشام والذين كانوا يحاربونهم نقل عن ابن كثير (٧/ ٣٢٥) خبر الأعمش عن عمرو بن مرة بن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأرقم قال : خطبنا على يوم جمعة فقال: « نبئت أن بشرا قد طلع اليمن ، وإنى والله لأحسب أن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم ، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم إمامكم وطاعتهم إمامهم. وبخيانتكم أرضكم . وإصلاحهم قد بعثت فلانًا فخان وغدر وبعث فلانا فخان وغدر وبعث المال إلى معاوية . لو ائتمنت أحدكم على قدح لأخذ علاقته . اللهم سئمتهم وسئمونى ، وكرهتهم وكرهونى . اللهم فأرحهم منى وأرحنى منهم ». بهذا وصف على جيشه وطائفته وبعكسه فى الفضائل وصف أهل الشام الذين اضطروا إلى أن يقفوا من طائفته موقف المحارب. وليس بعد وصف على لأهل الشام بالطاعة والأمانة والإصلاح ، إلا الضرب بهذه القنبلة وجوه واصفيهم بالكفر والفسوق فى الدين . [خ] .

و « الأبدال الأربعون » ، و« النجباء الثلاثمائة » فهذه أسماء ليست موجودة فى كتاب الله تعالى، ولا هى أيضًا مأثورة عن النبى ﷺ بإسناد صحيح ، ولا ضعيف ، يحمل عليه ألفاظ الأبدال .

أما الغوث والغياث ، فلا يستحقه إلا الله ، فهو غياث المستغيثين ، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره ، لا بملك مقرب ، ولا نبى مرسل (أى بعد موته أو فى حياته مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى) ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التى يطلبون بها كشف الضر عنهم . . . إلى الغوث فهو كاذب ضال مشرك !! فقد كان المشركون كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ وقال سبحانه : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ .

فكيف يكون المؤمنون يرفعون إليه حوائجهم بعده بوسائط من الحجاب ، وهو القائل : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

وليس من أولياء الله المتقين، ولا عباد الله المخلصين الصالحين ولا أنبيائه المرسلين: من كان غائب الجسد دائمًا عن أبصار الناس . بل هذا من جنس قول القائلين أن عليًا فى

وهذه حقيقة مذهبهم (٣٢٨) ، أن الكل [منهم] (٣٢٩) ،

السحاب ، وأن محمد ابن الحنيفة فى جبال رضوى ، وأن محمد بن الحسن بسرداب سامرى ، وإن الحاكم بجبل مصر ، وأن الأبدال الأربعين بجبل لبنان ، فكل هذا ونحوه من قول أهل الإفك والبهتان . . [الفتاوى ١١ / ٤٣٣ ـ ٤٤٣ باختصار] .

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

روى فى الأبدال حديث أنهم أربعون رجلا ، وأنهم بالشام ، وهو فى المسند من حديث على رضي الله عنه ، وهو حديث منقطع ليس بثابت . ومعلوم أن عليًا ومن معه من الصحابة ، كانوا أفضل من معاوية ومن معه بالشام ، فلا يكون أفضل الناس فى عسكر معاوية دون عسكر على (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » طبعة «المكتب الإسلامى » لصاحبه الأستاذ زهير الشاويش .

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى فى تعليقه على « المسند » : إسناده ضعيف لانقطاعه . شريح بن عبيد الحضرمى الحمصى لم يدرك عليًا ، بل لم يدرك إلا بعض متأخرى الوفاة من الصحابة .

وما أحسن ما قاله الإمام ابن تيمية أيضًا :

وأما أهل العلم فكانوا يقولون عن « أهل الحديث » هم « الأبدال » أبدال الأنبياء، وقائمون مقامهم حقيقة ، ليس من المعدمين الذين لا يعرف لهم حقيقة . كل منهم يقوم مقام الأنبياء فى القدر الذى ناب عنهم فيه : هذا فى العلم والمقال ، وهذا فى العبادة والحال . وهذا فى الأمرين جميعًا . وكانوا يقولون : هم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة الظاهرون على الحق ، لأن الهدى ودين الحق الذى بعث الله به رسله معهم. وهو الذى وعد الله بظهوره على الدين كله . وكفى بالله شهيدًا .

... إن الذين يعيبون أهل الحديث ويعدلون عن مذهبهم جهلة زنادقة منافقون بلا ريب . ولهذا لما بلغ الإمام أحمد عن « أبى قتيلة » أنه ذكر عنده أهل الحديث بمكة ، فقال : قوم سوء ، فقام الإمام أحمد ، وهو ينفض ثوبه ، ويقول : زنديق ، زنديق ، زنديق ، ودخل بيته (الفتاوى ٤/ ٩٦ ـ ٩٧) .

(٣٢٨) أى حقيقة مذهب الرافضة وأعداء الصحابة . [خ] .

(٣٢٩) وفى طبعة الشيخ الخطيب [عندهم] !! (س) .

كفرة (٣٣٠) ، (٣٣١) لأن من مذهبهم ....

(٣٣٠) يستثنون منهم - بعد عليٍّ وبعض آله - سلمان الفارسى وأبا ذر والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وأبا الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وعبادة بن الصامت وأبا أيوب الأنصارى وخزيمة بن ثابت وأبا سعيد الخدرى . وبعض الشيعة يرى أن الطيبين من أصحاب رسول الله ﷺ أقل عدداً من هؤلاء . [خ] .

(٣٣١) ومما يحتج به الرافضة على ارتداد الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ حديث ابن عباس عن النبى ﷺ : « أن أناساً من أصحابى يؤخذ بهم ذات الشمال » أى إلى جهنم .

« فأقول : أصيحابي ، أصيحابى » على صيغة القلة والتصغير ، لقلة عددهم .

« فيقول » أى الله سبحانه : « إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» .

فأقول كما قال العبد الصالح - أى عيسى عليه السلام معتذراً : ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ - إلى قوله -الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ متفق عليه (١) .

وتمام الآية : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

قال فى « أشعة اللمعات » فى الرد على الرافضة :

« قالوا : ليس المراد بهذا خواص الأصحاب ، لأنا نعلم - يقينًا - أنه لم يرتد أحد منهم بعد النبى ﷺ إلا قوم من جفاة العرب من أصحاب « مسيلمة الكذاب » و«الأسود العنسى » أو بعض مؤلفة القلوب الذين لم تكن لهم بصيرة بالدين ، ولا قوة فى الإيمان . . .» .

ولما كان كل من رأى النبى ﷺ لحظة (*) يطلق عليه لفظ صاحب ، كان هذا الحديث بحق من لم يرسخ الإسلام فى نفسه ، وهو بحق هؤلاء الأصحاب !

مما سبق ندرك مبلغ افتراء الرافضة بالاحتجاج بهذا الحديث على ردة أكابر الصحابة الذين وردت فى الثناء عليهم الآيات والأحاديث الكثيرة التى رأينا بعضها فى أول هذا الكتاب وقد حضنا رسول الله ﷺ على التمسك بسنته وسنتهم في قوله :=

(١) رواه البخارى (٤/١٦٩) (ع) .

(*) ومات على الإسلام كما قيده بذلك علماء الحديث (ع) .

. . . .

= فى الحديث الصحيح : « **عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ** » رواه أحمد وأبو داود ، والترمذى وابن ماجه .

عن ابن مسعود ﷺ قال : « من كان مستنًا ، فليستن بمن قد مات . أولئك أصحاب محمد ﷺ ، كانوا أفضل هذه الأمة ، وأقلها تكلفًا ، اختارهم الله لصحبة نبيه ، ولإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم .

ويقصد الرافضة من وراء الدعوة إلى ارتداد كبار الصحابة نسف الشريعة التى نقلوها إلينا ، وزرع الشك فى نفوسنا فى نقلهم ما داموا قد ارتدوا ، لذلك فهم يزعمون أن لهم قرآنا غير قرآننا ، (راجع كتاب الكافى للكلينى طبعة إيران سنة ١٣٧٨ ص ٥٤ ، ٥٧) وكتاب الكافى هذا هو كتاب موثوق لديهم يشبه كتاب البخارى عندنا، وراجع كذلك كتاب : « فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب » وهو محشو بالأكاذيب والأباطيل .

ومن أغراض الرافضة التى يقصدونها من وراء ادعاء ارتداد الصحابة العمل على فقدان الثقة فى الأجيال الإسلامية بسلفيهم وحرمانهم الاقتداء بالجيل المثالى الأول الذى تربى فى مدرسة محمد ﷺ ، فيصبحون هملا لا تاريخ عظيم لهم ولا قدوة صالحة يقتدون بها .

وقد حقق الرافضة مآربهم ، فدسوا فى تاريخنا الإسلامى ما يريدونه من تشويه تاريخ الصحابة وتضليل الناشئة مئات السنين . . مما رأينا فى هذا الكتاب نماذج من أكاذيبهم وأضاليلهم ، وكيف رد عليها القاضى ابن العربى ، ومحب الدين الخطيب .

ومما يؤسف له أن جميع هذه الردود ، ومثلها الكتاب العظيم : « منهاج السنة » لشيخ الإسلام ابن تيمية بقيت حبرًا على ورق ولم تدخل مدارسنا ولم توضع بين أيدى المؤلفين والأساتذة والطلبة الذين مازالوا فى فتنة عمياء وفى ضلال مبين ، وقد حدثت كثيراً من هؤلاء المؤلفين والأساتذة عن كذب كثير مما يدرسونه فكانوا يعتذرون بأنهم إنما استقوا معلوماتهم من تاريخ الطبرى . وقد جهلوا أن فى هذا المصدر قد اختلط الصواب والخطأ والصحيح والمكذوب بما لا يستطيع التمييز بينهما إلا ا.رخ =

التكفير بالذنوب (٣٣٢) . وكذلك تقول هذه الطائفة التى تسمى بالإمامية : إن كل عاص بكبيرة كافر (٣٣٣) ، على رسم القدرية (٣٣٤)، ولا أعصى من الخلفاء المذكورين (٣٣٥) ومن ساعدهم على أمرهم ، وأصحاب محمد ﷺ أحرص الناس على دنيا (٣٣٦) ، وأقلهم . . . .

= العارف بتاريخ الرجال ومعرفة الثقة من الكاذب من الرواة وكل ذلك تكفلت ببيانه كتب الرجال أمثال ميزان الاعتدال ولسان الميزان وتهذيب التهذيب وغيرها.

ومن مكائد الرافضة التى تخفى على الكثيرين أنهم يلجؤون إلى الكتب التى تفضح مؤامراتهم ، فيجمعونها من الأسواق ويحضون أتباعهم على حرقها ، فقد ذكر لى ثقة أن أحد الدجالين من المتطببين يصف لمرضاه وجوب إحراق « منهاج السنة » أو «العواصم من القواصم » والتبخر على نارهما طلبًا للشفاء ، فيسارع المريض المغفل بشراء كتاب من هذين الكتابين ، ولو بأغلى الأسعار ، وحرقه كما وصف له المتطببون من الرافضة.

كل هذا يدعوننا إلى المسارعة لتصحيح تاريخنا وتنظيفه من التحريف والتضليل، وهذا ما قصدناه من نشر هذا الكتاب بعد مراجعته ، وعرضناه فى الأسواق بسعر رخيص ليسهل على الجميع اقتناؤه [م] .

(٣٣٢) ومن مذهبهم أن عليًا وأحد عشر من آل معصومين عن الخطأ ، وأنهم مصدر تشريع . ويقبلون التشريع الذى ينسبه إليهم رواة يشترط فيهم التشيع والموالاة ، وإن عرفهم الناس بما ينافى الصدق أو يناقض ما هو معلوم من الدين بالضرورة [خ] .

(٣٣٣) ومدلول الكبيرة عندهم غير مدلولها عند المسلمين . [خ] .

(٣٣٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢/ ٢٤): كان قدماء الشيعة متفقين على إثبات القدر والصفات . وإنما شاع فيهم [illegible] من حين اتصلوا بالمعتزلة فى دولة بنى بويه [خ] .

(٣٣٥) وهم أبو بكر وعمر وعثمان . [خ] .

(٣٣٦) قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى ردًا على قول ابن المطهر الرافضى : « فبعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق ، وبايعه أكثر الناس طلبًا للدنيا » .

وهذا إشارة إلى أبى بكر ، فإنه هو الذى بايعه أكثر الناس ، ومن المعلوم أن =

[حماية] [٣٣٧] على دين ، وأهدمهم لقاعدة وشريعة [٣٣٨] .

* * *

= أبا بكر لم يطلب الأمر لنفسه لا بحق ولا بغير حق ، بل قال : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين : إما عمر بن الخطاب ، وأما أبا عبيدة . فقال عمر : فوالله لأن أقدم فتضرب عنقى ، لا يقربنى ذلك إلى إثم ، أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر . وهذا اللفظ فى الصحيحين .

وقد روى عنه أيضًا أنه قال : « أقيلونى أقيلونى » فالمسلمون اختاروه وبايعوه لعلمهم بأنه خيرهم . . والمسلمون اختاروه كما قال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح لعائشة : « ادعى لى أباك . . . الحديث » وقد ذكرناه كاملا فى موضع آخر .

ثم قال ابن تيمية : . . هب إنه طلبها وبايعه أكثر الناس ، فقولكم : إن ذلك طلب لدنيا كذب ظاهر . فإن أبا بكر رضي الله عنه لم يعطهم دنيا .

والذين بايعوه أزهد الناس فى الدنيا ، وهم الذين أثنى الله تعالى عليهم .

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد أنفق ماله فى حياة الرسول ﷺ ، فلم يأخذ بدله ، وأوصى بأن يرد إلى بيت المال جرد قطيفة ، وبكر وأمة سوداء ونحو ذلك (منهاج السنة باختصار ٢/ ٢٥ ـ ٤١) .

(٣٣٧) وفى نسخة الشيخ محب الدين الخطيب [حمية !] [س] .

(٣٣٨) ومع ذلك يوجد فيمن ينتمى إلى الأزهر ، وإلى السنة ، من يوالى دار التقريب بين المذاهب التى تأسست فى القاهرة بعد الحرب العالمية الثانية ، ويتسلى بصرف بعض عمره فى الاختلاف إليها وتبادل التقية مع القائمين عليها [خ] .

عاصمة

قال القاضى أبو بكر ﷺ : يكفيك من شر سماعه ، فكيف التململ به . خمسمائة عام عدًا إلى يوم مقالى هذا - لا ينقص منها يوما ولا يزيد يوما - وهو مهل شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وماذا يرجى بعد التمام إلا النقص ؟

ما رضيت النصارى واليهود فى أصحاب موسى وعيسى ما رضيت الروافض فى أصحاب محمد ﷺ حين حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل (٣٣٩) . فما يرجى من هؤلاء ، وما يستبقى منهم ؟ وقد قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور : ٥٥] ، وهذا قول صدق ، ووعد حق . وقد انقرض عصرهم ولا خليفة فيهم ولا تمكين ، ولا أمن ولا سكون، إلا فى ظلم وتعدٍّ وغصب وهرج وتشتيت وإثارة ثائرة .

وقد أجمعت (٣٤١) الأمة على أن النبى ﷺ ما نص على أحد يكون من

---

(٣٣٩) أخرج الحافظ ابن عساكر (٤/ ١٦٥) أن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب قال لرجل من الرافضة : « والله لئن أمكننا الله منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم، ثم لا نقبل منكم توبة » . فقال له رجل : لم لا تقبل منهم توبة ؟ قال : « نحن أعلم بهؤلاء منكم . إن هؤلاء إن شاؤوا صدقوكم ، وإن شاؤوا كذبوبكم وزعموا أن ذلك يستقيم لهم فى (التقية) . ويلك ! إن التقية هى باب رخصة للمسلم ، إذا اضطر إليها وخاف من ذى سلطان أعطاه غير ما فى نفسه يدرأ عن ذمة الله، وليست باب فضل ، إنما الفضل فى القيام بأمر الله وقول الحق . وايم الله ما بلغ من التقية أن يجعل بها لعبد من عباد الله أن يضل عباد الله » [خ] .

(٣٤١) ليس هناك إجماع . قال شارح العقيدة الطحاوية :

ثم اختلف أهل السنة فى خلافة أبى بكر الصديق ﷺ هل كانت بالنص ، أو بالاختيار ؟ فذهب الحسن البصرى وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص=

. . . .

= الخفى والإشارة ، ومنهم من قال بالنص الجلى . وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار .

والدليل على إثباتها بالنص أخبار : من ذلك ما رواه أبو داود عن جابر رضي الله عنه ، أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ ، ونيط عمر بأبى بكر ، ونيط عثمان بعمر » قال جابر : فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ ، قلنا : أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ ،وأما المنوط بعضهم ببعض ، فهم ولاة هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه » وهو حديث صحيح كما قال محقق الطحاوية ص ٤٧٣ .

وقال النبى ﷺ : « **اقتدوا باللذين من بعدى** : أبى بكر وعمر » وسنده صحيح كما قال محقق الطحاوية، وأحاديث تقديمه فى الصلاة مشهورة معروفة، وهو يقول : «مروا أبا بكر يصلى بالناس » رواه البخاري ومسلم .

(ونصرف النظر عن ذكر بقية النصوص ، فقد أثبتها القاضى ابن العربي رحمه الله فيما يأتى) .

واحتج من قال : لم يستخلف بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما ، أنه قال : « إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ، يعنى أبا بكر ، وأن لا أستخلف ، فلم يستخلف من هو خير منى ، يعنى رسول الله ﷺ ، قال عبد الله ، فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف . وما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلف . والظاهر ـ والله أعلم ـ أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب ، ولو كتب عهدًا لكتبه لأبى بكر ، بل قد أراد كتابته ثم تركه، وقال : « يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر» (رواه مسلم) ، فكان هذا أبلغ من مجرد العهد . . ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه ، فترك الكتابة اكتفاء بذلك .

ولم يقل أحد من الصحابة قط أن النبى ﷺ نص على غير أبى بكر ، لا علىٍّ، ولا العباس ، ولا غيرهما ، كما قال أهل البدع .

وروى ابن بطة بإسناده : أن عمر بن عبد العزيز بعث محمد بن الزبير الحنظلى=

بعده(٣٤٢) . وقد قال العباس لعلى - فيما روى عنه عبد الله ابنه - قال عبد الله بن عباس : خرج علي بن أبى طالب ﷺ من عند رسول الله في وجعه الذى توفى فيه ، فقال الناس : يا أبا الحسن ، كيف أصبح رسول الله ﷺ قال : أصبح بحمد الله بارئا . فأخذ بيده العباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا . وإنى [والله] لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا ، إنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت . اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن يكون هذا الأمر بعده ، فإن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا . فقال على (٣٤٣) : إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا

= إلى الحسن ، فقال : هل كان النبى ﷺ استخلف أبا بكر ؟ فقال : أو فخانك صاحبك ؟ نعم ، والله الذى لا إله إلا هو استخلفه ! لو كان أنقى لله أن يتوثب عليها . (باختصار ص ٤٧١ - ٤٧٥) [م] .

(٣٤٢) نقل الحافظ ابن عساكر (٤/١٦٦) عن الحافظ البيهقى حديث فضيل بن مرزوق أن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب سئل فقيل له : ألم يقل رسول الله ﷺ : « من كنت مولاه فعلي مولاه » (١) ؟ فقال : « بلى ، ولكن والله لم يعن رسول الله ﷺ بذلك الإمارة والسلطان . ولو أراد ذلك لأفصح لهم به ، فإن رسول الله ﷺ كان أنصح للمسلمين . ولو كان الأمر كما قيل لقال : يا أيها الناس هذا ولى أمركم والقائم عليكم من بعدى ، فاسمعوا له وأطيعوا . والله لئن كان الله ورسوله اختارا عليًا لهذا الأمر وجعله القائم للمسلمين من بعده ثم ترك علىٌ أمر الله ورسوله ، لكان علىٌ أول من ترك أمر الله ورسوله » . ورواه البيهقى من طرق متعددة فى بعضها زيادة وفى بعضها نقصان والمعنى واحد [خ] .

(٣٤٣) سبق الكلام فى بحث مضى على بيعة على لأبى بكر ﷺ .

ونقل فيما يلى كلامًا لطيفًا للإمام المازرى نقله الحافظ فى « الفتح » ٧/٣٧٨ بمناسبة الرواية التى تقول بتأخر على عن مبايعة أبى بكر : =

---

(١) رواه أحمد (١/٨٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢)، والترمذى (٣٧١٣)، وابن حبان (٢٢٠٢) والطبرانى فى الكبير (٣/١٩٩ ، ٤/٢٠٧)، وانظر الصحيحة (١٧٥٠) . (ع).

يعطيناها الناس بعده ،وإنى والله لا أسألها رسول الله ﷺ (٣٤٤) .

قال القاضى أبو بكر ﷺ : رأى العباس عندى أصح ، وأقرب إلى الآخرة ، والتصريح [بالتحقيق] . وهذا يبطل قول مدَّعى الإشارة باستخلاف علىٍّ ، فكيف أن يدعى فيه نص ؟!

فأما أبو بكر ، فقد جاءت امرأة [إلى] النبى ﷺ فأمرها أن ترجع إليه . قالت له : فإن لم أجدك ـ كأنها تعنى الموت ـ قال : تجدين أبا بكر (٣٤٥) .

وقال النبى ﷺ لعمر وقد وقع بينه (أى بين عمر) وبين أبى بكر كلام، [فتمعر] وجه النبى ﷺ (٣٤٦) ، حتى أشفق من ذلك أبو بكر ، وقال النبى ﷺ « هل أنتم تاركو لى صاحبى (مرتين) . إنى بعثت إليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت . ألا إنى أبرأ إلى كل خليل من خلته » (٣٤٧) .

= « لعلى فى تخلفه مع ما اعتذر هو به ـ أى لأبى بكر ـ أنه يكفى فى بيعة الإمام أن يقع من أهل الحل والعقد ، ولا يجب الاستيعاب . ولا يلزم كل واحد أن يحضر عنده ، ويضع يده فى يده ، بل يكفى التزام طاعته والانقياد له بأن لا يخالفه. ولا يشق العصا عليه . وهذا كان حال علىٍّ لم يقع منه إلا التأخر عن الحضور عند أبى بكر [م] .

(٣٤٤) رواه البخارى فى كتاب المغازى من صحيحه (ك ٦٤ ب ٨٣ ج ٥ص ١٤٠ ، ١٤١). ونقله ابن كثير فى البداية والنهاية (٥/ ٢٢٧ ، ٢٥١) من حديث الزهرى عن عبد الله ابن مالك عن ابن عباس . ورواه الإمام أحمد فى مسنده (١/ ٢٦٣ ، ٣٢٥ رقم ٢٣٧٤ ، ٢٩٩٩) .

(٣٤٥) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٥ ج ٤ ص ١٩١) من حديث جبير بن مطعم قال : أتت امرأة النبى ﷺ فأمرها أن ترجع إليه . قالت : أرأيت إن جئت ولم أجدك ـ كأنها تقول الموت ـ قال ﷺ: « إن لم تجدينى فأتى أبا بكر» [خ] .

(٣٤٦) تمعر وجهه : تغير ، وذهب ما كان فيه من النضارة ، وإشراق اللون . [خ] .

(٣٤٧) فى كتاب مناقب الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ب ٥ ج ٤ص ١٩٢) عن أبى=

وقال النبى ﷺ : « لو كنت متخذًا فى الإسلام خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا . ولكن أخى ، وصاحبى » (٣٤٨) .

وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا . لا يبقين فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر(٣٤٩) .

وقد قال النبى ﷺ : « بينما أنا نائم رأيتنى على قليب (٣٥٠) عليها دلو ، فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع منها ذنوبًا أو ذنوبين »(٣٥١) وفى نزعه ضعف والله يغفر له ، ثم استحالت غربا (٣٥٢) ، فأخذها ابن الخطاب ، فلم آر عبقريًا من الناس ينزع نزع عمر ، حتى ضرب الناس بعطن »(٣٥٣) .

وقد ثبت أن النبى ﷺ صعد أحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان ﷺ ، فرجف بهم:

= الدرداء مطولا . [خ] .

(٣٤٨) فى الباب المذكور من كتاب مناقب الصحابة فى صحيح البخارى (ج ٤ ص ١٩١) من حديث عكرمة عن ابن عباس . [خ] .

(٣٤٩) فى هذه الجملة اضطراب ونقص . وانظر لهذا المعنى حديث أبى سعيد الخدرى فى ذلك الموضع من صحيح البخارى (ج ٤ ص ١٩٠ ـ ١٩١) ، وحديث ابن عباس فى مسند أحمد (١/ ٢٧٠ رقم ٢٤٣٢) والبداية والنهاية (*) (٥/ ٣٢٩ ، ٢٣٠) .

(٣٥٠) القليب : البئر غير المطوية [خ] .

(٣٥١) الذنوب : الدلو العظيمة إذا ملئت ماء . وابن أبى قحافة هو أبو بكر . [خ] .

(٣٥٢) أى ثم عظمت فصارت كالدلو الواسعة التى تتخذ من جلد الثور لكبرها . [خ] .

(٣٥٣) أى حتى اتخذ الناس حولها مبركا لإبلهم لغزارة مائها ، والحديث فى ذلك الموضع من صحيح البخارى (ج ٤ ص ١٩٣) من حديث سعيد بن المسيب عن أبى هريرة . [خ] .

(*) نظرنا فى البداية والنهاية فإذا نص الحديث : « ... لا يبقى فى المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر وهكذا رواه البخارى وأحمد .. اهـ .باختصار » .

وعند مسلم : « ... لا يبقين فى المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبى بكر » . [م] .

فقال : « اثبت أحد ، فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان » (٣٥٤) .

وقال ﷺ : « لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن فى أمتى منهم أحد فعمر » (٣٥٥) .

وقال النبى ﷺ لعائشة رضي الله عنها فى مرضه : « ادعى لى أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابًا ، فإنى أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول : أنا أولى . ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » (٣٥٦) .

وقال ابن عباس : إن رجلا أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنى أرى الليلة فى المنام ظلة تنطف السمن والعسل ، فأرى الناس يتكففون بأيديهم ، فالمستكثر والمستقل . وأرى سببًا واصلا من السماء إلى الأرض فأراك أخذت به فعلوت ، (ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به) ، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ، ثم وصل إليه فعلا (وذكر الحديث) . ثم عبرها أبو بكر فقال : وأما السبب الواصل من السماء إلي الأرض فالحق الذى أنت عليه ، فأخذته فيعليك الله . ثم يأخذ به رجل آخر بعدك فيعلو به ، ثم يأخذ رجل آخر فيعلو به ، ثم يأخذه رجل آخر فينقطع به ثم يوصل [له] فيعلو به » (٣٥٧) .

---

(٣٥٤) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح مسلم (ك ٦٢ ب ٥ ج ٤ ص ١٩٧) من حديث قتادة عن أنس بن مالك [خ] .

(٣٥٥) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٦ ج ٤ ص ٢٠٠) من حديث أبى سلمة عن أبى هريرة [خ] .

(٣٥٦) فى مسند أحمد (٦ / ١٤٤ الطبعة الأولى) من حديث الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة ، وانظر المسند أيضًا (٦ / ٤٧ ، ١٠٦) وطبقات ابن سعد ٣ (١/ ١٢٧) ومسند (*) أبى داود الطيالسى : الحديث ١٥٠٨ . [خ] .

(٣٥٧) فى كتاب التعبير من صحيح البخارى (ك ٩١ ب ٤٧ ج ٨ ص ٨٣ ، ٨٤) من حديث عبد الله بن عباس ، وفى كتاب الرؤيا من صحيح مسلم (ك ٤٧ ح ١٧ ج٧=

(*) وروى هذا الحديث الإمام مسلم أيضًا .

وصح أن النبى ﷺ قال ذات يوم : « من رأى منكم رؤيا » ؟ فقال رجل : أنا رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء ، فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت . ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر . ووزن عمر وعثمان فرجح عمر . ثم رفع الميزان . فرأينا الكراهية فى وجه رسول الله ﷺ (٣٥٨) ، (٣٥٩) .

وهذه الأحاديث جبال فى البيان ،[وحبال] في التسبب إلى الحق لمن وفقه الله. ولو لم يكن معكم ـ أيها السنية ـ إلا قوله تعالى : ﴿ إلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ (٣٦٠)[التوبة : ٤٠] فجعلها (٣٦١) فى نصيف وجعل أبا بكر فى نصيف آخر وقام معه جميع الصحابة.

وإذا تبصرتم هذه الحقائق فليس يخفى منها حال الخلفاء فى خلالهم وولايتهم وترتيبهم خصوصًا وعمومًا . وقد قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى

= ص ٥٥ ، ٥٦) من حديث ابن عباس ، وفى مسند أحمد (١/ ٢٣٦ الطبعة الأولى رقم ٢١١٣) من حديث ابن عباس . [خ] .

(٣٥٨) فى كتاب السنة من سنن أبى داود (ك ٣٩ ب ٨ ح ٤٦٣٤) من حديث أبى بكرة . وفى كتاب الرؤيا من جامع الترمذى (الباب ١٠) من حديث أبي بكرة أيضًا . وانظر فى مسند أحمد (٥/ ٣٥٩ الطبعة الأولى) حديث أبى أمامة عن رجحان كفة أبى بكر بكفة فيها جميع الأمة . . . إلخ [خ] .

(٣٥٩) قال محقق الطحاوية هذا الحديث صحيح من طريقين ، وفى أحد الطريقين زيادة : «خلافة نبوة ، ثم يؤتى الله الملك من يشاء » فيها على بن زيد ، وهو ابن جدعان، وفيه ضعف . [م] .

(٣٦٠) إنه على الرغم من ثناء الله سبحانه على أبى بكر ﷺ فى هذه الآية ، يؤولها بعض أعداء الإسلام ويحرفون معناها بأسلوب يضحك الثكلى ويترفع عنه حتى المجانين لتكون ذمًا لا مدحًا لأبى بكر ﷺ فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين! [م].

(٣٦١) أى الأمة [خ] .

لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور : ٥٥] . وإذا لم ينفذ هذا الوعد فى الخلفاء فلمن ينفذ ؟ وإذا لم يكن فيهم [ففيمن] يكون؟ والدليل عليه انعقاد الإجماع أنه لم يتقدمهم فى الفضيلة أحد إلى يومنا هذا ، [وما] بعدهم مختلف فيه ، وأولئك مقطوع بهم ، متيقن إمامتهم ، ثابت نفوذ وعد الله لهم . فإنهم ذبوا عن حوزة المسلمين ، وقاموا بسياسة الدين .

قال علماؤنا : ومن بعدهم تبع لهم من الأئمة الذين هم أركان الملة ، ودعائم الشريعة ، الناصحون لعباد الله ، الهادون من استرشد إلى الله . فأما من كان من الولاة الظلمة فضرره مقصور على الدنيا وأحكامها .

وأما حفاظ الدين فهم الأئمة العلماء الناصحون لدين الله ، وهم أربعة أصناف :

الصنف الأول : حفظوا أخبار رسول الله ﷺ ، وهم بمنزلة الخزان لأقوات المعاش .

الصنف الثانى : علماء الأصول : ذبوا عن دين الله أهل العناد وأصحاب البدع، فهم شجعان الإسلام ، وأبطاله المداعسون عنه فى مآزق الضلال (٣٦٢) .

الصنف الثالث : قوم ضبطوا أصول العبادات ، وقانون المعاملات ، وميزوا المحللات من المحرمات ، وأحكموا [الجراح] والديات ، وبينوا معانى الإيمان والمنذورات ، وفصلوا الأحكام فى الدعاوى . فهم ـ فى الدين ـ بمنزلة الوكلاء المتصرفين فى الأموال .

الصنف الرابع : تجردوا للخدمة ، ودأبوا علي العبادة ، واعتزلوا الخلق . وهم ـ فى الآخرة ـ كخواص الملك فى الدنيا .

وقد أوضحنا فى كتاب (سراج المريدين) فى القسم الرابع من علوم القرآن أى المنازل أفضل من هؤلاء الأصناف، وترتيب درجاتهم .

قال القاضى أبو بكر رضي الله عنه : وهذه كلها إشارات أو تصريحات أو دلالات أو

(٣٦٢)المداعسة : المطاعنة ، والمدافعة [خ] .

تنبيهات . ومجموع ذلك يدل على صحة ما جرى ، وتحقيق ما كان من العقلاء .

ونقول ـ بعد هذا البيان ـ على مقام آخر : لو كان هنالك نص على أبي بكر (٣٦٣) أو على عليٍّ ، لم يكن بد من احتجاج عليٍّ به ، أو يحتج له به غيره من المهاجرين والأنصار . فأما حديث غدير خم فلا حجة فيه ، لأنه إنما (٣٦٥) استخلفه في حياته على المدينة كما استخلف موسى هارون في حياته ـ عند سفره للمناجاة ـ على بني إسرائيل . وقد اتفق الكل من إخوانهم اليهود [قاطبة] على أن موسى مات بعد هارون ، فأين الخلافة ؟

وأما قوله : « اللهم وال من والاه » (٣٦٦) فكلام صحيح ، ودعوة مجابة . وما يعلم أحد عاداه إلا الرافضة ، فإنهم أنزلوه في غير منزلته ، ونسبوا إليه ما لا يليق بدرجته . والزيادة في الحد نقصان من المحدود . ولو تعدى عليه أبو بكر ما كان المتعدي وحده ، بل جميع الصحابة ـ كما قلنا ـ لأنهم ساعدوه على الباطل .

ولا تستغربوا هذا من قولهم، فإنهم يقولون : إن النبي ﷺ كان مداريًا لهم ،

---

(٣٦٣) قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية تعليقًا على الحديث السابق وقد صححه « ادعى لي أباك وأخاك أكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه الناس من بعدي . . . » فأبى الله وعباده المؤمنون أن يتولى غير أبي بكر ، فالله هو ولاه قدرًا وشرعًا ، وأمر المؤمنين بولايته ، وهداهم إلى أن ولوه من غير أن يكون طلب ذلك لنفسه (الفتاوى) .

وبمثل هذا الكلام تقريبًا قال الإمام ابن حزم .

(٣٦٥) لعل في هذه العبارة نقصا . فإن حديث غدير خم غير حديث استخلاف الرسول ﷺ لعلي رضي الله عنه لما ذهب إلى تبوك .

(٣٦٦) سند صحيح ونرى تفصيل ذلك في موضع آخر . قال ابن قتيبة في « تأويل مختلف الحديث » : « يريد الرسول أن الولاية بينه وبين المؤمنين ، ألطف من الولاية بين المؤمنين بعضهم مع بعض ، فجعلها لعلي . . . » وقد جاءت آيات وأحاديث تفيد بأن الله ورسوله ولي الذين آمنوا . [م] .

[وممتحنًا] (٣٦٧) بهم على نفاق وتقية . وأين أنت من قول النبى ﷺ حين سمع قول عائشة ﵂ : مروا عمر فليصل بالناس : « إنكن لأنتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس » وما قدمنا من تلك الأحاديث (٣٦٩) .

لقد اقتحموا عظيما ، ولقد افتروا كبيرًا . وما جعلها عمر شوري إلا اقتداء بالنبى ﷺ وبأبى بكر ، إذ قال : « إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ، وإن لم أستخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف » (٣٧٠) . فما رد هذه الكلمات أحد . وقال : « أجعلها شورى فى النفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض» (٣٧١) . وقد رضي الله عن أكثر منهم ، ولكنهم كانوا خيار الرضا ، وشهد لهم بالأهلية للخلافة .

وأما قولهم تحيل ابن عوف حتى ردها لعثمان ، فلئن كانت حيلة ولم يكن سواها فلأن الحول ليس إليه (٣٧٢) . وإذا كان عمل العباد حيلة أو كان القضاء بالحول فالحول

---

(٣٦٧) صحيح البخارى (ك ١٠ ب ٣٩ و ٤٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ج ١ ص ١٦١ - ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٧٦) من حديث عائشة وأبى موسى الأشعرى [خ] .

(٣٦٩) فى كتاب الإمارة من صحيح مسلم (ك ٣٣ ح ١١ و ١٢ ج ٦ ص ٤ - ٥) من حديث عروة بن الزبير عن ابن عمر ، ومن حديث سالم عن ابن عمر . وفى مسند أحمد (١/ ٤٢ رقم ٢٩٩) عن عروة عن ابن عمر ، و (١/ ٤٦ رقم ٣٢٢) عن حميد بن عبد الرحمن عن ابن عباس ، و (١/ ٤٧ رقم ٣٣٢) عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر . [خ] .

(٣٧٠) من حديث عمرو بن ميمون المطول فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٨ ج ٤ ص ٢٠٤ - ٢٠٧) .

(٣٧١) بل إلى الله . وأن الله هو الموفق لابن عوف وسائر إخوانه الصحابة حتى كانوا فى ذلك الموقف على ما أراده الله لهم من صفاء النية وإخلاص القصد والعمل لله وحده، فكان اختيار خليفة عمر فى حادث الشوري مثلا أعلى للنفس الإنسانية عندما تكون فى أعلى مراتب النبل ، والتجرد عن جميع خواطر الهوى .

(٣٧٢) سقطت .

والقوة لله . وقد علم كل أحد أنه لا يليها إلا واحد ، فاستبد عبد الرحمن بن عوف بالأمر ـ بعد أن أخرج نفسه ـ على أن يجتهد للمسلمين فى الأسد والأشد، فكان كما فعل ، وولاها من استحقها ، ولم يكن غيره أولى منه بها ، حسبما بينا فى « مراتب الخلافة » من (أنوار الفجر) (٣٧٣) ، وفى غيره من (كتب) الحديث.

وقتل عثمان ، فلم يبق على الأرض أحق بها من عليٍّ فجاءته على قدر ، فى وقتها ومحلها وبين الله على يديه من الأحكام والعلوم ما شاء الله أن يبين . وقد قال عمر « لولا عليّ لهلك عمر » (٣٧٤) ، (٣٧٥) وظهر من فقهه وعلمه فى قتال أهل القبلة ـ من استدعائهم ومناظرتهم ، وترك مبادرتهم ، والتقدم إليهم قبل نصب الحرب معهم ، وندائه : لا تبدؤوا بالحرب ، ولا يتبع حول ، ولا يجهز على جريح، ولا تهاج امرأة ، [ولم يغنم] لهم مالا ـ وأمره بقبول شهاداتهم ، والصلاة خلفهم، حتى قال أهل العلم : لولا ما جرى ما عرفنا حكم قتال أهل البغى .

وأما خروج طلحة والزبير فقد تقدم بيانه (٣٧٦) .

وأما تكفيرهم للخلق ، فهم الكفار . وقد بينا أحوال أهل الذنوب [الذين] ليس منهم (عليها شر) فى غير ما كتاب ، وشرحناها في كل باب .

(٣٧٣) هو التفسير الكبير لابن العربى فى ثمانين مجلدا . [خ] .

(٣٧٤) لم نجد هذا الحديث في الكتب المعتمدة التى استطعنا الاطلاع عليها ولعله لا يصح مع اعترافنا بفضل عليٍّ وعلمه [م] .

(٣٧٥) هذا مع قول النبى ﷺ فيه : أول من يصافحه الحق عمر (١) وقوله ﷺ : « إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به (٢) » ، وقوله ﷺ :« لو كان من بعدى نبى لكان عمر » (٣) . [خ] .

(٣٧٦) وأنه كان خروجًا للتفاهم والتعاون على إقامة الحدود الشرعية فى مقتل أمير المؤمنين عثمان . [م] .

(١) رواه الحاكم (٣/ ٨٤)، وابن ماجة (١٠٤)، وانظر (ميزان الاعتدال (٢٦٣١) (ع) .

(٢) رواه أحمد (٥/ ١٦٥ ، ١٧٧) وابو داود (٢٩٦٢)، وابن ماجه (١٠٨)، وابن أبى عاصم (٢/ ٥٨١) (ع) .

(٣) رواه الحاكم (٣/ ٨٥) والترمذى (٣٦٨٦)، والطبرانى (١٧/ ٢٩٨) وانظر الصحيحة (٣٢٧) (ع) .

فإن قيل : فقد قال العباس فى علىٍّ ما رواه الأئمة أن العباس وعليًا اختصما عند عمر فى شأن أوقاف رسول الله ﷺ ، فقال العباس لعمر : يا أمير المؤمنين ، اقض بينى وبين هذا الظالم الكاذب [الغادر] الآثم الخائن (٣٧٧) . فقال الرهط لعمر : يا أمير المؤمنين ، اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر . فقال عمر : أنشدكم الله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » يريد بذلك نفسه ؟ قالوا : قد قال ذلك . فأقبل على العباس وعلىٍّ فقال : أنشدكما الله ، هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال ذلك ؟ قالا: نعم . قال عمر : إن الله خص رسول الله ﷺ فى هذا الفىء لم يعطه أحدًا غيره، فعمل فيها رسول الله ﷺ حياته ، ثم توفى ، فقال أبو بكر : أنا ولى رسول الله ﷺ ، فقبضها سنتين فى إمارته فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ . وأنتما تزعمان أن أبا بكر ، كاذب غادر خائن (٣٧٨) ، والله ليعلم أنه لصادق بار راشد تابع للحق . . . وذكر الحديث .

(٣٧٧) تقدم ذكر هذا التقاضى بين العباس وعلى عند أمير المؤمنين عمر من حديث مالك بن أوس بن الحدثان النصرى فى صحيح البخارى . قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (ك ٥٧ ب ١ ج ٦ ص ١٢٥) : زاد شعيب ويونس : « فاستبَّ على والعباس » وفى رواية عقيل عن ابن شهاب فى الفرائض : « اقض بينى وبين هذا الظالم . استبَّا» وفى رواية جويرية « وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن » . قال الحافظ : ولم أر فى شىء من الطرق أنه صدر من على فى حق العباس شىء ، بخلاف ما يفهم من قوله فى رواية عقيل « استبَّا » . واستصوب المازرى صنيع من حذف هذه الألفاظ من هذا الحديث وقال : لعل بعض الرواة وهم فيها وإن كانت محفوظة ، فأجود ما تحمل عليه أن العباس قالها دلالا على علىٍّ ، لأنه كان عنده بمنزلة الولد ، فأراد ردعه عما يعتقد أنه مخطئ فيه . [خ] .

(٣٧٨) قال الحافظ ابن حجر (٦/١٢٥) : وكان الزهرى يحدث به تارة فيصرح ، وتارة فيكنى ، وكذلك مالك ، وقد حذف ذلك فى رواية بشر بن عمر عنه عند الإسماعيلى وغيره ، وهو نظير ما سبق من قول العباس لعلى . إلخ [خ] .

قلنا : أما قول العباس لعلى فقول الأب للابن ، وذلك على الرأس محمول ، وفى سبيل المغفرة مبذول ، وبين الكبار والصغار - فكيف الآباء والأبناء - مغفور موصول . وأما قول عمر إنهما اعتقدا أن أبا بكر ظالم خائن غادر [وكذلك اعتقدا فيه] ، فإنما ذلك خبر عن الاختلاف فى نازلة وقعت من الأحكام ، رأى فيها هذا رأيًا ورأى فيها أولئك رأيًا، فحكم أبو بكر وعمر بما رأيا ، ولم ير العباس وعلىٌ ذلك.

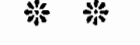
ولكن لما حكما سلما لحكمهما كما يسلم لحكم القاضى فى المختلف فيه . وأما المحكوم عليه فرأى أنه قد وهم ، ولكن سكت وسلم .

فإن قيل : إنما يكون ذلك فى أول الحال - والأمر لم يظهر - إذا كان الحكم باجتهاد ، وإنما كان هذا الحكم على منع فاطمة والعباس الميراث بقول النبى ﷺ « لا نورث ، ما تركناه ، صدقة » وعلمه أزواج النبى ﷺ وأصحابه العشرة وشهدوا به ، فبطل ما قلتموه .

قلنا : يحتمل أن يكون ذلك فى أول الحال - والأمر لم يظهر بعد - فرأيا أن خبر الواحد فى معارضة القرآن والأصول والحكم المشهور فى الزمن لا يعمل به حتى يتقرر الأمر ، فلما تقرر سلما وانقادا ، بدليل ما قدمنا من الحديث الصحيح إلى آخره ، فلينظر فيه .

وهذا أيضا ليس بنص فى المسألة لأن قوله : « لا نورث ،ما تركنا صدقة» يحتمل أن يكون : لا يصح ميراثنا ، ولا أنا أهل له ، لأنه ليس لى ملك ، ولا تلبست بشىء من الدنيا ينتقل إلى غيرى عنى . ويحتمل « لا نورث » حكم ، وقوله « ما تركنا صدقة » حكم آخر معين أخبر به أنه قد أنفذ الصدقة فيما كان بيده من سهمه المتصير إليه بتسويغ الله له ، وكان [من] ذلك مخصوصًا بما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، وكان له سهمه مع المسلمين فيما غنموه بما أخذوه عنوة ويحتمل أن يكون « صدقة » منصوبًا على أن يكون حالا من المتروك . وإلى هذا

أشار أصحاب أبي حنيفة ، وهو ضعيف وقد بيناه في موضعه . بيد أنه يأتيك [من] هذا أن المسألة مجرى الخلاف ، ومحل الاجتهاد (٣٨٠) ، وأنها ليست بنص من النبي ﷺ فتحتمل التصويب والتخطئة من المجتهدين . والله أعلم .



---

(٣٨٠) ولعل فاطمة وعليًا والعباس رضي الله عنهم أخذوا بهذا الاجتهاد ، فهم مأجورون على كل حال. ولا شك أن عليًا إذا كان أخذ به ، فقد رجع عنه مادام لم ينفذه في خلافته . [م].

قاصمة

ثم قتل عليٌّ . قالت الرافضة : فعهد إلى الحسن ، فسلمها الحسن إلى معاوية ، فقيل له « مسوِّد وجوه المؤمنين » (٣٨١) وفسقته جماعة من الرافضة ، وكفرته طائفة لأجل ذلك .

* * *

(٣٨١) من عناصر إيمان الرافضة - بل العنصر الأول فى إيمانهم - اعتقادهم بعصمة الحسن وأبيه وأخيه ، وتسعة من ذرية أخيه . ومن مقتضى عصمتهم - وفى طليعتهم الحسن بعد أبيه - أنهم لا يخطئون ، وأن ما صدر عنهم فهو حق ، والحق لا يتناقض . وأهم ما صدر عن الحسن بن على بيعته لأمير المؤمنين معاوية ، وكان ينبغى لهم أن يدخلوا فى هذه البيعة ، وأن يؤمنوا بأنها الحق لأنها من عمل المعصوم عندهم . لكن المشاهد من حالهم أنهم كافرون بها . ومخالفون فيها لإمامهم المعصوم . ولا يخلو هذا من أحد وجهين : فإما أنهم كاذبون فى دعوى العصمة لأئمتهم الاثنى عشر ، فينهار دينهم من أساسه ، لأن عقيدة العصمة لهم هى أساسه ، ولا أساس له غيرها . وإما أن يكونوا معتقدين عصمة الحسن ، وأن بيعته لمعاوية هى من عمل المعصوم ، لكنهم خارجون على الدين ، مخالفون للمعصوم فيما جنح إليه وأراد أن يلقى الله به ، ويتواصون بهذا الخروج علي الدين جيلا بعد جيل ، وطبقة بعد طبقة ، ليكون ثباتهم علي مخالفة الإمام المعصوم عن إصرار وعناد ومكابرة وكفر . ولا ندرى أى الوجهين يطوِّح بهم فى مهاوى الهلكة أكثر مما يطوح بهم الوجه الآخر ، ولا ثالث لهما . فالذين قالوا منهم أن الحسن « مسود وجوه المؤمنين » لا يحمل كلامهم إلا على أنه « مسود وجوه المؤمنين بالطاغوت » أما المؤمنون بنبوة جدِّ الحسن ﷺ فيرون صلحه مع معاوية وبيعته له من أعلام النبوة ، لأنها حققت ما تنبأ به ﷺ فى سبطه سيد شباب أهل الجنة من أنه سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين كما سيأتى بيانه . وكل الذين استبشروا بهذه النبوءة وبهذا الصلح يعدون الحسن « مبيض وجوه المؤمنين» [خ] .

عاصمة

قال القاضى أبو بكر ﷺ :أما قول الرافضة أنه عهد إلى الحسن فباطل. ما عهد إلى أحد(٣٨٢) . ولكن البيعة للحسن منعقدة،وهو أحق من معاوية ومن كثير [من] غيره. وكان خروجه لمثل ما خرج إليه أبوه من دعاء الفئة الباغية إلى الانقياد للحق والدخول فى الطاعة. فآلت الوساطة إلى أن تخلى عن الأمر صيانة لحقن دماء الأمة(٣٨٣)

---

(٣٨٢) روى الإمام أحمد فى مسنده (١/ ١٣٠ برقم ١٠٧٨) عن وكيع عن الأعمش عن سالم ابن أبى الجعد عن عبد الله بن سبع قال : سمعت علياً يقول (وذكر أنه سيقتل) قالوا: فاستخلف علينا . قال : لا ، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ ». قالوا : فما تقول لربك إذا أتيته؟ قال : أقول : اللهم تركتنى فيهم ما بدا لك، ثم قبضتنى إليك وأنت فيهم ، فإن شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم » . وروى أحمد مثله (١٥٦/١ برقم ١٣٣٩) عن أسود بن عامر عن الأعمش عن سلمة ابن كهيل عن عبد الله بن سبع . والخبران إسناد كل منهما صحيح . ونقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٥/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) عن الإمام البيهقى من حديث حصين ابن عبد الرحمن عن الإمام الشعبى عن أبى وائل شقيق بن سلمة الأسدى أحد سادة التابعين أنه قيل لعلى : ألا تستلخف علينا ؟ قال : « ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف ، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدى على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم » . وهذا الحديث جيد الإسناد . ونقل ابن كثير أيضاً (٣٢٣/٧) عن الإمام البيهقى حديث حبيب بن أبى ثابت الكاهلى الكوفى عن ثعلبة ابن يزيد الحمانى (وهو من شيعة الكوفة وثقه النسائى) أنه قيل لعلى : ألا تستخلف؟ فقال : « لا ، ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ « . وانظر السنن الكبرى للبيهقى ٨ / ١٤٩. [خ] .

(٣٨٣) وتمام الحديث : أنا محمد ، وأحمد والمقفى ، والحاشر ، ونبى التوبة ، ونبي الرحمة، ونبى الملحمة . رواه الطيالسى وأحمد فى المسند وغيرهما وسنده صحيح كما قال محقق الجامع الصغير وزيادته [م] .

وتصديقًا [لوعد] نبى الملحمة (٣٨٤) حيث قال على المنبر : « ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » (٣٨٥) . فنفذ الميعاد ، وصحت البيعة لمعاوية وذلك لتحقيق رجاء النبى ﷺ . فمعاوية خليفة ، وليس بملك .

فإن قيل : فقد روى عن سفينة أن النبى ﷺ قال : « الخلافة ثلاثون سنة ، ثم تعود ملكا » فإذا عددنا من ولاية أبى بكر إلى تسليم الحسن كانت ثلاثين سنة لا تزيد ولا تنقص يومًا . قلنا :

خذ ما تراه ودع شيئًا سمعت به   فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

---

(٣٨٤) حكاية الوساطة بين الحسن ومعاوية وصلحهما رواها الإمام البخارى فى كتاب الصلح من صحيحه (ك ٥٣ ب ٩ ج ٣ ص ١٦٩) عن الإمام الحسن البصرى قال : استقبل ـ والله ـ الحسن بن علىٍّ معاوية بكتائب أمثال الجبال . فقال عمرو بن العاص : إنى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها فقال له معاوية ـ وكان والله خير الرجلين ـ : أى عمرو ، أن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلا هؤلاء من لى بأمور الناس ، من لى بنسائهم، ومن لى بضيعتهم ؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس ـ عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز ـ فقال : اذهبا إلى هذا الرجل (أى إلى الحسن بن على) فاعرضا عليه (أى ما يشاء) ، وقولا له (أى ما يرضيه) ، واطلبا إليه (أى ما تريان فيه المصلحة فأنتما مفوضان) . فأتياه ، فدخلا عليه ، فتكلما ، وقالا له، وطلبا إليه . فقال لهما الحسن بن على : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وإن هذه الأمة قد عاثت فى دمائهم (أى فيحتاج إرضاؤها فى دمائها إلى مال كثير) قالا : فإنه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب إليك ، ويسألك. قال : فمن لى بهذا ؟ قالا : نحن لك به فما سألهما شيئًا إلا قالا : نحن لك به فصالحه . [خ] .

(٣٨٥) رواه البخارى مع الحديث السابق عن الحسن البصرى أنه سمعه من أبى بكرة وأن أبا بكرة رأى النبى ﷺ وهو على المنبر والحسن بن على إلى جنبه فقال ذلك . ورواه البخارى أيضًا فى مناقب الحسن والحسين من كتاب فضائل الصحابة من صحيحه =

هذا الحديث (٣٨٧) فى ذكر الحسن بالبشارة والثناء عليه ، لجريان الصلح [على] يديه ، وتسليم الأمر لمعاوية ، عقد منه له (٣٨٨) .

وهذا (٣٨٩) حديث لا يصح (٣٩٠) . ولو صح فهو معارض بهذا الصلح المتفق

=(ك ٦٢ ب ٢٢ ج ٤ ص ٢١٦) وانظر البداية والنهاية (٨/ ١٧ _ ١٩) وابن عساكر (٤/ ٢١١ _ ٢١٢) [خ] .

(٣٨٧) أى حديث « إن ابنى هذا سيد » الذى رواه البخارى عن الحسن البصرى عن أبى بكرة. [خ] .

(٣٨٨) أى عقد بيعة من الحسن لمعاوية ، وكان ذلك فى موضع يقال له « مسكن » على نهر دجيل فى ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، فسمى ذلك العام « عام الجماعة » لاجتماع المسلمين بعد الفرقة ، وتفرغهم للحروب الخارجية والفتوح ونشر دعوة الإسلام بعد أن عطل قتلة عثمان سيوف المسلمين عن هذه المهمة نحو خمس سنوات كان يستطيع المسلمون أن يسجلوا فيها أمجاداً لا يستطيع غيرهم مثلها فى خمسة قرون. ولله فى كل شىء حكمة . [خ] .

(٣٨٩) أى حديث سفينة . [خ] .

(٣٩٠) لأن راويه عن سفينة سعيد بن جهمان ، وقد اختلفوا فيه : قال بعضهم لا بأس به ، ووثقه بعضهم ، وقال فيه الإمام أبو حاتم « شيخ لا يحتج به » . وفى سنده حشرج ابن نباتة الواسطي وثقه بعضهم ، وقال فيه النسائى « ليس بالقوى » . وعبد الله بن أحمد بن جنبل يروى هذا الخبر عن سويد الطحان قال فيه الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب : « لين الحديث » وهذا الحديث المهلهل يعارضه ذلك الحديث الصحيح الصريح الفصيح فى كتاب الإمارة من صحيح مسلم (ك ٣٣ح ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ج ٦ ص ٣ ، ٤) عن جابر بن سمرة قال : دخلت مع أبى على النبى ﷺ فسمعته يقول : « إن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى فيهم إثنا عشر خليفة» قال : ثم تكلم بكلام خفى علىّ ، فقلت أبى : ما قال ؟ قال : « كلهم من قريش » . وانظره فى كتاب الأحكام من صحيح البخارى (ك ٩٣ ب ٥١ ج ٨ ص ١٢٥ _ ١٢٧) وفى فتح البارى (١٣ / ١٦٢ وما بعدها) وفى سنن أبى داود (ك =

. . . .

= ٣٥ ح ١) وفى جامع الترمذى (ك ٣١ ب ٤٦) وفى مسند الإمام أحمد (١/٣٩٨، ٤٠٦ برقم ٣٧٨١ و ٣٨٥٩) من حديث الشعبى عن مسروق بن الأجدع الهمدانى الإمام القدوة قال : كنا جلوسًا عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله ﷺ : ما سألنى أحد منذ قدمت العراق قبلك . ثم قال : نعم ، ولقد سألنا رسول الله ﷺ فقال : « اثنا عشر ، كعدة نقباء بنى إسرائل (*) » . والحديث فى مجمع الزوائد (٥/ ١٩٠) . وفى مسند أحمد (٥ / ٨٦ و ٨٧ بثلاث روايات و٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ بثلاث روايات و ٩٢ بثلاث روايات و٩٣ بروايتين و٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ بروايتين و ٩٧ بروايتين و ٩٨ بثلاث روايات، ٩٩ بثلاث روايات ، ١٠٠ ، ١٠١ بروايتين ، ١٠٦ براويتين ، ١٠٧ بروايتين ، ١٠٨) وفى مسند أبى داود الطيالسى (ح ٩٦٧ ، ١٢٧٨) . [خ] .

وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية فى « قاعدة » .

وهذا الحديث لا يعارض الصلح بين الحسن ومعاوية كما ادعي أبو بكر بن العربى، كما أنه لا يعارض حديث : (أن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى اثنا عشر خليفة) كما ادعى محب الدين الخطيب فقد جاء في رواية أبى داود بلفظ : « خلافة النبوة ثلاثون عامًا » ومعنى هذا أن هناك خلفاء غيرهم على غير النبوة ولا مانع من تسميتهم بالخلفاء ، فقد قال الإمام ابن تيمية : « يجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين خلفاء ، وإن كانوا ملوكًا ، ولم يكونوا خلفاء بدليل ما رواه البخارى ومسلم فى « صحيحيهما » عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبى خلفه نبى ، وأنه لا نبي بعدى . وستكون خلفاء ، فتكثر ، قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : فوا ببيعة الأول ، فالأول ، وأعطوهم=

(*) أن حديث « الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون بعد ذلك ملكًا » صححه الحافظ فى التقريب ، وحسنه الترمذى ، وابن حبان وغيرهم .

وقلت : هو صحيح رواه أحمد (٢١٨١٦، ٢١٨٢٠ ، ١٨٢٥)، والترمذى (٢٢٢٦)، والطبرانى فى الكبير (٦٤٤٢)، وابن حبان (٢٥٣٤)، والبيهقى فى الدلائل (٦/ ٣٤٢)، وأبو داود (٤٦٣٥)، وانظر الصحيحة (٤٥٩)، وصحيح الجامع (٣٣٤١)، وصححه الترمذى (٣/ ١٨)، والنهاية لابن كثير محققى ص ١١ (ع) .

عليه ، فوجب الرجوع إليه [٣٩١] .

فإن قيل : ألم يكن فى الصحابة أقعد بالأمر من معاوية ؟

قلنا : كثير [٣٩٢] . ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال : وهى أن عمر جمع له الشامات كلها وأفرده بها [٣٩٣] .

= حقهم ، فإن الله سائلهم عما استرعاهم » .

وكلمة « تكثر » تفيد الكثرة ، ولا يمكن حصرها بالخلفاء الراشدين الأربعة . [م] .

(٣٩١) أى إلى العقد من الحسن لمعاوية ، فهو متفق عليه ، وتناولته البشرى النبوية بالثناء والرضا . قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢/ ٢٤٢) : وهذا الحديث يبين أن الإصلاح بين الطائفتين كان ممدوحا يحبه الله ورسوله ، وأن ما فعله الحسن من ذلك كان من أعظم فضائله ومناقبه التى أثنى بها عليه النبى ﷺ . ولو كان القتال واجبًا أو مستحبًا لم يثن النبى ﷺ بترك واجب أو مستحب . . إلخ [خ] .

(٣٩٢) كسعد بن أبى وقاص المجاهد الفاتح أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وعبد الله بن عمر ابن الخطاب عالم الصحابة الثابت على قدم المصطفى ﷺ في جليل الأمور ودقيقها ، وغيرهما من هذه الطبقة وقريب منها ، وهؤلاء هم الذين ترك لهما الحكمان ـ أبو موسى وعمرو ـ أمر الإمامة بعد حرب صفين ليروا فيها رأيهم ، فلما رأوا اجتماع الأمة كلها علي معاوية دخلوا كلهم فى إمامته وبايعوه ، بعد أن كانوا معتزلين الفتنة من بعد عثمان (انظر فتح البارى ١٣/ ٥٠) . ومعاوية نفسه يعرف للناس أقدارهم . فقد جاء في البداية والنهاية (٨/ ١٣٤) عن ابن دريد عن أبى حاتم عن العتبى أن معاوية خطب فقال : « أيها الناس ، ما أنا بخيركم ، وإن منكم لمن هو خير منى : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو وغيرهما من الأفاضل . ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية ، وأنكاكم فى عدوكم وأدركم حلبًا » ورواه ابن سعد عن محمد بن مصعب عن أبى بكر بن أبى مريم عن ثابت مولى معاوية أنه سمع معاوية يقول ذلك. [خ] .

(٣٩٣) فاصبحت تحت قيادته وبحسن سياسته أقوى قوة في الإسلام ،وهى فى طليعة جيوش=

لما رأى من حسن سيرته (٣٩٤) ، وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور (٣٩٥) ، وإصلاح الجند والظهور على العدو (٣٩٦) . . . .

= الجهاد والفتوح الظافرة الداعية إلى الله بأخلاقها وسيرتها وحكمة قادتها وصدق إسلامهم . [خ] .

(٣٩٤) تقدم حديث الليث بن سعد إمام أهل مصر بسنده الوثيق إلى سعد بن أبى وقاص فاتح العراق وإيران ومبيد دولة كسرى أنه ما رأى بعد عثمان أقضى بالحق من معاوية . وحديث عبد الرزاق الصنعانى بسنده إلى حبر الأمة ابن عباس أنه ما رأى رجلا أخلق بالملك من معاوية . وفى قول شيخ الإسلام ابن تيمية : كانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة ، وكان رعيته يحبونه ، وقد ثبت فى صحيح مسلم (ك ٣٣ ح ٦٥ ، ٦٦) قول النبى ﷺ « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويصلون عليكم وتصلون عليهم » . وفى الطبرى (٦/ ١٨٨) رواية مجالد عن الشعبى أن قبيصة بن جابر الأسدى قال : ألا أخبركم من صحبت ؟ صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت رجلا أفقه فقها ولا أحسن مدارسة منه . ثم صحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلا أعطى للجزيل من غير مسألة منه ، ثم صحبت معاوية فما رأيت رجلا أحب رفيقًا ولا أشبه سريرة بعلانية منه . [خ] .

(٣٩٥) وقد بلغ من همته وعظيم عنايته بذلك أن أرسل يهدد ملك الروم وهو فى معمعة القتال مع على فى صفين ـ وقد بلغه أن ملك الروم اقترب من الحدود فى جنود عظيمة ، فكتب إليه يقول : « والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك ، لأصطلحن أنا وابن عمى عليك ، ولأخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت » فخاف ملك الروم وانكف (البداية والنهاية ٨ / ١١٩) [خ] .

(٣٩٦) فى البر والبحر ، فكانت رايات الإسلام تخترق الآفاق بأيدى جنده ممثلة العزة التى أرادها الله لدينه ورسالة رسوله وللمؤمنين بهما . وكما أن فتح مصر ودخولها فى الإسلام والعروبة من عمل عمرو بن العاص وحده ، فإن تأسيس الأسطول الإسلامى والفتوح البحرية الأولى من عمل معاوية وحده . ومما ينبغى للمشتغل بتاريخ العروبة والإسلام أن يعلمه أن معاوية مفطور على سجية السيادة والقيادة وصناعة الحكم ، =

وسياسة الخلق(٣٩٧) ، (٣٩٨) . وقد شهد له في صحيح ،

=أخرج ابن كثير في التاريخ (٨/ ١٣٥) عن هشيم عن العوام بن حوشب عن جبلة ابن سحيم أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « ما رأيت أحداً أسود من معاوية». قال جبلة بن سحيم : قلت ولا عمر ؟ قال : « كان عمر خيراً منه ، وكان معاوية أسود منه » . ورووا مثل هذه الكلمة في معاوية عن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وتقدم قول عبد الله بن عباس « ما رأيت رجلا كان أخلق بالملك من معاوية » [خ].

(٣٩٧) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣/ ١٨٥) : لم يكن من ملوك الإسلام ملك خيراً من معاوية ، ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيراً منهم في زمن معاوية ، إذا نسبت أيامه إلى أيام من بعده . وإذا نسبت إلى أيام أبي بكر وعمر ظهر التفاضل . وقد روى أبو بكر الأثرم - ورواه ابن بطة من طريقه - حدثنا محمد بن عمرو بن جبلة ، حدثنا محمد بن مروان ، عن يونس ، عن قتادة قال : لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم : هذا المهدي . وروى ابن بطة بإسناده الثابت من وجهين عن الأعمش عن مجاهد قال : لو أدركتم معاوية لقلتم هذا المهدي . وروى الأثرم : حدثنا محمد بن حواش ، حدثنا أبو هريرة المكتب قال : كنا عند الأعمش فذكروا عمر بن عبد العزيز وعدله ، فقال الأعمش : فكيف لو أدركتم معاوية ؟ قالوا في حلمه ؟ قال : لا والله ، بل في عدله . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : أخبرنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة الثقفي ، عن أبي إسحاق السبيعي أنه ذكر معاوية فقال : لو أدركتموه أو أدركتم أيامه لقلتم : كان المهدي . وهذه الشهادة من هؤلاء الأئمة الأعلام لأمير المؤمنين معاوية صدى استجابة الله عز وجل دعاء نبيه ﷺ لهذا الخليفة الصالح يوم قال ﷺ « اللهم اجعله هاديًا ، مهديًا ، واهد به(**) » وهو من أعلام النبوة . [خ] .

(٣٩٨) رواه الترمذي وحسنه ، وهو صحيح الإسناد كما في تحقيق مشكاة المصابيح . [م].

قال الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه « ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى =

(**) يكفي معاوية رضي الله عنه أنه كان كاتب الوحي للنبي ﷺ وجاء في كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٨/ ١٣٣) .

. . . .

= بحق من صاحب هذا الباب » يعنى معاوية .

وروى عن على بن أبى طالب قوله عنه بعد المصالحة التى جرت سنة ٤٠ هـ والتى أسفرت عن اعتراف على بحكمه فى الشام ، واعتراف معاوية بحكم على فى العراق : أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية ، فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنها الحنظل .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : « ما رأيت رجلا أخلص بالملك من معاوية . وقال الصحابى عمير بن سعد الأنصارى الأوسى ، وقد عزله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن حمص وولى معاوية رضي الله عنه : لا تذكروا معاوية إلا بخير ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم اهد به . . » وهذا من تمام إنصاف عمير رضي الله عنه .

وقال الصحابى الجليل أبو الدرداء لأهل الشام : « ما رأيت أحدًا أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من معاوية » .

وقد روى ابن قتيبة عن عتبة بن مسعود قال : إنه لما مر بنا نعى معاوية قمنا فأتينا ابن عباس فوجدناه جالسًا قد وضع له الخوان وعنده نفر ، فأخبرناه الخبر ، فقال يا غلام ! ارفع الخوان وسكن ساعة ثم قال : جبل تزعزع ثم مال كلكله . أما والله ما كان كمن كان قبله ، ولكن لن يكون بعده مثله ، وإن ابنه خير أهله .

وقال الأعمش للذين ذكروا عنده عمر بن عبد العزيز وعدله ، « كيف لو أدركتم معاوية ! » قالوا فى حلمه ؟! قال : لا والله بل فى عدله ، وقد مر معنى ذلك .

وقال قبيصة لجماعته : ألا أخبركم من صحبت ؟! صحبت عمر بن الخطاب ، فما رأيت رجلا أفقه فقهًا ولا أحسن مدارسة منه ثم صحبت طلحة فما رأيت رجلا أعظم للجزيل من غير مسألة منه . ثم صحبت معاوية ، فما رأيت رجلا أحب رفيقًا ولا أشبه سريرة بعلانية منه (هذه الأقوال منقولة عن تاريخ الطبرى وعن البداية والنهاية) .

وقال الإمام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣/ ١٨٩) وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سيرة الولاة . وقد كانت رعيته يحبونه . وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى

. . . .

ﷺ أنه قال : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم . وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم »[١] .

هذه بعض شهادات الصحابة والتابعين فى معاوية رضي الله عنه وآراء بعض العلماء والمؤرخين . وقد رأينا ما قال بحقه النبى ﷺ ، فمن أبغضه فقد أنكر ما جاء فى السنة عن رسول الله ﷺ فى حقه وطعن فى ثناء الصحابة والتابعين عليه .

روى الحافظ ابن عساكر عن الإمام أبى زرعة الرازى أنه قال له رجل : إنى أبغض معاوية . فقال له : ولم ؟ قال : لأنه قاتل عليًا . فقال له أبو زرعة ويحك ! إن رب معاوية رحيم ، وخصم معاوية خصم كريم ، فإيش دخولك أنت بينهما رضي الله عنهما .

وقبل أن ننهى الكلام على شهادات الصحابة والتابعين وآراء العلماء فى معاوية ننقل رأيًا طريفًا للمؤرخ العلامة ابن خلدون فى اعتبار معاوية من الخلفاء الراشدين فقد قال:

إن دولة معاوية وأخباره كان ينبغى أن تلحق بدول الخلفاء الراشدين وأخبارهم فهو تاليهم فى الفضل والعدالة والصحبة (تاريخ ابن خلدون ٢/ ٤٥٨) .

ونذكر جميع هذه الشهادات ، وقبلها الأحاديث النبوية فى فضل معاوية ، مع اعترافنا يشهد الله بفضل عليٍّ ، وأنه أفضل منه والحق غالبه معه ، وكل كان مجتهدًا. وقد جاء فى الحديث الصحيح « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر»[٢] رواه البخارى ومسلم رحمهما الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث إلى معاوية ليكتب له ، فقال : إنه يأكل ، ثم بعث إليه ، فقال: إنه يأكل، فقال رسول الله ﷺ :« لا أشبع الله بطنه » رواه أبو داود وسنده صحيح[٣] .

قد يستغل بعض الفرق هذا الحديث ليتخذوا منه مطعنًا فى معاوية رضي الله عنه ، =

---

(١) صحيح : وقد تقدم تخريجه .

(٢) صحيح : وتقدم تخريجه (ع) .

(٣) رواه مسلم فى البر والصلة بـ ٢٥ برقم (٩٥) والبيهقى فى دلائل النبوة (٦/ ٢٤٣)، وانظر الصحيحة (٨٢) (ع) .

الحديث بالفقه(٣٩٩) ، وشهد بخلافته فى حديث أم حرام أن ناسًا من أمته يركبون

= وليس فيه ما يساعدهم على ذلك ، كيف وفيه أنه كان كاتب النبى ﷺ ؟! فالظاهر أن هذا الدعاء منه ﷺ غير مقصود ، بل هو مما جرت به عادة العرب فى وصل كلامها بلا نية كقوله ﷺ فى بعض نسائه : تربت يمينك . ويمكن أن يكون ذلك منه ﷺ بباعث البشرية التى أفصح عنها هو نفسه ﷺ فى أحاديث كثيرة متواترة منها حديث عائشة رضي الله عنها : « . . . أو ما علمت ما شارطت عليه ربى ؟ قلت اللهم إنما أنا بشر ، فأى المسلمين لعنته أو سببته ، فاجعله له زكاة وأجرًا » رواه مسلم (رجع الأحاديث الصحيحة ١/ ٩٥) [م] .

(٣٩٩) فى كتاب مناقب الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٢٨ ج ٤ ص ٢١٩) حديث ابن أبى مليكة أن ابن عباس قيل له : « هل لك فى أمير المؤمنين معاوية ، فإنه ما أوتر إلا بواحدة . فقال : إنه فقيه » . وفى كتاب المناقب من جامع الترمذى (ك ٤٦ ب ٤٧) حديث عبد الرحمن بن أبى عميرة المزنى عن النبى ﷺ أنه قال لمعاوية «اللهم اجعله هاديًا مهدياً واهد به(*) » . رواه الطبرانى من طريق سعيد بن عبد العزيز التنوخى ـ وكان لأهل الشام كالإمام مالك لأهل المدينة ـ عن ربيعة بن يزيد الإيادى أحد الأئمة الأعلام عن عبد الرحمن بن أبى عميرة أن النبى ﷺ قال لمعاوية «اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب » . وأخرجه الإمام البخارى فى التاريخ قال: قال لى أبو مسهر (وذكره بالعنعنة (**) . وتقدم حديث عزل عمير بن سعد الأنصارى عن ولاية حمص فى خلافة عمر وتوليته معاوية والشهادة له بأن النبى ﷺ دعا له بأن يهدى الله به . ورواه الإمام أحمد من حديث العرباض بن سارية السلمى. ورواه ابن جرير من حديث ابن مهدى . ورواه أسد بن موسى وبشر السرى وعبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح بإسناده . وزاد فى رواية بشر بن السرى =

(*) حسنه الترمذى وسنده صحيح كما قال محقق المشكاة . [م] تقدم تخريجه (ع) .

(**) ومعنى ذلك عدم صحة هذا الحديث . [م] .

توضيح:

ليس معنى ذلك عدم صحة الحديث على الإطلاق !! فالصحيحان فيهما من ذلك شيء كثير . . وأين هذه القاعدة من كتب مصطلح الحديث !! فمعلوم أن عنعنة الثقة تحمل على الاتصال ما لم يكن مدلسًا. [س] .

ثبج البحر الأخضر ملوكًا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة ، وكان ذلك فى ولايته (٤٠٠) .

= «وأدخله الجنة » . ورواه ابن عدى وغيره عن ابن عباس . ورواه محمد بن سعد يسنده إلى مسلمة بن مخلد أحد فاتحى مصر وولاتها . ورواة هذا الدعاء النبوى لمعاوية من الصحابة أكثر من أن يحصوا .] وانظر البداية والنهاية ٨ / ١٢٠ ـ ١٢١ . وانظر ترجمة معاوية فى حرف الميم من تاريخ دمشق لابن عساكر) . ومن لم يصدق هذا الحديث فهو منكر لكل ما ثبت فى السنة من شريعة الإسلام . وفى الشيعة المبغضين لمعاوية اللاعنين له من يزعمون أنهم منتسبون إلى النبى ﷺ فهل تراهم يحقدون على جدهم ﷺ لرضاه عن معاوية واستعانته به ودعائه له ؟ « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » [خ] .

(٤٠٠) أم حرام بنت ملحان صحابية من الأنصار من أهل قباء ، كان النبى ﷺ إذا ذهب إلى قباء استراح عندها ، وهى خالة خادمه أنس بن مالك . روى البخارى فى كتاب الجهاد من صحيحه (ك ٥٦ ب ٣ ج ٣ ص ٢٠١) ومسلم فى كتاب الإمارة (ك ٣٣ ح ١٦٠) عن أنس أن النبى ﷺ نام عندها القيلولة ثم استيقظ وهو يضحك لأنه رأى ناساً من أمته غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج البحر ـ أى وسطه ومعظمه ـ ملوكًا على الأسرَّة . ثم وضع رأسه فنام واستيقظ وقد رأى مثل الرؤيا الأولى فقالت له أم حرام: ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال لها « أنت من الأولين » [1] . قال الحافظ ابن كثير (٨/ ٢٢٩) يعنى جيش معاوية حين غزا قبرص ففتحها سنة ٢٧ أيام عثمان بن عفان (بقيادة معاوية ، عقب إنشائه الأسطول الإسلامى الأول فى التاريخ) . وكانت معهم أم حرام فى صحبة زوجها عبادة بن الصامت . ومعهم من الصحابة أبو الدرداء وأبو ذر وغيرهما . وماتت أم حرام فى سبيل الله وقبرها بقبرص إلى اليوم . قال ابن كثير: ثم كان أمير الجيش الثانى يزيد [**] بن معاوية فى غزوة القسطنطينية . قال :=

---

(١) صحيح : رواه البخارى (٢٩٢٤) ، وانظر النهاية لابن كثير تحقيقى ص ١١ ، ١٢ (ع) .

(**) وقد جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى عن أم حرام بشارة ليزيد بالجنة والمغفرة : « أول جيش من أمتى يركبون البحر أوجبوا . وأول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور له » .

ويحتمل أن يكون مراتب فى الولاية : خلافة ثم ملك (٤٠١) . فتكون ولاية الخلافة للأربعة ، وتكون ولاية الملك لابتداء معاوية (٤٠٢) . وقد قال الله فى

= وهذا من أعظم دلائل النبوة .

(٤٠١) عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال : قال رسول الله ﷺ : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم يؤتى الله ملكه من يشاء » [1] . وقد حسن هذا الحديث . محقق مشكاة المصابيح . [م] .

(٤٠٢) الخلافة والملك والإمارة عناوين اصطلاحية تتكيف فى التاريخ باعتبار مدلولهن العملى، والعبرة دائمًا بسيرة المرء وعمله . ومعاوية قد ولى الشام للخلافة الراشدة مدة عشرين سنة ، ثم اضطلع بمهمة الإسلام كلها عشرين سنة أخرى فى الوطن الإسلامى الأكبر بعد بيعة الحسن بن على له ، فكان فى الحالتين قوامًا بالعدل ، محسنًا إلى الناس من كل الطبقات ، يكرم أهل المواهب ويساعدهم على تنمية مواهبهم ، ويسع بحلمه جهل الجاهلين فيعالج بذلك نقائصهم ، ويلتزم فى الجميع أحكام الشريعة المحمدية بحزم ورفق ومثابرة وإيمان . يؤمهم فى صلواتهم ،ويوجههم فى مجتمعهم ومرافقهم ، ويقودهم فى حروبهم ، وفى منهاج السنة (٣/ ١٨٥) قول الصحابى الجليل أبى الدرداء لأهل الشام « ما رأيت أحداً أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من إمامكم هذا » يعنى معاوية . وقد رأيت قول الأعمش للذين ذكروا عنده عمر بن عبد العزيز وعدله : « كيف لو أدركتم معاوية ؟ » قالوا : فى حلمه ؟ قال : « لا والله ، بل فى عدله » . وقد بلغ من استقامته على جادة الإسلام أن قال فيه أمثال قتادة ومجاهد وأبى إسحاق السبيعى ـ وكلهم من الأئمة الأعلام : كأن معاوية هو المهدى والذى يتتبع سيرة معاوية فى حكمه يرى أن حكومته فى الشام كانت حكومة مثالية فى العدل والتراحم والتآسى ، لم يخير بين الطيب والأطيب إلا اختار الأطيب على الطيب . فإذا كان هذا المسلك فى أربعين سنة يؤهل الأمير المسلم للخلافة على المسلمين وقد ارتضوه لذلك واغتبطوا به فهو خليفة ، ومن سماه ملكا لا يستطيع أن يكابر فى أنه من أرحم ملوك الإسلام وأصلحهم . كنا أيام طلب =

---

(١) صحيح : وتقدم تخريجه قريبًا (ع) .

. . . .

= العلم فى القسطنطينية فى مجلس للطلبة يتناقشون فى موضوع سيرة معاوية وخلافته ، وكان ذلك فى أيام السلطان عبد الحميد . فوقف صديقى الشهيد السعيد عبد الكريم قاسم الخليل ـ وكان شيعيًا ـ فقال : « أنتم تسمون سلطاننا خليفة ، وأنا أخوكم الشيعى أعلن أن يزيد بن معاوية كان بسيرته الطيبة أحق بالخلافة وأصدق عملا بالشرع المحمدى من خليفتنا ، فكيف بأبيه معاوية » . على أن معاوية كان يقول عن نفسه ـ فيما رواه خيثمة عن هارون بن معروف عن ضمرة عن ابن شوذب : « أنا أول الملوك وآخر خليفة » . وتقدم حديث معمر عن الزهرى « أن معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه » . وقد أشرنا هناك إلى اختلاف البيئة وتأثيرها فى أنظمة الحكم ، بل إن معاوية نفسه ذكر ذلك لعمر لما قدم عمر الشام وتلقاه معاوية فى موكب عظيم فاستنكر عمر ذلك، واعتذر له معاوية بقوله: « أنا بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للإسلام وأهله ونرهبهم به » . فقال عبد الرحمن بن عوف لعمر : « ما أحسن ما صدر عما أوردته فيه يا أمير المؤمنين » فقال عمر : من أجل ذلك جشمناه ما جشمناه » (البداية والنهاية ٨ / ١٢٤، ١٢٥). وسيرة عمر التى حاول معاوية أن يسير عليها سنين كانت المثل الأعلى فى بيته ، وكان يزيد يحدث نفسه بالتزامها . روى ابن أبي الدنيا عن أبى كريب محمد بن العلاء الهمدانى الحافظ عن رشدين المصرى عن عمرو بن الحارث الأنصارى المصرى عن بكير بن الأشج المخزومى المدنى ثم المصرى أن معاوية قال ليزيد : كيف تراك فاعلا إن وليت ؟ قال : كنت والله يا أبه عاملا فيهم عمل عمر بن الخطاب . فقال معاوية : سبحان الله يا بنى ، والله لقد جهدت علي سيرة عثمان فما أطقتها ، فيكف بك وسيرة عمر (ابن كثير ٨ / ٢٢٩) . والذين لا يعرفون سيرة معاوية يستغربون إذا قلت لهم : إنه كان من الزاهدين والصفوة الصالحين . ،وروى الإمام أحمد فى كتاب الزهد (ص ١٧٢ طبع مكة) عن أبى شبل محمد بن هارون عن حسن بن واقع عن ضمرة بن ربيعة القرشى عن علي بن أبى حملة عن أبيه قال : رأيت معاوية على المنبر بدمشق يخطب الناس وعليه ثوب مرقوع . وأخرج ابن كثير (٨/ ١٣٤) عن يونس بن ميسر الحميرى الزاهد (وهو من شيوخ الإمام الأوزاعى)=

داود وهو خـير من معـاوية (٤٠٣) ـ : ﴿ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة:٢٥١] فجعل النبوة ملكا . فلا تلتفتوا إلى أحاديث ضعف سندها [ومعناها](٤٠٤) .

= قال : رأيت مـعاوية فى سوق دمـشق ، وهو مردف وراءه وصيـفًا وعليه قـميص مرقوع الجيب ، يسير فى أسواق دمشق . وكان قواد مـعاوية وكبار أصحابه يستهدونه ملابسه للتبـرك بها ، فكان إذا حضر أحدهم إلى المدينة وعليه هـذه الملابس يعرفونها ويتـغـالون فى اقتنائهـا . روى الدارقطنى عن محـمد بن يحـيى بن غسان أن الـقائد الشهير الضحاك بن قيس الفهرى قدم المدينة ، فأتى المسجد فصلى بين القبر والمنبر ، وعليه برد مرقع قد ارتدى به من كسوة مـعاوية ، فرآه أبو الحسن البراد فعرف أنه برد معاوية فساومه عليه وهو يظنه أعـرابيًا من عامة الناس ، حتى رضى أبو الحسن البراد أن يدفع له به ثلاثمائة دينار . فانطلق به الضحاك بن قيس إلى بيت حويطب بن عبد العزى فلـبس رداء آخر وأعطى أبا الحـسن البراد ذلك البـرد بلا ثمن وقال له « قـبيح بالرجل أن يبيع عطافه ، فخذه فالبسه » فـأخذه أبو الحسن فباعه فكان أول مال أصابه (ابن عساكر ٧ / ص ٦) وقـد أوردنا هذه الأمثلة ليعلم الناس أن الصورة الحقـيقية لمعاوية تخالف الصورة الكاذبة التى كان أعـداؤه يصورونه بها ، فمن شاء بعد هذا أن يسمى معـاوية خليفة وأميرًا للمـؤمنين ، فإن سليمان بن مـهران الأعمش ـ وهو من الأئمة الأعلام الحفـاظ ، وكان يسمى « المصحف » لصدقه ـ كـان يفضل معاوية على عمر بن عـبد العزيز حتـى فى عدله . ومن لم يملأ معاوية عـينه وأراد أن يضن عليه بهذا اللقب ، فإن معاوية مضى إلى الله عز وجل بعدله وحلمه وجهاده وصالح عمله ، وكان وهو فى دنيانا لا يبالى أن يلقب بالخليـفة أو الملك ، وأنه فى آخرته لأكثر زهدًا بما كان يزهد به فى دنياه . [خ] .

(٤٠٣) أن داود فى نبوتّه ـ كما يعرفها المسلمون فى دينهم ـ تجعله خيرًا من معاوية . وأما داود اليهود ـ كما يعرفه الناس من توراتهم الموجودة الآن فى الأيدى ـ فإن معاوية خير منه . ومن شقـاء اليهود ألا يعـرفوا للقرآن والإسـلام فضلهمـا عليهم فى تنزيه أنبـياء بنى إسرائيل عما وصموا به فى كتبهم . [خ] .

(٤٠٤) كتب الشيخ محب الدين : « متنها » بدل : (معناها) . [س] .

ولو اقتضت الحال النظر فى الأمور لكان ـ والله أعلم ـ رأى آخر للجمهور، ولكن انعقدت البيعة لمعاوية بالصفة التى شاءها الله، على الوجه الذى وعد به رسول الله ﷺ مادحًا له ، راضيًا عنه، راجيًا هدنة الحال فيه ، لقول النبى ﷺ : « ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » (٤٠٦) .

وقد تكلم العلماء فى إمامة المفضول مع وجود من هو أفضل منه ، فليست المسألة فى الحد الذى تجعله فيه العامة ، وقد بيناها فى موضعها (٤٠٧) .

---

(٤٠٦) قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

فلما أثنى النبى ﷺ على الحسن بالإصلاح وترك القتال دل على أن الإصلاح بين تلك الطائفتين كان أحب إلى الله تعالى من فعله . فدل على أن القتال لم يكن مأموراً به ، ولو كان معاوية كافراً لم تكن تولية كافر وتسليم الأمر إليه مما يحبه الله ورسوله ، بل دل الحديث على أن معاوية وأصحابه كانوا مؤمنين ، كما كان الحسن وأصحابه مؤمنين ، وأن الذى فعله الحسن كان محموداً عند الله تعالى ، محبوبًا مرضيًا له ولرسوله .

وهذا كما ثبت عن النبى ﷺ فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى أنه قال : « تمرق مارقة على حين فرقة من الناس ، فتقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وفى لفظ : «فتقتلهم أدناهما إلى الحق » فهذا الحديث الصحيح دليل على أن كلا الطائفتين المقتتلتين ـ على وأصحابه ، ومعاوية وأصحابه ـ على حق ، وأن عليًا وأصحابه كانوا أقرب إلى حق من معاوية وأصحابه (الفتاوى ٤/٤٦٦ ، ٤٦٧) . [م] .

(٤٠٧) أى من مؤلفاته الأخرى . وهذه المسألة من مسائل الفقه الإسلامى الممحصة ، المبينة أحكامها على النصوص والسنن والأسس الشرعية التى قام الدين على مثلها فى باب جلب المصالح ودرء المفاسد وتقدير الضرورات بأقدارها . والقاضى أبو الحسن الماوردى لم يذكر فى الأحكام السلطانية (ص ٥) مخالفًا فى جواز إمامة المفضول إلا الجاحظ ، وماذا يضر أئمة الدين إذا خالفهم الجاحظ ، وهل العباسيون الذين عرف الجاحظ بالتقرب إليهم فى حياتهم كانوا أفضل معاصريهم ؟ أما جمهور الفقهاء والمتكلمين فقالوا تجوز إمامة المفضول وصحة بيعته، ولا يكون وجود الأفضل مانعًا =

فإن قيل : فقد قتل حجر بن عدى ـ وهو من الصحابة مشهور بالخير ـ صبراً أسيراً بقول زياد ، وبعثت إليه عائشة فى أمره فوجدته قد فات بقتله . قلنا : [قد] علمنا قتل حجر كلنا، واختلفنا: فقائل يقول قتله ظلماً ، وقائل يقول قتله حقًا (٤٠٨) .

= من إمامة المفضول إذا لم يكن مقصراً عن شروط الإمامة ، كما يجوز ـ فى ولاية القضاء ـ تقليد المفضول مع وجود الأفضل، لأن زيادة الفضل مبالغة فى الاختيار ، وليست معتبرة فى شروط الاستحقاق . ونحيل القارئ على كتاب الإمامة والمفاضلة» لأبى محمد بن حزم المدرج فى الجزء الرابع من كتابه « الفصل » ولا سيما الفصل المعقود فيه لإمامة المفضول (ص ١٦٣ ـ ١٦٧ من طبعة مصر سنة ١٣٢٠) . [خ].

(٤٠٨) حجر بن عدى الكندى عده البخارى وآخرون من التابعين ، وعده البعض الآخر من الصحابة ، وكان من شيعة علىٍّ فى الجمل وصفين . وروى ابن سيرين أن زياداً ـ وهو أمير الكوفة ـ خطب خطبة أطال فيها ، فنادى حجر بن عدى « الصلاة ! » فمضى زياد فى خطبته ، فحصبه حجر وحصبه آخرون معه . فكتب زياد إلى معاوية يشكو بغى حجر على أميره فى بيت الله ، وعد ذلك من الفساد فى الأرض . فكتب معاوية إلى زياد أن سرح به إلى . . فلما جيء به إلى معاوية أمر بقتله . فالذين يرون أن معاوية قتله بحق يقولون : ما من حكومة فى الدنيا تعاقب بأقل من ذلك من يحصب أميره وهو قائم يخطب على المنبر في المسجد الجامع مندفعا بعاطفة الحزبية والتشيع والذين يعارضونهم يذكرون فضائل حجر ويقولون كان ينبغى لمعاوية أن لا يخرج عن سجيته من الحلم وسعة الصدر لمخالفيه . ويجيبهم الآخرون بأن معاوية يملك الحلم وسعة الصدر عند البغى عليه فى شخصه ، فأما البغى على الجماعة فى شخص حاكمها وهو على منبر المسجد فهو ما لا يملك معاوية أن يتسامح فيه ، ولا سيما فى مثل الكوفة التى أخرجت العدد ن أهل الفتنة الذين بغوا على عثمان بسبب مثل هذا التسامح ، فكبدوا الأمة من دمائها وسمعتها وسلامة قلوبها ومواقف جهادها تضحيات غالية كانت فى غنى عنها لو أن هيبة الدولة حفظت بتأديب عدد قليل من أهل الرعونة والطيش في الوقت المناسب وكما كانت عائشة تود لو أن معاوية شمل حجراً بسعة صدره ، فإن عبد الله بن عمر كان يتمنى مثل ذلك . =

فإن قيل : الأصل قتله ظلمًا إلا إذا ثبت عليه ما يوجب قتله . قلنا : الأصل أن قتل الإمام بالحق ، فمن ادعى أنه بالظلم فعليه الدليل . ولو كان ظلمًا محضا لما بقى بيت إلا لعن فيه معاوية . وهذه مدينة السلام دار خلافة بنى العباس - وبينهم وبين بنى أمية ما لا يخفى على الناس - مكتوب على أبواب مساجدها : « خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على ، ثم معاوية خال المؤمنين رضي الله عنهم » (٤٠٩) .

ولكن حجرًا - فيما يقال (رأى من زياد أمورًا منكرة (٤١٠) ،فحصبه ، وخلعه ، وأراد أن يقيم الخلق للفتنة ، فجعله معاوية ممن سعى فى الأرض فسادًا .

وقد كلمته عائشة فى أمره حين حج ، فقال لها : دعينى وحجرًا حتى نلتقى عند الله . وأنتم معشر المسلمين أولى أن تدعوهما حتى يقفا بين يدى الله مع صاحبهما العدل الأمين المصطفى المكين ، وأنتم (٤١١) ودخولكم حيث لا تشعرون ، فما لكم لا تسمعون (٤١٢) ؟

فإن قيل : قد دس على الحسن من سمه .

= والواقع أن معاوية كان فيه من حلم عثمان وسجاياه ، إلا أنه فى مواقف الحكم كان يتبصر فى عاقبة عثمان وما جر إليه تمادى الذين اجترؤوا عليه . [خ] .

(٤٠٩) المؤلف أقام فى بغداد زمن الدولة العباسية كما ذكرنا فى ترجمته ، فهو يعرف مساجدها معرفة مشاهدة وعيان . ومعاوية خال المؤمنين لأنه أخو أم المؤمنين رملة بنت أبى سفيان المشتهرة بكنيتها (أم حبيبة) . [خ] .

(٤١٠) كان زياد فى خلافة على واليًا من ولاته ، وكان حجر بن عدى من أولياء زياد وأنصاره. ولم يكن ينكر عليه شيئًا . فلما صار من ولاة معاوية صار ينكر عليه مدفوعًا بعاطفة التحزب والتشيع . وكان حجر يفعل مثل ذلك مع من تولى الكوفة لمعاوية قبل زياد،فلمعاوية عذر إذا رأى أن حجرًا ممن سعى فى الأرض فسادًا [خ] .

(٤١١) كذا فى جميع النسخ واقترح الشيخ ابن باديس أن يكون : وما أنتم [س] .

(٤١٢) ومن الانتقادات التى يوجهونها إلى معاوية رضي الله عنه لعن على رضي الله عنه على المنابر . =

قلنا : هذا محال من وجهين : أحدهما أنه ما كان ليتقى من الحسن بأسًا وقد سلم الأمر . الثاني أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله فكيف تحملونه ـ بغير بينة ـ على أحد من خلقه فى زمان متباعد لم نثق فيه بنقل ناقل ، بين أيدى قوم ذوى أهواء ، وفى حال فتنة وعصبية ، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغى ، فلا يقبل منها إلا الصافى ، ولا يسمع فيها إلا من العدل الصميم (٤١٣).

فإن قيل : فقد عهد إلى يزيد وليس بأهل (٤١٤)، (٤١٥). وجرى بينه وبين عبد الله

= قال المؤرخ عبد الوهاب النجار في كتابه « الخلفاء الراشدون » ص ٤٣٨ ولم يذكر المصدر وذلك بعدما علم عليٌّ نتيجة التحكيم :

« . . فكان إذا صلى صلاة الصبح يقنت فيقول : اللهم العن معاوية وعمرًا » .

وبإزاء هذا القنوت أقول : أن عليًا رحمه الله قد سن لخصومه أن يقابلوه بمثل عمله ، ويتخذوا من لعنة نوعًا من العبادة فى أعقاب الصلوات ، فكان معاوية إذا خطب سب عليًا . . وصار ذلك سنة في بنى أمية إلى زمن عمر بن عبد العزيز .

والعهدة فى هذا الخبر على الراوى الذى لا علم لنا بمبلغ صحته ، ولا نظنه يصح والله أعلم [م] .

(٤١٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢/ ٢٢٥) فيما تزعمه الشيعة من أن معاوية سم الحسن : « لم يثبت ذلك ببينة شرعية ، ولا إقرار معتبر ، ولا نقل يجزم به .

وهذا مما لا يمكن العلم به ، فالقول به قول بلا علم » . قال : « وقد رأينا فى زماننا من يقال عنه سم ومات مسمومًا من الأتراك وغيرهم . ويختلف الناس فى ذلك حتى فى نفس الموضع الذى مات فيه والقلعة التى مات فيها ، فتجد كلا منهم يحدث بالشيء بخلاف ما يحدث به الآخر » . وبعد أن ذكر ابن تيمية أن الحسن مات بالمدينة وأن معاوية كان بالشام ، ذكر للخبر احتمالات ـ على فرض صحته ـ منها أن الحسن كان مطلاقًا لا يدوم مع امرأة . . . إلخ . [خ] .

(٤١٤) إن كان مقياس الأهلية لذلك أن يبلغ مبلغ أبى بكر وعمر في مجموع سجاياهما ، فهذا ما لم يبلغه فى تاريخ الإسلام ، ولا عمر بن عبد العزيز . وإن طمعنا بالمستحيل=

. . . .

= وقدرنا إمكان ظهور أبى بكر آخر وعمر آخر فلن تتاح له بيئة كالبيئة التى أتاحها الله لأبى بكر وعمر وإن كان مقياس الأهلية الاستقامة فى السيرة ، والقيام بحرمة الشريعة، والعمل بأحكامها ، والعدل فى الناس ، والنظر فى مصالحهم ، والجهاد فى عدوهم ، وتوسيع الآفاق لدعوتهم ، والرفق بأفرادهم وجماعاتهم ، فإن يزيد يوم تمحص أخباره ، ويقف الناس على حقيقة حاله كما كان فى حياته ، يتبين من ذلك أنه لم يكن دون كثيرين ممن تغنى التاريخ بمحامدهم ، وأجزل الثناء عليهم . [خ] .

(٤١٥) تصدى فى العصر الحديث للدفاع عن يزيد أستاذ فى جامعة القاهرة هو الدكتور إبراهيم العدوى خريج جامعة ليفربول ، فيقول فى كتابه : (الأمويون والبنزنطيون) : (البحر المتوسط بحيرة إسلامية) ناقضًا بذلك الشائعات الكاذبة المتواترة التى سممت وتسم العقول البريئة .

« وبذل معاوية جهودًا عظيمة لإعداد القوات الإسلامية التى رغب فى إرسالها إلى القسطنطينية) فجعل على رأس هذه الحملة ابنه وولى عهده يزيد » .

واستهدف معاوية من وراء ذلك إعطاء ابنه فرصة يعلى فيها من ذكره واسمه فى ميدان الجهاد ضد البيزنطيين ، وليرد بذلك على الأشخاص الذين أبدوا امتعاضهم المحاولات التى بذلها أبوه لأخذ البيعة له بالخلافة من بعده ، إذ صورت الدعايات المعادية لبنى أمية شخصية يزيد بحبها للمجون والخلاعة ، وعدم أهليتها لتصريف شؤون المسلمين .

ومن ثم كان ميدان القسطنطينية خير مجال يدحض فيه يزيد افتراءات منافسيه وأعدائه ويعلن عن مواهبه الحربية وما اتصف به من شجاعة وإقدام .

وعلى ضفاف البوسفور انضم يزيد إلى القوات ، وعبر مياه هذا المضيق إلى الشاطئ الأوربى وحقق لجنده سبقهم على أقرانهم من جند الإسلام فى مشاهدة القسطنطينية ، والوقوف أمامها ، يدقونها بآلالاتهم الحربية ويعملون على تخريبها أو إحداث ثغرات فيها .

وأظهر يزيد فى هذا الحصار من ضروب الشجاعة والبسالة ما أكسبه لقب :=

ابن عمر وابن الزبير والحسين ما نصه عن وهب (٤١٦) بن جرير بن حازم عن أبيه وعن غيره : لما أجمع معاوية أن يبايع لابنه يزيد حج ، فقدم مكة فى نحو ألف رجل . فلما دنا من المدينة خرج ابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبى بكر . فلما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه . ثم ذكر ابنه يزيد فقال : من أحق بهذا الأمر منه (٤١٧) . ثم ارتحل ، فقدم مكة فقضى طوافه ، ودخل منزله ،

= (فتى العرب) ودونت المراجع سيرته وأعماله فى هذا النضال .

وأشاد الدكتور إبراهيم بمعاوية ﷺ قال :

باستيلاء المسلمين على الشام ومصر ، فتحت صفحة جديدة فى تاريخ البحر المتوسط دون سطورها الأولى معاوية بن أبى سفيان بمداد الجهاد وملأ بأخبار عظمة الأول فى رسم سياسة المسلمين إزاء البحر المتوسط منذ زمن مبكر ، وحل المشكلة البحرية التى اعترضتهم . [م] .

(٤١٦) وكتبها الشيخ محب الخطيب [ما قصه (المؤرخون) عن وهب] !! . [س] .

(٤١٧) شباب قريش المعاصرون ليزيد - ممن يحدثون أنفسهم بولاية الأمر لبعض الاعتبارات التى يعرفونها لأنفسهم - كثيرون جداً ، حتى سعيد بن عثمان بن عفان ومن هم دون سعيد كانوا يطمعون بولاية الأمر بعد معاوية . ومبدأ الشورى فى انتخاب الخليفة أفضل بكثير من مبدأ ولاية العهد . لكن معاوية كان يعلم بينه وبين نفسه أن فتح باب الشورى فى انتخاب من يخلفه سيحدث فى الأمة الإسلامية مجزرة لا ترقأ فيها الدماء إلا بفناء كل ذى أهلية فى قريش لولاية شىء من أمور هذه الأمة . ومعاوية أحصف من أن يخفى عليه أن المزايا موزعة بين هؤلاء الشباب القرشيين ، فإذا امتاز أحدهم بشىء منها على أضرابه ولداته ، فإن فيهم من يمتاز عليه بشىء آخر منها . غير أن يزيد - مع مشاركته لبعضهم فى بعض ما يمتازون به - يمتاز عليهم بأعظم ما تحتاج إليه الدولة ، أعنى القوة العسكرية التى تؤيده فى تولى الخلافة ، فتكون قوة للإسلام ، كما تؤيده إذا أوقع الشيطان الفتنة على هذا الكرسى بين المتزاحمين عليه ، فيكون ما لا يحب كل مسلم أن يكون . ولو لم يكن ليزيد إلا أخواله من قضاعة وأحلافهم من قبائل اليمن ، لكان منهم مالا يجوز لبعيد النظر أن يسقطه من قائمة الحساب عندما=

فبعث إلى ابن عمر ، فتشهد وقال : أما بعد يا بن عمر ، فقد كنت تحدثنى أنك لا تحب أن تبيت ليلة سوداء ليس عليك أمير . وإنى أحذرك أن تشق عصا المسلمين ، وأن تسعى فى فساد ذات بينهم) . فلما سكت تكلم ابن عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنه قد كانت قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك بخير منهم ، فلم يروا فى أبنائهم ما رأيت فى ابنك ، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار . وإنك تحذرنى أن أشق عصا المسلمين ، ولم أكن لأفعل ، وإنما أنا رجل من المسلمين، فإذا اجتمعوا على أمر فإنما أنا واحد منهم » فخرج ابن عمر (٤١٨).

وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبى بكر ،فتشهد ثم أخذ فى الكلام ،فقطع عليه كلامه ، فقال : « إنك والله لوددت أنا وكلناك فى أمر ابنك إلى الله . وإنا والله لا

= يفكر في هذه الأمور . أضف إلى هذا ما قرره ابن خلدون عند كلامه على مسير الحسين إلى العراق للخروج على يزيد حيث قال فى فصل « ولاية العهد » من مقدمة تاريخه: « وأما الشوكة ، فغلط يرحمه الله فيها ، لأن عصبية مضر كانت فى قريش، وعصبية قريش فى عبد مناف ، وعصبية عبد مناف إنما كانت فى بنى أمية ، تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه ، وإنما نسى ذلك أول الإسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وأمر الوحى . . . حتى إذا انقطع أمر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوائد ، فعادت العصبية كما كانت ولمن كانت ، وأصبحت مضر أطوع لبنى أمية من سواهم (*)» [خ] .

(٤١٨) هذا الخبر معارض بما فى كتاب المغازى من صحيح البخارى (ك ٦٤ ب ٢٩ ج ٥ ص ٤٨) عن ابن عمر أن أخته أم المؤمنين حفصة نصحت له بأن يسرع بالذهاب للبيعة وقالت : « الحق ، فإنهم ينتظرونك ، وأخشى أن يكون فى احتباسك عنهم فرقة » [خ] .
وانظر ص ٦٦ .

(*) أن هذه الحجة لابن خلدون متهافتة ، فإن الإسلام فى عهد معاوية كان قويًا عزيزًا . ويظهر بطلانها استلام العباسيين الهاشميين للحكم أكثر من خمسة قرون ، بينما لم يستطع الأمويون الاحتفاظ به قرنًا واحدًا !! [م].

نفعل . والله لتردن هذا الأمر شورى فى المسلمين أو لتفرنها عليك جذعة (٤١٩) » ثم وثب فقام . فقال معاوية : « اللهم اكفنيه (٤٢٠) بما شئت » . ثم قال : « على رسلك أيها الرجل ، لا تشرفن لأهل الشام ، فإنى أخاف أن يسبقونى بنفسك ، حتى أخبر العشية أنك قد بايعت ، ثم كن بعد ذلك على ما بدا لك من أمرك » .

ثم أرسل إلى ابن الزبير فقال : « يا ابن الزبير ، إنما أنت ثعلب رواغ كلما خرج من جحر دخل فى آخر ، وإنك عمدت إلى هذين الرجلين فنفخت فى مناخرهما » . فقال ابن الزبير : « إن كنت قد مللت الإمارة فاعتزلها ، وهلم ابنك فلنبايعه . أرأيت إذا [بايعت] ابنك معك لأيكما نسمع ، لأيكما نطيع ؟ لا تجتمع البيعة لكما أبدًا(٤٢١) ثم قام .

فخرج معاوية فصعد المنبر فقال : إنا وجدنا أحاديث الناس ذوات عوار . زعموا أن ابن عمر وابن الزبير وابن أبى بكر لم يبايعوا يزيد ، قد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له .

فقال أهل الشام : لا والله ، لا نرضى حتى يبايعوا على رؤوس الأشهاد ، وإلا ضربنا أعناقهم.

فقال : سبحان الله ، ما أسرع الناس إلى قريش بالشر لا أسمع هذه المقالة من أحد بعد اليوم ، ثم نزل .

فقال الناس : بايعوا . ويقولون هم : لم نبايع . ويقول الناس : قد بايعتم .

---

(٤١٩) أى لتنكشفن عليك الفتنة فى أشد حالاتها ، ويلاحظ أن الذين انتحلوا هذه الأقوال فى الاستطالة على معاوية لم يطعنوا فى كفاءة يزيد وأهليته لأنها آخر ما يرتابون فيه .

(٤٢٠) ب ، ج ، ذ : اكففه . [س] .

(٤٢١) ابن الزبير أذكى من أن تفوته أن البيعة ليزيد بعد معاوية ، وليست لهما معًا فى حياة معاوية . والذين اخترعوا هذه الأخبار وأضافوها إلى وهب بن جرير بن حازم يكذبون كذبًا مفضوحًا .

وروى وهب من طريق أخرى قال : خطب معاوية فذكر ابن عمر فقال : « والله ليبايعن أو لأقتلنه » . فخرج عبد الله بن عبد الله بن عمر إلى أبيه وسار إلى مكة ثلاثًا وأخبره (٤٢٢) ، فبكى ابن عمر ، فبلغ الخبر إلى عبد الله بن صفوان ، فدخل على ابن عمر فقال : أخطب هذا بكذا ؟ قال : نعم . قال : فما تريد ، أتريد قتاله؟ قال : يابن صفوان ، الصبر خير من ذلك . فقال ابن صفوان : والله [لئن] أراد ذلك لأقاتلنه (٤٢٣) . فقدم معاوية مكة فنزل ذا طوى ، وخرج إليه عبد الله بن صفوان فقال : أنت تزعم أنك تقتل ابن عمر إن لم يبايع لابنك ؟ قال : أنا أقتل ابن عمر ؟ إني والله لا أقتله .

وروى وهب من طريق ثالث (٤٢٤) قال : إن معاوية لما راح عن بطن مرٍّ قاصدا إلى مكة قال لصاحب حرسه : لا تدع أحدًا يسير معي إلا من حملته . فخرج يسير

---

(٤٢٢) هذا الخبر عن وهب بن جرير بن حازم يشعر بأن معاوية خطب هذه الخطبة وهو فى المدينة قادمًا إليها من دمشق قبل أن يصل إلى مكة ، وأن ابن عمر كان يومئذ فى مكة فركب إليه ابنه حتى لقيه بمكة وأخبره بهذه الخطبة . وفى الخبر الذى قبل هذا ـ وهو مروى عن وهب بن جرير بن حازم أيضًا ـ التصريح بأن ابن عمر كان بالمدينة عند وصول معاوية إليها من دمشق ، وأنه كان مع الأعيان الذين خرجوا لاستقباله . فالخبران متناقضان يكذب أحدهما الآخر مع أنهما عن راو واحد . ولا أدري من أين جاء بهما المؤلف ، ولم ينقلهما الطبرى مع أنه يعتنى بأخبار وهب بن جرير لأنه ثقة، ووهب مات سنة ٢٠٦ وأبوه مات سنة ١٧٠ بعد أن اختلط ، فبينهما وبين هذه الحوادث رواة آخرون ، وبينهما وبين الطبرى وغيره من المؤرخين رواة كثيرون . وأعتقد أن هذه الأخبار غير صحيحة لتناقضها ، ولو عرفنا رواتها إلى وهب وبعد وهب لعرفنا من أين جاء الكذب [خ] .

(٤٢٣) عبد الله بن صفوان حفيد أمية بن خلف الجمحى . قتل مع ابن الزبير سنة ٧٣ .

(٤٢٤) وهذا الخبر أيضًا ليس عند الطبرى ، وأظنه مصنوعًا فى المصنع الذى خرج منه الخبران السابقان .

وحده ، حتى إذا كان وسط الأراك لقيه الحسين بن على ، فوقف وقال : مرحبًا وأهلا بابن بنت رسول الله سيد شباب المسلمين . دابة لأبى عبد الله يركبها . فأتى ببرذون ، فتحول عليه . ثم طلع عبد الرحمن بن أبى بكر (٤٢٥) ، فقال مرحبًا بابن شيخ قريش وسيدهم وابن صديّق هذه الأمة . دابة لأبى محمد يركبها . فأتى ببرذون فركبه . ثم طلع ابن عمر فقال : مرحبًا وأهلا بصاحب رسول الله وابن الفاروق وسيد المسلمين ، ودعا له بدابة فركبها . ثم طلع ابن الزبير فقال : مرحبًا وأهلا بابن حوارى رسول الله وابن الصديق وابن عمة رسول الله ﷺ ، ودعا له بدابة فركبها . ثم أقبل يسير بينهم لا يسايره غيرهم حتى دخل مكة ، ثم كانوا أول داخل وآخر خارج ليس فى الأرض صباح إلا لهم فيه حباء وكرامة ، ولا يعرض لهم بذكر شيء مما هو فيه حتى قضى نسكه وترحلت أثقاله وقرب مسيره إلى الشام وأنيخت رواحله، فأقبل بعض القوم على بعض فقالوا : أيها القوم لا تخدعوا ، إنه والله ما صنع هذا لحبكم ولا لكرامتكم ولا صنعه إلا لما يريد ، فأعدوا له جوابًا . وأقبلوا على الحسين فقالوا : أنت يا أبا عبد الله . قال : وفيكم شيخ قريش وسيدها ؟ [وهو] أحق بالكلام . فقالوا : أنت يا أبا محمد ـ لعبد الرحمن بن أبى بكر ـ فقال : لست هناك، وفيكم صاحب رسول الله ﷺ وابن سيد المسلمين ـ يعنى ابن على ـ فقالوا لابن عمر : أنت ! فقال : لست بصاحبكم ، ولكن ولوا (٤٢٦) الكلام ابن الزبير يكفكم . قالوا : أنت يا ابن الزبير . قال : نعم ، إن أعطيتمونى عهودكم ومواثيقكم أن لا تخالفونى كفيتكم الرجل . فقالوا فلك ذلك . فخرج الإذن ، فأذن لهم . فدخلوا .

---

(٤٢٥) نحن نعلم من الخبر الأول عن وهب نفسه أن عبد الرحمن بن أبى بكر كان فى المدينة، وكان فى الذين استقبلوا معاوية عند وصوله إليها من دمشق ، فما الذى طار به إلى مكة حتى صار فى مستقبلى معاوية عند وصوله إليها ؟ حقًا إن الذين يكذبون على معاوية أغبياء لا يجيدون ولا صناعة الكذب .

(٤٢٦) وكتبها الشيخ محب الخطيب : أولوا . [س] .

فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : لقد علمتم سيرتى فيكم ، وصلتى لأرحامكم ، وصفحى عنكم ، وحملى لما يكون منكم ، ويزيد ابن أمير المؤمنين أخوكم وابن عمكم وأحسن الناس لكم رأيًا . وإنما أردت أن تقدِّموه باسم الخلافة وتكونوا أنتم الذين تنزعون وتؤمرون وتجبون وتقسمون لا يدخل عليكم فى شىء من ذلك .

فسكت القوم . فقال : ألا تجيبونى ؟ فسكت القوم . فقال : ألا تجيبونى . فسكتوا . فأقبل على ابن الزبير فقال : هات يا ابن الزبير ، فإنك لعمرى صاحب خطبة القوم . فقال : نعم يا أمير المؤمنين أخيرك بين ثلاث خصال أيها أخذت فهى لك رغبة . قال : لله أبوك ، اعرضهن . قال : إن شئت صنعت ما صنع رسول ﷺ ، وإن شئت صنعت ما صنع أبو بكر فهو خير هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ ، وإن شئت صنعت ما صنع عمر فهو خير هذه الأمة بعد أبى بكر . قال : لله أبوك ، ما صنعوا ؟ قال : قبض رسول الله ﷺ فلم يستخلف أحدًا ، فارتضى المسلمون أبا بكر . فإن شئت أن تدع أمر هذه الأمة حتى يقضى الله فيه قضاءه فيختار المسلمون لأنفسهم . فقال : إليه ، ليس فيكم اليوم مثل أبى بكر ، وإنى لا آمن عليكم الاختلاف . قال : فاصنع كما صنع أبو بكر ، عهد إلى رجل من قاصية قريش ليس من بنى أبيه فاستخلفه . قال : لله أبوك . الثالثة ؟ قال : تصنع ما صنع عمر ، جعل الأمر شورى فى ستة نفر من قريش ليس أحد منهم من ولد أبيه . قال : [هل] عندك غير هذا ؟ قال : لا . قال : فأنتم ؟ قالوا : ونحن أيضًا . قال : أما لا ، فإنى أحببت أن أتقدم إليكم ، إنه قد أعذر من أنذر ، وإنه قد كان يقوم القائم منكم إلى فيكذِّبنى على رؤوس الناس فأحتمل له ذلك . وإنى قائم بمقالة ، فإن صدقت فلى صدقى وإن كذبت فعلى كذبى . وإنى أقسم بالله لكم لئن رد على إنسان منكم لا ترجع إليه كلمته حتى يسبق إلى رأسه . ثم دعا بصاحب حرسه فقال : أقم على كل رجل من هؤلاء رجلين من حرسك ، فإن ذهب رجل يرد على كلمة بصدق أو كذب فليضرباه بسيفيهما (٤٢٧) .

---

(٤٢٧) أورد المؤلف هذه الأخبار المفضوح كذبها ليعارضها فى الصفحات التالية إن شاء الله=

ثم خرج وخرجوا معه ، حتى رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا يستبد بأمر دونهم ، ولا يقضى أمر إلا عن مشهورتهم . وإنهم قد ارتضوا وبايعوا ليزيد ابن أمير المؤمنين من بعده ، فبايعوا باسم الله . فضربوا على يده ، ثم جلس على راحلته وانصرف .

فلقيهم الناس فقالوا : زعمتم وزعمتم ، فلما أرضيتم وحبيتم فعلتم . قالوا : إنا والله ما فعلنا . قال : فما منكم أن تردوا على الرجل إذ كذب ؟ ثم بايع أهل المدينة والناس : ثم خرج إلى الشام .

قال القاضى أبو بكر ﷺ : لسنا ننكر ، ولا [تبلغ] بنا الجهالة ، ولا لنا في الحق حمية جاهلية ، ولا ننطوى على غل لأحد من أصحاب محمد ﷺ ، بل نقول « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم » إلا أنا نقول : إن معاوية ترك الأفضل فى أن يجعلها شورى ، وألا يخص بها أحدًا من قرابته فكيف ولدًا(٤٢٨) ، وإن يقتدى بما أشار به

= بحديث البخارى عن الموقف السليم لابن عمر فى هذا الحادث حتى يعلم الناس أن الحق فى واد وهؤلاء الرواة الكاذبين فى واد غيره .

(٤٢٨) قال الإمام ابن خلدون :

والذى دعا معاوية ﷺ لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه إنما هو مراعاة المصلحة فى اجتماع واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بنى أمية، إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم ، وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم . فآثره بذلك دون غيره من يظن أنه أولى بها .

وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصًا على الاتفاق واجتماع الأهواء الذى شأنه أهم عند الشارع ، وإن كان لا يظن بمعاوية غير هذا لعدالته . وصحبته مانعة من سوى ذلك وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه ، فليسوا مما يأخذهم فى الحق هوادة .

وليس معاوية ممن تأخذه العزة فى قبول الحق ، فإنهم كلهم أجل من ذلك . =

عبد الله بن الزبير فى الترك أو الفعل (٤٢٩) ، فعدل إلى ولاية ابنه وعقد له البيعة وبايعه الناس ، وتخلف عنها من تخلف (٤٣٠) ، فانعقدت البيعة شرعا ، لأنها تنعقد بواحد وقيل باثنين .

فإن قيل : لمن فيه شروط الإمامة . قلنا : ليس السن [فى] شروطها ، ولم يثبت أنه يقصر يزيد عنها .

(**فإن**) **قيل** : كان منها العدالة والعلم ، ولم يكن يزيد عدلا ولا عالما . قلنا : وبأى شىء نعلم عدم علمه أو عدم عدالته (٤٣١) ؟ ولو كان مسلوبهما لذكر ذلك

= وعدالتهم مانعة منه .

ثم قال : ابن خلدون بعد كلام طويل :

أفلا ترى إلى المأمون لما عهد إلى على بن موسى بن جعفر الصادق ، وسماه الرضا ، كيف أنكرت العباسية ذلك ، ونقضوا بيعته وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدى ، وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدد الثوار والخوارج ما كاد يصطلم الأمر حتى بادر المأمون من خراسان إلى بغداد ورد أمرهم لمعاهدة . . (المقدمة : مبحث ولاية العهد باختصار) [م] .

(٤٢٩) كان معاوية أعرف بابن الزبير من ابن الزبير بنفسه ، روى البلاذرى فى أنساب الأشراف (٤ « ٢» : ٥٣ ، ٥٤) عن المدائنى عن مسلمة بن علقمة عن خالد عن أبى قلابة أن معاوية قال لابن الزبير : « إن الشح والحرص لن يدعاك حتى يدخلاك مدخلا ضيقًا ، فوددت أنى حينئذ عندك فأستنقذك » . فلما حضر ابن الزبير قال : «هذا ما قال لى معاوية ، وددت أنه كان حيًا » [خ] .

(٤٣٠) عدل عن الوجه الأفضل لما كان يتوجس من الفتن والمجازر إذا جعلها شورى ، وقد رأى القوة والطاعة والنظام والاستقرار فى الجانب الذى فيه ابنه . [خ] .

(٤٣١) أما عن العدالة فقد شهد له محمد بن على بن أبى طالب فى مناقشته لابن مطيع عند قيام الثورة على يزيد فى المدينة فقال عن يزيد : « ما رأيت منه ما تذكرون . وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظبًا على الصلاة ، متحريًا للخير ، يسأل عن الفقه ، ملازمًا للسنة » (ابن كثير ٨ / ٢٣٣) . وأما عن العلم فما يلزم منه لمثله فى مثل =

الثلاثة الفضلاء الذين أشاروا عليه [بأن] لا يفعل ، وإنما رموا إلى الأمر بعيب التحكم ، وأرادوا أن تكون شورى .

فإن قيل : كان هنالك من هو أحق منه عدالة وعلماً، منهم مائة وربما ألف . قلنا: إمامة المفضول ـ كما قدمنا ـ مسألة خلاف بين العلماء ، [على] ذكر العلماء في موضعه .

وقد حسم البخاري الباب ، ونهج جادة الصواب ، فروى في صحيحه ما يبطل جميع هذا المتقدم ، وهو أن معاوية خطب وابن عمر حاضر في خطبته ، فيما رواه البخاري عن عكرمة بن خالد أن ابن عمر قال : دخلت على حفصة ونوساتها تنطف(٤٣٤) . قلت : قد كان من الأمر ما ترين ، فلم يجعل لي من الأمر شيء . فقالت : « إلحق ، فإنهم ينتظرونك ، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة » . فلم تدعه حتى ذهب . فلما تفرق الناس خطب معاوية فقال من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه ، فلنحن أحق به منه ومن أبيه . قال حبيب بن مسلمة(٤٣٥): فهلا أجبته ؟ قال عبد الله : فحللت حبوتي ، وهممت أن أقول : أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام ، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم وتحمل عني غير ذلك ، فذكرت ما أعد الله في الجنان . فقال

= مركزه كان فيه موضع الرضا وفوق الرضا روى المدائني أن ابن عباس وفد إلى معاوية بعد وفاة الحسن بن علي ، فدخل يزيد على ابن عباس وجلس منه مجلس المعزي ، فلما نهض يزيد من عنده قال ابن عباس : إذا ذهب بنو حرب ذهب علماء الناس (ابن كثير ٨ /٢٢٨) . [خ] .

(٤٣٤)أي وذوائبها تقطر ماء،سمي الذوائب « نوسات » لأنها تنوس ، أي تتحرك . [خ] .

(٤٣٥)حبيب بن مسلمة الفهري مكي كان عند وفاة النبي ﷺ صبيًا ، ثم التحق بالشام للجهاد ، فاشتهرت بطولته ، ويعدُّ فاتح أرمينية ، ويقال: إنه كان قائد النجدة التي خرجت من الشام لإنقاذ عثمان من أيدي البغاة عليه ، فجاءها الخبر بشهادته وهي في الطريق فعادت . [خ] .

حبيب : حفظت وعصمت .

وروى البخارى (٤٣٦) أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده وقال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُنصب لكل غادر لواء يوم القيامة » وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله (٤٣٧) ، وإنى لا أعلم غدرًا أعظم من أن نبايع رجلا على بيع الله ورسوله ثم ننصب له القتال . وإنى لا أعلم أحدًا منكم خلعه ، ولا بايع فى هذا الأمر إلا كنت الفيصل بينى وبينه .

---

(٤٣٦) فى كتاب الفتن من صحيحه (ك ٩٢ ب ٢١ ج ٨ ص ٩٩) [خ] .

(٤٣٧) وهذا الخبر المنير الذى يرويه البخارى فى صحيحه (١) يفضح الذين زوروا على وهب ابن جرير تلك الأخبار المتناقضة بأن ابن عمر وغيره لم يبايعوا ليزيد ، وأن معاوية أقام على رؤوسهم من يقطعها إذا كذبوه فيما افتراه عليهم من أنهم بايعوا لابنه . فتبين الآن أنه لم يفتر عليهم ، وهذا ابن عمر يعلن فى أحرج المواقف ـ أى فى ثورة أهل المدينة على يزيد بتحريض ابن الزبير وداعيته ابن مطيع ـ أن فى عنقه كما فى أعناقهم بيعة شرعية لإمامهم على بيع الله ورسوله ، وأن من أعظم الغدر أن تبايع الأمة إمامها ثم تنصب له القتال . ولم يكتف ابن عمر بذلك فى تلك الثورة على يزيد بل روى مسلم فى كتاب الإمارة من صحيحه (ك ٣٣ ح ٥٨ ج ٦ ص ٢٢) أن ابن عمر جاء إلى ابن مطيع داعية ابن الزبير ومثير هذه الثورة فقال ابن مطيع : اطرحوا لأبى عبد الرحمن وسادة . فقال ابن عمر : إنى لم آتك لأجلس ، أتيتك لأحدثك سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من خلع يدًا من طاعة ، لقى الله يوم القيامة لاحجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » (٢) وكان لمحمد بن على بن أبى طالب (المعروف بابن الحنفية) مثل هذا الموقف من داعية الثورة ابن مطيع سيراه القارئ فى مكان آخر عند الكلام على سيرة يزيد . [خ] .

---

(١) رواه البخارى (٩/ ٧٢)، وأحمد (٢/ ٧٠ ، ١١٢)، والترمذى (٢١٩١)، وابن ماجة (٢٨٧٢) ، (٢٨٧٣) والبيهقى (٨/ ١٦٠) (ع) .

(٢) رواه مسلم (١٤٧٨)، وانظر الصحيحة (٩٨٤) (ع) .

فانظروا معشر المسلمين إلى ما روى البخارى فى الصحيح ، وإلى ما سبق ذكرنا له [من] رواية بعضهم أن عبد الله بن عمر لم يبايع ، وأن معاوية كذب وقال قد بايع ، وتقدم إلى حرسه يأمره بضرب عنقه إن كذبه . وهو قد قال في رواية البخارى: « قد بايعناه على بيع الله ورسوله » وما بينهما من التعارض ، وخذوا لأنفسكم بالأرجح فى طلب السلامة ، والخلاص بين الصحابة والتابعين . فلا تكونوا ولم تشاهدوهم ـ وقد عصمكم الله من فتنتهم ـ ممن دخل بلسانه فى دمائهم ، فيلغ فيها ولوغ الكلب بقية الدم على الأرض بعد رفع الفريسة بلحمها ، ولم يلحق الكلب منها إلا بقية دم سقط على الأرض .

وروى الثبت العدل عن عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر قال : قال ابن عمر حين بويع يزيد « إن كان خيرًا رضينا ، وإن كان شرًا صبرنا » .

وثبت عن حميد بن عبد الرحمن قال : دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حين استخلف يزيد بن معاوية فقال : تقولون : إن يزيد بن معاوية ليس بخير أمة محمد ، لا أفقهها [فيها] فقهًا، ولا أعظمها فيها شرفًا. وأنا أقول ذلك . ولكن والله لأن تجتمع أمة محمد أحب إلى من أن نفترق . أرأيتم بابًا دخل فيه أفة محمد ووسعهم ، أكان يعجز عن رجل واحد لو كان دخل فيه ؟ قلنا : لا . قال : أرأيتم لو أن أمة محمد قال كل رجل منهم لا أريق دم أخى ولا آخذ ماله ، أكان هذا يسعهم ؟ قلنا : نعم . قال : فذلك ما أقول لكم . ثم قال : قال رسول الله ﷺ «لا يأتيك من الحياء إلا خير » (٤٣٨) .

---

(٤٣٨) أورده البخارى ومسلم بلفظ: « الحياء لا يأتي إلا بخير » وفى رواية « الحياء خير كله». [م] .

قلت : رواه البخارى (٨ / ٣٥) ، ومسلم فى الإيمان (٦٠)، وأحمد (٤ / ٤٢٧) والطبرانى (١٨/٦-٢) .

فهذه الأخبار الصحاح كلها تعطيك أن ابن عمر كان مسلِّمًا فى [إمرة] يزيد ، وأنه بايع وعقد له والتزم ما التزم الناس ، ودخل فيما دخل فيه المسلمون ، وحرم على نفسه ومن إليه بعد ذلك أن يخرج على هذا أو ينقضه .

وظهر لك أن [قول] من قال : إن معاوية كذب فى قوله : « بايع ابن عمر » ولم يبايع ، وأن ابن عمر وأصحابه سئلوا فقالوا « لم نبايع » فقد كذب . وقد صدق البخارى فى روايته قول معاوية على المنبر « أن ابن عمر قد بايع » بإقرار ابن عمر بذلك وتسليمه له وتماديه عليه .

فأى الفريقين أحق بالصدق إن كنتم تعلمون ؟ ألفريق الذى فيه البخارى ، أم الذى فيه غيره ؟

فخذوا لأنفسكم بالأحزم والأصح ، أو اسكتوا عن الكل ، والله يتولى توفيقكم وحفظكم .

و« الصاحب » الذى كنى عنه حميد بن عبد الرحمن هو ابن عمر ، والله أعلم . وإن كان غيره فقد أجمع رجلان عظيمان على هذه المقالة وهى تعضد ما أصلناه لكم من أن ولاية المفضول نافذة وإن كان هنالك من هو أفضل منه إذا عقدت له . ولما فى حلها ـ أو طلب الأفضل ـ من استباحة ما لا يباح ، وتشتيت الكلمة ، وتفريق أمر الأمة .

فإن قيل : كان يزيد خمارًا . قلنا : لا يحل (٤٤٠) إلا بشاهدين ، فمن شهد بذلك عليه (٤٤١) ؟ بل شهد العدول بعدالته : فروى يحيى بن بكير عن الليث بن

(٤٤٠) وفى نسخة « حد » . [س] .

(٤٤١) أن معاوية ـ مع شديد حبه ليزيد ، لألمعيته واكتمال مواهبه ـ آثر أن ينشأ بعيدا عنه فى أحضان الفطرة ، وخشونة البداوة وشهامتها ، ليستكمل الصفات اللائقة بالمهمة التى تنتظر أمثاله ، فبعث به إلى أخبية البادية عند أخواله من قضاعة ، ليكون على مذهب أمة ميسون بنت بجدل يوم قالت :

لبيت تخفق الأرواح فيه   أحب إلى من قصر منيف

سعد ، قال الليث : « توفى أمير المؤمنين (*) يزيد فى تاريخ كذا » فسماه الليث « أمير المؤمنين » بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم ، ولولا كونه عنده كذلك ما قال إلا « توفى يزيد » .

فإن قيل : ولو لم يكن ليزيد إلا قتله للحسين بن على قلنا : يا أسفًا على

= وفى ذلك الوسط أمضى يزيد زمن صباه وصدر شبابه ، وما لبث أن انتقل أبوه إلى رحمة الله حتى تولى المركز الذى أراده الله له . فلما خلا الجو لابن الزبير بموت معاوية صار دعاته يذيعون فى الحجاز الأكاذيب على يزيد وينسبون إليه ما لا يحل (*) لهم . نقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٨/ ٢٣٣) أن عبد الله بن مطيع (داعية ابن الزبير) مشى فى المدينة هو وأصحابه إلى محمد بن على بن أبى طالب (المعروف بابن الحنفية) فأرادوه على خلع يزيد ، فأبى عليهم ،فقال ابن مطيع: إن يزيد يشرب الخمر ، ويترك الصلاة ، ويتعدى حكم الكتاب . فقال لهم : ما رأيت منه ما تذكرون ، وقد حضرته ، وأقمت عنده ، فرأيته مواظبًا على الصلاة، متحريًا للخير، يسأل عن الفقه ، ملازمًا للسنة . قالوا : فإن ذلك كان منه تصنعًا لك. فقال : وما الذى خاف منى أو رجا حتى يظهر إلى الخشوع ؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر ؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه ، وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا . قالوا : إنه عندنا لحق وإن لم نكن رأيناه . فقال لهم : أبى الله ذلك على أهل الشهادة فقال:﴿ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(٨٦)﴾ [الزخرف] ، ولست من أمركم فى شىء . قالوا : فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك ، فنحن نوليك أمرنا . قال : ما أستحل القتال على ما تريدوننى عليه تابعًا ولا متبوعًا . قالوا : فقد قاتلت مع أبيك . قال : جيئونى بمثل أبى أقاتل على مثل ما قاتل عليه . فقالوا : فمر ابنيك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا . قال : لو أمرتهما قاتلت . قالوا : فقم معنا مقامًا تحض الناس فيه على القتال. قال : سبحان الله ، آمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه ؟ إذن ما نصحت لله فى عباده . قالوا : إذن نكرهك. قال : إذن آمر الناس بتقوى الله، وألا يرضوا المخلوق بسخط =

المصائب مرة، ويا أسفًا علي مصيبة الحسين ألف مرة. بوله يجرى على صدر النبى ﷺ

= الخالق (وخرج إلى مكة) .

(*) إن الذين نسبوا ليـزيد ما لا يحل لهم ـ الرافضة للتوصل إلـى التشكيك بالقران من وراء الطعن بمعـاوية ومن عم الخلفـاء الذين ولوه وأقـروه على الحكم ، وهم نقلة القـرآن وحفظته .

(*) لقد كان يزيد غـائبًا عن الشام حينما مـات أبوه فلما وصل دمشق جددت له البـيعة ، ثم جمع الناس فى الجـامع وخطب فيهم مما يدل على تقـواه قائلا بعد حـمد الله والثناء عليه :

أيها الناس ! إن معاوية كـان عبداً من عبيد الله ، أنعم عليه ، ثم قـبضه إليه ، وهو خير من بعده ودون من قبله !

ولا أزكيه على الله عز وجل ، فإنه أعلم به . إن عفا عنه فبرحمته ، وإن عاقبه فـبذنبـه . وقـد وليت الأمر من بـعده ، ولست آسى علـى طلب ، ولا أعتـذر من تفريط. وإذا أراد الله شيئًا كان .

إن معـاوية كان يغـزيكم البحر ، وإنـى لست حاملا أحـداً من المسلمين (لعل مراده إلا بإذنه واختياره بدليل العبارة التى بعـد هذه العبارة) فى البحر . وأن معاوية كان يشتيكم بأرض الروم ، ولست مشتيًا أحداً بأرض الروم . وإن معاوية كان يخرج لكم العطاء أثلاثًا ، وأنا أجمعه لكم كله .

قال الراوى فافترق الناس عنه وهم لا يفضلون عليه أحداً (البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٣).

ومن خطب يزيد الدالة على حصافة عقله وحسن بصيرته وتقواه :

الحمد لله أحمده وأستعـينه وأومن به وأتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله اصطفاه لوحيه واختاره لرسالته بكتـاب فصّله وفضله وأعزه وأكرمـه ، ونصره وحفظه ، ضرب فيـه الأمثال وحلل فيـه الحلال وحرم الحرام وشـرع فيه الدين أعـذارًا وأنذاراً . لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل ، ويكون بلاغًا لقوم عابدين . =

ودمه يراق على البوغاء ولا يحقن (٤٤٢) يا لله ويا للمسلمين . وإن أمثل ما روى فيه أن يزيد كتب إلى الوليد بن عتبة ينعى له معاوية ويأمره أن يأخذ له البيعة على أهل المدينة ـ وقد كانت تقدمت فدعا مروان فأخبره فقال له : أرسل إلى الحسين بن على وابن الزبير ، فإن بايعوا وإلا فاضرب أعناقهم . قال : سبحان الله ، تقتل الحسين ابن على وابن الزبير ؟ قال: [هو] ما أقول لك . فأرسل إليهما ، فأتاه ابن الزبير ، فنعى إليه معاوية وسأله البيعة ، فقال : ومثلى يبايع هنا ؟ ارق المنبر ، وأنا

= وأصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذى ابتدأ الأمور بعلمه ، وإليه يصير معادها ، وانقطاع موتها وتصرم دارها . وأحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل وأينعت بالفانى ، وتحببت بالعاجل ، لا يدوم نعيمها ولا يؤمن فجيعها ، أكالة غوالة غرارة ، ولا تبقى على حال . ولا يبقى لها حال ، لن تعد الدنيا إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها وأن تكون كما قال الله عز وجل : ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ إلى قوله مقتدرًا نسأل الله ربنا وإلهنا وخالقنا مولانا أن يجعلنا وإياكم من فزع يومئذ آمنين . إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله . يقول الله : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة (العقد الفريد ٢/ ٣٧٨) .

ومما روى عن معاوية أنه لما مات الحسن رضي الله عنه وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنه فى دمشق ، أمر ابنه أن يذهب فيعزيه به فذهب وجلس بين يديه . وأراد ابن عباس أن يرفع مجلسه فأبى وقال : إنما أجلس مجلس المعزى لا المهني ، ثم ذكر الحسن فقال : « رحم الله أبا محمد أوسع الرحمة وأفسحها ، وأعظم الله أجرك وأحسن عزاك وعوضك من مصابك ما هو خير لك ثوابًا وخير عقبى فلم يسع ابن عباس بعد أن غادره يزيد إلا أن قال لجلسائه :

إذا ذهب بنو حرب ، ذهب علماء الناس ثم أنشد :

مغاضى عن العوراء لا ينطقونها ... وأصل وارثات الحلوم الأوائل

(٤٤٢) البوغاء : التراب الناعم . [خ] .

(أبايعك)(٤٤٣) مع الناس علانية . فوثب مروان وقال : اضرب عنقه ، فإنه صاحب فتنة وشر فقال (ابن الزبير) : فإنك لهنالك يا بن الزرقاء ؟ واستبًا فقال الوليد : أخرجهما(٤٤٤) عنى ، وأرسل إلى الحسين ولم يكلمه بكلمة فى شىء ، وخرجا من عنده . وجعل الوليد عليهما الرصد . فلما دنا الصبح خرجا مسرعين إلى مكة فالتقيا بها . فقال له ابن الزبير : ما يمنعك من شيعتك وشيعة أبيك ؟ فوالله لو أن لى مثلهم لذهبت إليهم . فهذا ما صح (٤٤٥) .

---

(٤٤٣) كتبها الشيخ محب [وأنا أبايع مع الناس] ولا مبرر لذلك . [س] .

(٤٤٤) فى ب ، د ، ز : أخرجاهما . وكتب الشيخ محب أخرجا . [س] .

(٤٤٥) إننا وإن كنا نلوم ابن الزبير رضي الله عنه على ثورته ، وهو لا شك مجتهد لكننا نبرئه من خدعة الحسين بحضه على الخروج إلى العراق ليخلو له الجو فى الحجاز . وقد روى الطبرى روايات أخرى تنفى هذه الخدعة عن هذا الصحابى . نذكر بعضها بإيجاز :

ذكر الطبرى أن ابن الزبير قال للحسين حينما قال له من رغبه فى الخروج إلى العراق :

أما الملك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ههنا ما خولف عليك إن شاء الله (ج ٤ ص ٢٨٨) وفى إحداهما أن عبد الله بن مسلم والمذرى بن المشتعل سمعا ابن الزبير يسار الحسين بين الحجر والباب ، فيقول له : إن شئت أن (٢٨٩) . تقيم أقمت فوليت هذا الأمر ، فآزرناك وساعدناك ونصحنا لك فبايعناك . . .

وقد روى ابن كثير رواية جاء فيها أن الحسين قال لابن الزبير أتتنى بيعة أربعين ألفًا يحلفون بالطلاق والعتاق . فقال له أتخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك ؟! البداية والنهاية ج٨ ص ١٦١ .

ومما يؤيد براءة ابن الزبير من تغرير الحسين ليخلو له الجو في الحجاز ما رواه الإمام ابن كثير أن عبد الله بن مطيع ـ داعية ابن الزبير ـ لقيه فى مكة ، فقال له : فداؤك أمى وأبى . أمتعنا بك ولا تسر إلى العراق ،ولئن قتلك هؤلاء يتخذونا عبيدًا (وخولا !) . البداية والنهاية ص ١٦١ ـ ١٦٣ . [م] .

وذكر المؤرخون أن كتب أهل الكوفة وردت على الحسين (٤٤٦) ، وأنه أرسل

---

(٤٤٦) أول من كتب إليه من شيوخ شيعته ـ على ما رواه مؤرخهم لوط بن يحيى ـ : سلمان ابن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر ، وأرسلوا كتابهم مع عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن وال ، فبلغا حسينًا بمكة فى عاشر رمضان سنة ٦٠ ، وبعد يومين سرحوا إليه قيس بن مسهر الصيداوى وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبى وعمارة السلولى بثلاث وخمسين صحيفة ، وبعد يومين آخرين سرحوا إليه ابن هانئ السبيعى وسعيد بن عبد الله الحنفى (وفى الطبرى ٦ : ١٩٧ نصوص بعض رسائلهم وأسماء بعض أصحابها) وهى تدور على أنهم لا يجتمعون مع أميرهم النعمان بن بشير فى جمعة ، ويدعون الحسين إليهم حتى إذا أقبل طردوا أميرهم وألحقوه بالشام ، ويقولون فى بعضها : « أينعت الثمار ، فإذا شئت فأقدم على جند لك مجند » . فأرسل الحسين إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب ليرى إن كانوا مستوثقين مجتمعين ليقدم هو عليهم بعد ذلك . وضل مسلم ابن عقيل فى الطريق ومات من معه من العطش فكتب إلى الحسين يستعفيه من هذه المهمة ، فأجابه : خشيت ألا يكون حملك على الاستعفاء إلا الجبن ، فمضى مسلم حتى بلغ الكوفة ، وأعطاه البيعة للحسين اثنا عشر ألفًا منهم ، وشعر أمير الكوفة النعمان بن بشير بحركاتهم فخطب فيهم ينهاهم عن الفتنة والفرقة ، وقال لهم : إنى لا أقاتل إلا من قاتلنى ، ولا آخذ بالظنة والتهمة ، فإن أبديتم لى صفحتكم ونكثتم بيعتكم لأضربنكم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى . وعلم يزيد أن النعمان بن بشير حليم ناسك لا يصلح فى مقاومة مثل هذه الحركة ، فكتب إلى عبيد الله بن زياد عامله على البصرة أنه قد ضم إليه الكوفة أيضًا ، وأمره أن يأتى الكوفة وأن يطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى يثقفه فيوثقه فيقتله أو ينفيه . فاستخلف عبيد الله أخاه على البصرة وأقبل إلى الكوفة فاتصل برؤسائها وقبض على أزمة الحال ، فما لبث مسلم ابن عقيل أن رأى مبايعيه الاثنى عشر ألفًا كالهباء ، ورأى نفسه وحيدًا طريدًا ، ثم قبض عليه وقتل . وكان الحسين قد جاءته قبل ذلك رسائل مسلم بن عقيل بأن اثنى عشر ألفًا بايعوه على الموت فخرج عقب موسم الحج يريد الكوفة ، ولم يشجعه

مسلم بن عقيل ـ ابن عمه ـ إليهم ليأخذ عليهم البيعة وينظر هو فى اتباعه فنهاه ابن عباس وأعلمه أنهم خذلوا أباه وأخاه ، وأشار عليه ابن الزبير بالخروج فخرج ، فلم يبلغ الكوفة إلا ومسلم بن عقيل قد قتل وأسلمه من كان استدعاه . ويكفيك بهذا عظة لمن اتعظ . فتمادى واستمر غضبًا للدين وقيامًا بالحق . ولكنه رضي الله عنه لم يقبل نصيحة أعلم أهل زمانه ابن عباس ، وعدل عن رأى شيخ الصحابة ابن

على الخروج إلا ابن الزبير(*) لأنه عرف أن أهل الحجاز لا يتابعونه ما دام الحسين معهم فصار الحسين أثقل خلق الله على ابن الزبير (الطبرى ٦ / ١٩٦ ، ١٩٧ وانظر ٦ / ٢١٦ ، ٢١٧) . وأما المشفقون على الحسين من هذا الخروج المشؤوم فهم جميع أحبائه وذوى قرابته والناصحين له والمتحرين سنة الإسلام فى مثل هذا الموقف ، كل هؤلاء نهوه عن مسيره وحذروه من عواقبه ، وفى طلعتهم أخوه محمد ابن الحنفية (الطبري ٦/ ١٩٠ ، ١٩١) وابن عم أبيه حبر الأمة عبد الله بن العباس (الطبرى ٢١٦/٦ ، ٢١٧) وابن عمه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب (٢١٩/٢) ، وقد بلغ الأمر بعبد الله بن جعفر أن حمل والى يزيد على مكة وهو عمرو بن سعيد بن العاص على أن يكتب للحسين كتاب الأمان ويمنيه فيه البر والصلة ويسأله الرجوع ، فأجابه والى مكة إلى كل ما طلب وقال له اكتب ما تشاء وأنا أختم على الكتاب ، فكتبه وختمه الوالى، وبعث به إلى الحسين مع أخيه يحيى بن سعيد بن العاص ، وذهب عبد الله بن جعفر مع يحيى ، وجهدا بالحسين أن يثنياه عن السفر فأبى (وصورة كتاب الوالى فى تاريخ الطبرى ٦/ ٢١٩ ـ ٢٢٠) ، وليس فوق هؤلاء الناصحين أحد في عقلهم وعلمهم ومكانتهم وإخلاصهم ، بل إن عبد الله بن مطيع داعية ابن الزبير كان من ناصحيه(**) بعقل وإخلاص (الطبرى ١٩٦/٦) وعمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى كان على هذا الرأى (الطبرى ٦/ ٢١٥ ـ ٢١٦) والحارث ابن خالد بن العاص بن هشام لم يأله نصحًا (٦/ ٢١٦) وحتى الفرزدق الشاعر قال =

(*) هذه تهمة ذكرنا بطلانها فيما سبق ! ولو أنها مذكورة فى تاريخ الطبرى . فإن فى هذا التاريخ ما يناقضها ، وقد كنا ذكرنا طريقة الطبرى فى التأليف . والعبرة فى التحقيق العلمى الحديثى !

(**) كيف يتفق قول الأستاذ الخطيب رحمه الله فيما مضى أن ابن الزبير كان يشجع الحسين رضي الله عنه على الخروج إلى العراق ، ثم يروح يقول هنا بأن داعيته ابن مطيع نصحه بعدم الخروج !!

عمر(٤٤٧)،(٤٤٨) .

= له: قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية (الطبرى ٦: ٢١٨) فلم يفد شيء من هذه الجهود فى تحويل الحسين عن هذا السفر الذى كان مشؤومًا عليه ، وعلى الإسلام ، وعلى الأمة الإسلامية إلى هذا اليوم وإلى قيام الساعة، وكل هذا بجناية شيعته الذين حرضوه بجهل وغرور ورغبة فى الفتنة والفرقة والشر،ثم خذلوه بجبن ونذالة وخيانة وغدر . ولم يكتف ورثتهم بما فعل أسلافهم فعكفوا علي تشويه التاريخ وتحريف الحقائق ورد الأمور على أدبارها . [خ] .

(٤٤٧) فى إيثاره العافية ، وحرصه على وحدة المسلمين وتفرغهم لنشر الدعوة والفتوح .

(٤٤٨) نذكر فيما يلى ضراعات كبار الصحابة والمفكرين للحسين بلزوم رجوعه :

لقد روى الطبرى أن الحسين لما خرج سن مكة اعترضه رسل الوالى عمر بن سعيد بقيادة أخيه يحيى ، فقالوا له : أين تذهب وطلبوا منه الانصراف فأبى فتدافع الفريقان وتضاربا بالسياط وامتنع الحسين منهم ، ثم مضى فناداه يحيى :

يا حسين ؟ اتق الله ولا تخرج من الجماعة وتفرق هذه الأمة !!

فأجابه بالآية : ﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس:٤١] ثم مضى .

وقد روى الطبرى كذلك أن عبد الله بن جعفر لما علم بخروج الحسين من مكة أرسل إليه كتابا مع ابنيه عون ومحمد يقول فيه :

إنى أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر فى كتابى فإنى مشفق عليك من الوجه الذى توجه إليه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك . إن هلكت اليوم طفئ نور الأرض ، فإنك علم المهتدين ورجل المؤمنين ، فلا تعجل بالسير فإنى فى أثر الكتاب .

ولقد روى ابن كثير (ص ٢٩١ ، ٢٩٢) أن عبد الله بن عمر لما سمع بخروج الحسين إلى العراق ، وكان هو فى مكة لحق به على مسيرة ثلاث ليال ، فقال له : أين تريد ؟

قال : العراق . وهذه كتبهم وبيعتهم . فقال له ابن عمر : =

. . . .

=إني محـدثك حديثـا أن جبـريل أتى النبى ﷺ فخيره بين الدنيـا والآخرة ، فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا . وإنك بضعة من رسول الله وما نالها أحد منكم أبدًا ! وما صرفها الله عنكم إلا للذى هو خير لكم .

فأبى أن يرجع ، فاعتنقه وقال له :

أستودعك الله من قتيل !

كذلك روى أن أبا سعيد الخدرى جاء إلى الحسين وقال له :

إنى لك ناصح ، وإنى عليك مشفق . وقد بلغنى أنه قد كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم ، فلا تخرج ! فإنى سمعت أباك يقول بالكوفة :

والله لقد مللتهم وأبغضتهم وملونى وأبغضونى وما يكون منهم وفاء قط . ومن فاز منهم فاز بالسـهم الأخيب . والله ما لهم نيات ولا عزم على أمـر ولا صبر على السيف . (البداية والنهاية ج / ص ١٦٠) .

وقال الإمام ابن كثير : وكتب يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن عباس يطلب منه أن يكف الحسـين وقال له : « أحسـبه قـد جاءه رجل من الشـرق فمنوه بالخـلافة ، وعندك منهم خبر وتجربـة ، فإن كان قد فعل ، فقد قطع راسخ القـرابة ،وأنت كبير أهل بيتك، والمنظور إليه ، فامنعه عن الفرقة » .

ودخل ابن عباس علي الحسين فكلمه طويلا وقال :

أنشدك الـله أن تهلك غدًا بحـال مضيـعة ، لا تأت العـراق ، وإن كنت لا بد فاعـلا ، فأقم حتى ينقـضى الموسم تلقى الناس وتعلم مـا يصدرون ثم ترى رأيك . فأبى! (البداية والنهاية ص ١٦١ ـ ١٦٣) .

وروى الطبرى أيضًا أن أحد بنى عكرمة لقيه وهو نازل فى بطن القصبة ، فسأله أين تريد فحـدثه فقال له : إنى ينشـدك الله ما انصرفت ! فـو الله لا تقدم إلا على الأسنة وحد السـيوف ، فلو كان الذين بعثـوا إليك كفوك مؤونة القـتال ووطؤوا لك الأشياء ، فقدمت عليهم كان ذلك رأيًا فقال ـ أى الحسين ـ له : يا عبد الله إنه ليس يخفى عليَّ ما رأى ! ولكن الله لا يغلب على أمره . ثـم ارتحل ثم إن الحسين استمر فى سيره بعد أن وصله خبر مقتل مسلم وتفرق الناس عنه أيضًا . =

. . . .

=وروى الطبرى أن مسلم بن عقيل بعد أن أثخنته الحجارة التى رشق بها فاستسلم فأخذوا سيفه ، فقال : هذا أول الغدر . وبكى ، وكان بقربة عمرو بن عبيد الله بن عباس فقال له : من يطلب مثل الذى تطلب إذا نزل به الذى نزل بك لا يبكى !

فقال له : والله ما لنفسى أبكى ! ولا لها من القتل أرثى . ولكن أبكى لأهلى المقبلين ، أبكى الحسين وآل الحسين !! ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال له : يا عبد الله ! والله ستعجز عن أمانىَّ ، فهل عندك خبر تستطيع أن تبعث من عندك رجلا على لسانى يبلغ حسيناً ، فإنى لا أراه قد خرج إليكم هو وأهل بيته ، فيقول له إن مسلماً أسير ولا يمسى حتى يقتل ، فارجع بأهلك وبيتك ، ولا يغرك أهل الكوفة ، فإنهم أصحاب أبيك ! والذى كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ، وقد كذبونى وكذبوك ، وليس للكذاب رأى ! فوعده بأن يفعل .

ثم أرسل شخصاً يخبره خبر مسلم ورسالته ، فلقى الحسين وأخبره فقال له :
كل ما حمّ نازل وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا ثم استمر فى رحلته وكان فى إمكانه أن يعود (ج ٤ ص ٢٧٨ ـ ٢٨١) .

وقد روى الطبرى (ج ٤ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٤) أن الحسين لما تيقن من مقتل مسلم وتيقن من خذلان أهل العراق له ، قال لمن معه من غير أسرته ، ولمن انضم إليه فى طريقه : (لقد خذلتنا شيعتنا !! فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف . فتفرق أكثر الناس ، ولم يبق معه إلا أبناؤه وأقرباؤه وبعض المخلصين من أوليائه ، ولم يكن يزيد مجموعهم على المائة) .

ويروى المسعودى أن عبيد الله بن زياد قال لقاتل الحسين : إنه كان خير الناس أماً وأبًا ، وخير عباد الله ، فلم قتلته ؟! ثم أمر بضرب عنقه (مروج الذهب ج ٣ ص ١٤١) .

وروى الطبرى كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد يوصيه فى الحسين إنك لم تعد أن كنت كما أحب عملت عمل الحازم ، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش . وقد بلغنى أن الحسين توجه إلى العراق فضع المناظر والمسالح واحترس على الظن وخذ

. . . .

على التهمة ولا تقتل إلا من قاتلك : (الطبرى ج ٤ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٦) .

ولقد روى ابن كثير أن مروان بن الحكم كتب إلى عبيد الله بن زياد حينما خرج الحسين إلى العراق : أن الحسين قد توجه إليك ، وهو ابن فاطمة وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وتالله ما أحد مسلم أحب إلينا من الحسين ، فإياك أن تهيج على نفسك مالا يسده شيء ولا تنساه العامة ولا تدع ذكره آخر الدهر .

وقد أوصى معاوية نفسه ولاته وابنه يزيد بالحسين .

حزن يزيد لاستشهاد الحسين ومعاملته لأهل بيته .

يروى أن يزيد دمعت عيناه لما حمل إليه رأس الحسين وقال لحامله : لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين . لعن الله ابن عبيد الله . أما والله لو أنى صاحبه لعفوت عنه ، فرحم الله الحسين .

أما والله يا حسين لو أنا صاحبك ما قتلتك ثم دعا بعلى الصغير بن الحسين ونسائه ، فأدخلوه عليه وعنده أشراف الشام . فقال لعلى : أبوك الذى قطع رحمي وجهل حقى ، ونازعنى سلطانى ، فصنع الله به ما قد رأيت .

ثم أمر بإنزالهم في داره وأمر لهم بما يصلحهم ، وكان لا يتغدى ولا يتعشى إلا على معه . ثم أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم ويسيرهم إلى المدينة مع أناس صالحين .

ولما أرادوا الخروج دعا عليًا فودعه وقال له :

لعن الله ابن مرجانة ! أما والله لو أنى صاحبه ما سألنى خصلة إلا أعطيتها إياه ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت ، ولو بذلت بعض ولدى ، ولكن الله قضى ما رأيت ، فكاتبنى ، وإنه إليَّ كل حاجة تكون لك .

ويروى ابن قتيبة أنه لما أدخلوا عليه رأس الحسين وأهله بكى حتى كادت نفسه تفيض . وبكى معه أهل الشام حتى علت أصواتهم .

يروى المسعودى أن ابن زياد قال لقاتل الحسين : إنه كان خير الناس أمًا وأبًا ، وخير عباد الله ، فلم قتلته ؟ ثم أمر بضرب عنقه (مروج الذهب ج ٣ / ١٤١) وذكر

. . . .

الطبرى أنه لما دخل على ابن زياد عشاء آل الحسين ، أمر لهم بمنزل وأجرى عليهم رزقًا ، وأمر لهم بنفقة وكسوة ثم سيرهم إلى يزيد .

قال الأستاذ دروزة (٨/ ٣٨٤) : هذا ـ يجعل الروايات الواردة في حسن معاملة عبيد الله بن زياد ، ثم يزيد لابن الحسين الصغير وبناته ونسائه واستياء يزيد لقتله ، وبكائه عليه ومشاركة أهله نساء ورجالا فى ذلك ، أصح من تلك التى تذكر قسوتها وجفاءها إزاءهم ، ولا سيما أنه لم يكن هناك قتال شديد يثير نقمة وانفعالا يمتد أثرهما إلى النساء والأطفال . وكان ما وقع على غير إرادتهم بل وعلى مضض منهم.

ولعل من الدلائل على ذلك ما رواه الطبرى وابن قتيبة معًا من استمرار الصلات الحسنة ، والمكاتبات بين يزيد وعلى بن الحسين ، وما كان من موقف هذا أبان ثورة المدينة حيث رووا أنه لا عليٌ ولا أقاربه اشتركوا فى هذه الحركة وأن يزيد وصى قائد جيشه وأمره بأن يدنى مجلسه وأن يبلغه أنه وصل إليه كتابه ، وأن هؤلاء الخبثاء شغلوه عنه ، وأن القائد رحب به وأجلسه علي السرير وبلغه رسالة يزيد (تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٣٧٩ والإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٠٠) .

فأين هذه المعاملة الحسنة من افتراء المفترين بسبى أهل البيت وحملهم على الجمال بلا أقتاب بعد استشهاد الحسين ؟! فهذا من الكذب الواضح ، ما استحلت أمة محمد ﷺ سبى هاشمية ، وإنما قاتلوا الحسين خوفًا منه ومن أن يزيل عنهم الملك . فلما استشهد فرغ الأمر وبعث بآله إلى المدينة . ولكن جهل الرافضة إليه المنتهى . ولا ريب أن قتل الحسين من أعظم الذنوب ، وفاعله والراضى به مستحق للعذاب لكن ليس قتله بأعظم من قتل أبيه ، ولا قتل زوج أخته عمر ، وقتل زوج خالته عثمان .

والغريب أن هؤلاء المنافقين والمغرضين من أهل الكوفة الذين دعوا الحسين لتوليته هم الذين خذلوه وتخلوا عن نصرته ، وتسببوا بقتله ثم خرجوا يبكون عليه .

طعن آل البيت بالشيعة :

قال مؤلف التحفة الاثنى عشرية : نقل علامة الشيعة فى هذا العصر الشيخ هبة

. . . .

الدين الشهرستانى ما رواه الجاحظ عن خزيمة الأسدى قال : دخلت الكوفة فصادفت منصرف على بن الحسين بالذرية عن كربلاء إلى عبيد الله بن زياد ، ورأيت نساء الكوفة يومئذ قيامًا يندبن متهتكات الجيوب ، وسمعت على بن الحسين ، وهو يقول بصوت ضئيل :

« **يا أهل الكوفة ! إنكم تبكون علينا ، فمن قتلنا غيركم ؟!** » .

ورأيت زينب بنت على رضي الله عنها فلم أر ـ والله ـ خضرة أنطق منها بيانًا قالت :

يا أهل الكوفة ، يا أهل الختر والخذل فلا رفأت القبرة ، ولا هدأت الرقة إنما مثلكم كمثل التى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا ، تتخذون أيمانكم دخلا بينكم .

ألا هل فيكم إلا الصلف والشنف ، وخلق الدماء وغمز الأعداء .

وهل أنتم إلا كمرعى على دمنة ، أو كفضة على ملحودة ؟

ألا ساء ما قدمت أنفسكم . أن سخط الله عليكم ، وفى العذاب أنتم خالدون.

أتبكون ؟! إى والله فابكوا . وإنكم والله أحرياء بالبكاء ، فابكوا كثيرًا واضحكوا قليلا فقد فزتم بمعارها وشنارها ، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدًا !!

هل يزيد مسؤول عن مقتل الحسين ؟

وقال المؤرخ دروزة أيضًا : مما سبق ندرك « أنه ليس هناك ما يبرر نسبة قتل الحسين إلى يزيد ، فهو لم يأمر بقتاله ، فضلا عن قتله ، وكل ما أمر به أن يحاط به ولا يقاتل إلا إذا قاتل ، ومثل هذا القول يصح بالنسبة لعبيد الله بن زياد ، فكل ما أمر به أن يحاط به ولا يقاتل إلا إذا قاتل ، وأن يؤتى به إليه ليضع يده فى يده ، أو يبايع يزيد صاحب البيعة الشرعية بل أن هذا ليصح قوله بالنسبة لأمراء القوات التى جرى بينها وبين الحسين وجماعته قتال ، فإنهم ظلوا ملتزمين ما أمروا به ، بل كانوا يرغبون أشد الرغبة في أن يعاقبهم الله من الابتلاء بقتاله، فضلا عن قتله ، ويبذلون جهدهم فى إقناعه بالنزول على حكم ابن زياد ومبايعة يزيد ، فإذا كان الحسين أبى أن يستسلم ليدخل فيما دخل فيه المسلمون وقاوم بالقوة ، فمقابلته وقتاله صار من الوجهة الشرعية والوجهة السياسية سائغًا (الأستاذ دروزة ج ٨ / ٣٨٣ ـ ٣٨٤) قد يقول قائل : ألم يكن من الواجب على يزيد وبالتالى على ابن زياد أن يقبل من =

. . . .

=الحسين قبول أحد شروطه الثلاثة العادلة التى عرضها عليه وهى أن يترك ليعود من حيث أتى ، أو يذهب إلى يزيد ، أو يرسل إلى الثغور . يذكر بعضهم أن هذه الشروط والمطالب من الحسين رضي الله عنه ليس لها أساس من الصحة . فقد روى الطبرى رواية عن سمعان : قال : إنى صحبت الحسين رضي الله عنه فخرجت معه من المدينة إلى مكة ، ومن مكة إلى العراق ، ولم أفارقه حتى قتل وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا فى الطريق ، ولا فى العراق ولا فى عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها . ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس ، وما يزعمون من أن يضع يده بيد يزيد بن معاوية ولا أن يسير إلى ثغر من ثغور المسلمين ، ولكنه قال :

دعونى فلأذهب فى الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس (المسعودى ص ٣١٣) .

وهذا الطلب من الحسين لا يمكن قبوله لمن أوتى أقل نصيب من السياسة والتفكير خيفة أن يقوم الحسين بتحريض شيعته فى الأمصار فتندلع الثورات والفتن .

ونرى لو أن عبيد الله بن زياد وصحبه حاصروا الحسين رضي الله عنه وجماعته وأحاطوهم بصنوف العناية والرعاية ، وقدموا لهم ما يشتهون ، وتركوا أمر الصلح للأيام ريثما تهدأ ثائرة الحسين لكان خيراً .

وكل ذلك كان ممكنًا ما داموا قلة لا يزيدون على مائة ، فلا يقاتلونهم ، ولو قاتلوا على أن تنزع منهم أسلحتهم بمختلف الأساليب ولكن أمر الله كان قدراً مقدوراً. وإنا لله وإنا إليه راجعون .

نسأل الله سبحانه أن يهدى هؤلاء الذين يجددون ذكرى هذه الكارثة من عام إلى آخر وما يهلكون إلا أنفسهم فى الدنيا قبل الآخرة وهم لا يشعرون ، وخاصة وأن الأمويين قد زالوا. ولكن قبح الله اليهودية والشعوبية فإنهما لا تزالان تعيثان فساداً فى النفوس لتحارب الإسلام والمسلمين باسم نصرة آل البيت كذبًا وزوراً .

وختاماً لهذا الموضوع الخطير نقول كما قال المؤرخ المحقق عزة دروزة (٨/ ٣٨٦) بعدما نقل بعض ما ذكرناه في هذا البحث :

ونشهد الله على أننا لم نكتب ما كتبناه عن هوى أو بغض للحسين رضي الله عنه وآل

. . . .

بيته وعلى أننا نكن لهم أشد الاحترام والمحبة لصلتهم الشريفة برسول الله ﷺ ولكننا كمؤرخين لا يسعنا أن نكتب غير ذلك ، إذا أردنا أن نلتزم المنطق والإنصاف والحق ؛ لأن الروايات التى تطمئن بها النفس لا تسمح بغيره .

ولم ننفرد بهذه النتائج التى استنتجناها من الروايات . فهناك كثيرون غيرنا يشاركوننا فيها ، بل وإنه ليشاركنا فيها كل منصف متجرد عن الهوى من المسلمين على اختلاف طوائفهم.

ونورد هنا قولين فى ذلك أحدهما للإمام المصلح العظيم ابن تيمية ، والثانى للمؤرخ المحقق الشيخ محمد الخضرى رحمهما الله .

وقد أورد الإمام ابن تيمية خبر ما تلقاه الحسين من نصائح كثيرة بعدم الخروج والتحذير من العواقب ثم قال :

إنه لم يكن فى الخروج مصلحة لا فى دين ولا فى دنيا . وكان فى خروجه وقتله من الفساد ما لم يحصل لو قعد فى بلده . فإن ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء بل زاد الشر بخروجه وقتله ، ونقص الخير بذلك ، وصار سببًا لشر عظيم ، وكان قتل الحسين مما أوجب الفتن (انظر المنتقى من منهاج السنة ص ٢٨٧ ، ٢٨٨).

أما الشيخ الخضرى فإنه عقب على حادث قتل الحسين قائلا :

وعلى الجملة فإن الحسين أخطأ خطأ عظيمًا فى خروجه هذا الذى جر على الأمة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا .

وقد أكثر الناس من الكتابة فى هذه الحادثة لا يريدون بذلك إلا أن تشتعل النيران فى القلوب ، فيشتد تباعدها . وغاية ما في الأمر أن الرجل طلب أمرًا لم يتهيأ له ، ولم يعد له عدته ، فحيل بينه وبين ما يشتهى وقتل دونه . وقبل ذلك قتل أبوه فلم يجد من أقلام الكاتبين من يبشع أمر قتله ، ويزيدون نار العداوة تأجيجًا .

والحسين قد خالف يزيد ، وقد بايعه الناس ، ولم يظهر عنه ذلك الجور ولا العسف عند إظهار الخلاف حتى يكون فى الخروج مصلحة للأمة (محاضرات الخضرى تاريخ الأمم الإسلامية ٢ / ٢٣٥) . (م) .

وطلب الابتداء فى الانتهاء ، والاستقامة [من أهل] الاعوجاج ، ونضارة الشيبة فى هشيم المشيخة . ليس حوله مثله ، ولا له من الأنصار من يرعى حقه ، ولا من يبذل نفسه دونه ، فأردنا أن نطهر الأرض من خمر يزيد (٤٥٠) فأرقنا دم الحسين ، فجاءتنا مصيبة لا يجبرها سرور الدهر (٤٥١) .

وما خرج إليه أحد إلا بتأويل ، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل ، المخبر بفساد الحال ، والمحذر [عن] الدخول فى الفتن . وأقواله فى ذلك كثيرة : منها [ما روى مسلم عن زياد بن علاقة عن عرفجة بن شريح] قوله ﷺ(٤٥٢) « إنه ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان (٤٥٣) » . فما خرج الناس إلا بهذا وأمثاله . ولو أن

(٤٥٠) بزعم مثيرى الفتنة الذين يشهدون بغير ما علموا .

(٤٥١) لا أدرى سببًا معقولا لتضخيم هذه المصيبة على الرغم من فداحتها بعد زوال الأمويين وملكهم ؟! فهى مهما كان من أمرها لا تعد شيئًا مذكورًا بجانب المصيبة باستشهاد الخلفاء عمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم فلماذا لا يقيمون عليهم ـ إذا كانوا مخلصين للإسلام ـ كل عام مآتمًا وعويلا . بعرفهم فى تجديد المصيبة وإحياء ذكراها ؟!

ولا أدرى أيضًا كيف يصح إقامة مثل هذه المآتم ، وقد جاء النهى فى أحاديث كثيرة عن الصياح وشق الجيوب ولطم الخدود وغير ذلك من العادات الجاهلية ! ولكن لعن الله السياسة المتهافتة كيف تضلل أصحابها وتسبب لهم العذاب فى الدنيا قبل الآخرة قال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ .

(٤٥٢) من حديث عرفجة فى كتاب الإمارة: صحيح مسلم : باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (ك ٣٣ ح ٥٩ ج ٦ ص ٢٢) .

(٤٥٣) الحسين رضي الله عنه كان مجتهدًا فإن أصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر وكان يجدر ببنى أمية أن يحترموا سلامة نيته ونبالة قصده ويحيطوه بأنواع الرعاية والعناية على الرغم من محاربته لهم، فإنه لا خطر منه ما دامت جماعته قلة ، وذلك ريثما يتم الاتفاق وينتهى معه إلى سلم. ولكن تسرعهم سبب لهم وللعالم الإسلامى النكبات. =

عظيمها وابن عظيمها وشريفها وابن شريفها الحسين يسعه بيته أو ضيعته أو إبله - ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحق وفي جملتهم ابن عباس وابن عمر لم يلتفت إليهم - وحضره ما أنذر به النبي ﷺ وما قال في أخيه(٤٥٤) ، ورأى أنها [قد] خرجت عن أخيه ومعه جيوش الأرض وكبار الخلق يطلبونه، فكيف ترجع إليه بأوباش الكوفة ، وكبار الصحابة ينهونه وينأون عنه ؟ [و] ما أدرى في هذا إلا التسليم لقضاء الله ، والحزن على ابن بنت رسول الله ﷺ بقية الدهر . ولولا معرفة أشياخ [الصحابة] وأعيان الأمة بأنه أمر صرفه الله عن أهل البيت ، وحال من الفتنة لا ينبغي لأحد أن يدخلها ما أسلموه أبدا .

وهذا أحمد بن حنبل - على تقشفه وعظيم منزلته في الدين وورعه - قد أدخل عن يزيد بن معاوية في (كتاب الزهد) أنه كان يقول في خطبته : « إذا مرض أحدكم مرضًا فأشفى ثم تماثل ، فلينظر إلى أفضل عمل عنده فليلزمه ، ولينظر إلى أسوأ عمل عنده فليدعه » وهذا يدل على عظيم منزلته عنده حتى يدخله في جملة الزهار من الصحابة والتابعين الذين يقتدى بقولهم ويرعوى من وعظهم . ونعم ، ما أدخله إلا في جملة الصحابة(٤٥٥) ، قبل أن يخرج إلى ذكر التابعين(٤٥٦) . فأين

= فإنا لله وإنا إليه راجعون والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة كما جاء في حديث رواه البخاري [م] .

(٤٥٤) « ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . [خ] .
قلت : تقدم تخريجه (ع) .

(٤٥٥) يزيد بن معاوية ليس بصحابي وقد ولد عام ٥٢ هـ كما جاء في (الأعلام) .
وجاء فيه أيضًا : « في زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح مسلم بن زياد بخارى وخوارزم . . وإليه ينسب « نهر يزيد » في دمشق . وكان نهرًا صغيرًا ، فوسعه فنسب إليه. وقال مكحول : كان يزيد مهندسًا » . [م].

(٤٥٦) وخلاصة القول في يزيد بن معاوية اختلف الناس فيه - كما قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (ثلاث فرق) : طرفان ووسط .

هذا من ذكر المؤرخين له فى الخمر وأنواع الفجور ، ألا تستحيون ؟! وإذا سلبهم الله المروءة والحياء ، ألا ترعوون أنتم وتزدجرون ، وتقتدون بالأحبار والرهبان من فضلاء الأمة ، وترفضون الملحدة والمجان من المنتمين إلى الملة « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » والحمد لله رب العالمين .

وانظروا إلى ابن الزبير بعد ذلك وما دخل فيه من البيعة له بمكة والأرض كلها عليه . وانظروا إلى ابن عباس وعقله وإقباله على أمر نفسه وانظروا إلى ابن عمر وسنه وتسليمه للدنيا ونبذه لها . ولو كان للقيام وجه لكان أولى بذلك ابن عباس ، فإن ولدى أخيه عبيد الله قد ذكر أنهما قتلا ظلمًا (٤٥٧) . ولكن رأى بعقله أن دم

= (فأحد الطرفين) قالوا : إنه كان كافرًا منافقًا .

وهذا القول سهل على الرافضة الذين يكفرون أبا بكر ، وعمر ، وعثمان فتكفير يزيد أسهل !!

(**والطرف الثانى**) يظنون أنه كان رجلا صالحًا وإمام عدل . وأنه كان من الصحابة الذين ولدوا على عهد الرسول ﷺ، وحمله على يديه وبرك عليه .

وهذا قول بعض الضلال .

(**والقول الثالث**) **أنه كان ملكًا من ملوك المسلمين** ،له حسنات وسيئات ، ولم يولد إلا فى خلافة عثمان ، ولم يكن كافرًا ، ولكن جرى بسببه ما جرى وهذا قول أهل العقل والعلم والسنة والجماعة .

ثم افترقوا (ثلاث فرق)، فرقة لعنته ، وفرقة أحبته ، وفرقة لا تسبه ولا تحبه!

وهذا المنصوص عن الإمام أحمد ، وعليه المقتصدون من أصحابه وغيرهم .

وقد استدل القائلون بالمغفرة له بحديث ثبت فى صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺقال : « أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له » وأول جيش غزاها كان أميره يزيد (الفتاوى ٤ / ٤٨١ ـ ٤٨٣ باختصار) [م] .

(٤٥٧)كان ذلك سنة ٤٠ فى اليمن آخر ولاية عبيد الله بن عباس عليها لعلى ، فأرسل معاوية إلى الحجاز واليمن بسر بن أبى أرطاة فأخذ له البيعة على أهل الحجاز ، ثم توجه بسر إلى اليمن فلما علم عبيد الله بمجيئه هرب إلى الكوفة وترك ابنيه فى =

عثمان لم يخلص إليه ، فكيف بدم ولدى عبيد الله ! وإن الأمر راهق [٤٥٨] ، قد خرجا عنه حفظًا للأصل وهو اجتماع أمر الأمة وحقن دمائها وائتلاف كلمتها ، ودع الأمر يتولاه أسود مجدَّع حسبما أمر به صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه [٤٥٩]. وكل منهم عظيم القدر مجتهد ، وفيما دخل فيه مصيب مأجور ، ولله [فيهم] حكم [فى الدنيا] قد أنفذه ، وحكم فى الآخرة قد أحكمه وفرغ منه . فاقدروا هذه الأمور مقاديرها ، وانظروا بما قابلها ابن عباس وابن عمر فقابلوها ، ولا تكونوا من السفهاء الذين يرسلون ألسنتهم وأقلامهم بما لا فائدة لهم فيه ، ولا يغنى من الله ولا من دنياهم شيئًا عنهم .

وانظروا إلى الأئمة الأخيار وفقهاء الأمصار ، هل أقبلوا على هذه الخرافات وتكلموا فى مثل هذه الحماقات ؟ بل علموا أنها عصبيات جاهلية ، وحمية باطلة ، لا تفيد إلا قطع الحبل بين الخلق وتشتيت الشمل واختلاف الأهواء ـ وقد كان ما كان، وقال الأخباريون ما قالوا ـ فإما سكوت ، وإما اقتداء بأهل العلم ، وطرح لسخافات المؤرخين والأدباء . والله يكمل علينا وعليكم النعماء برحمته .

❊ ❊ ❊

= اليمن فقتلهما بسر فيما يقال . [خ] .

(٤٥٨) أى تداخل حقه فى باطله [خ] .

(٤٥٩) فى كتاب الإمارة من صحيح مسلم من حديث أبى ذر (ك ٣٣ ح ٣٦ ج ٦ ص ١٤). [خ] .

نكتة

وعجبًا [لاستكثار] الناس ولاية بنى أمية ، وأول من عقد لهم الولاية رسول الله ﷺ ، فإنه ولى يوم الفتح عتاب بن أسيد بن أبى العاص بن أمية فى مكة ـ حرم الله وخير بلاده ـ وهو فتى السن قد أبقل أو لم يبقل . واستكتب معاوية بن أبى سفيان أمينًا على وحيه . ثم ولى أبو بكر يزيد بن أبى سفيان ـ أخاه ـ الشام . وما زالوا بعد ذلك يتنقلون فى سبيل المجد ، ويترقون فى درج العزّ ، حتى أنهتهم الأيام إلى منازل الكرام .

وقد روى الناس أحاديث فيهم لا أصل لها ، منها حديث رؤية النبى ﷺ بنى أمية ينزون على منبره كالقردة ، فعز ذلك عليه ، فأعطى ليلة القدر خير من ألف شهر يملكها بنو أمية [بعده] . ولو كان هذا صحيحًا ما استفتح الحال بولايتهم ، ولا مكن لهم فى الأرض بأفضل بقاعها وهى مكة . وهذا أصل يجب أن تشدَّ عليه اليد .

فإن قيل : أحدث معاوية فى الإسلام الحكم بالباطل ، والقضاء بما لا يحل من استلحاق زياد . قلنا : قد بيّنا فى غير موضع أن استلحاق زياد إنما كان لأشياء صحيحة ، وعمل مستقيم نبينه بعد ذكر [أمثل] ما ادعى فيه المدعون من الانحراف عن الاستقامة ، إذ لا سبيل إلى تحصيل باطلهم ، لأن خرق الباطل لا يرقع ، ولسانه أعظم منه فكيف به لا يقطع ؟!

قالوا: كان زياد ينتسب إلى عبيد الثقفى من سمية جارية الحارث بن كلدة[٤٦٠]،

---

(٤٦٠) روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة زياد من تاريخ دمشق (٥/٤٠٩) عن عوانة بن الحكم الكلبى (أكبر شيوخ المدائنى) أن سمية أم زياد كانت لدهقان من دهاقين الفرس ، فاشتكى وجع البطن وخاف أن يكون أصيب بداء الاستقاء ، فدعا الحارث ابن كلدة الثقفى طبيب العرب ـ وقد كان قدم على كسرى ـ فعالج الدهقان فبرأ ، =

واشترى (زياد) عبيداً أباه بألف درهم فأعتقه (٤٦١) . قال أبو عثمان النهدى : فكنا نغبطه . واستعمله عمر على بعض صدقات البصرة ، وقيل : بل كتب لأبى موسى(٤٦٢) ، فلما لم يقطع الشهادة مع الشهود على المغيرة جلدهم وعزله وقال له : ما عزلتك لخزية ، ولكنى كرهت أن أحمل على الناس فضل عقلك . ورووا أن عمر أرسله إلى اليمن فى إصلاح فساد فرجع وخطب خطبة لم يسمع مثلها ، فقال عمرو ابن العاص : « أما والله لو كان هذا الغلام قرشيًا لساق الناس بعصاه » ، فقال أبو

= فوهب له سمية ، فولدت له أبا بكرة واسمه مسروح أو نفيع فلم يقرَّ به . ثم ولدت نافعًا فلم يقر به ، فلما نزل أبو بكرة إلى النبى ﷺ قال الحارث بن كلدة لنافع : إن أخاك مسروحًا عبد وأنت ابنى . فأقر به يومئذ . وزوجها الحارث غلامًا له يقال له عبيد فولدت زيادا على فراشه ، وكان أبو سفيان سار إلى الطائف فنزل على رجل يقال له : أبو مريم السلولى (قال : فأتاه أبو مريم بسمية فوقع بها فولدت زيادا) . [خ] .

(٤٦١) فى ترجمة زياد من تاريخ ابن عساكر (٤٠٦/٥ ، ٤٠٧) خبر يرويه زهرة بن معبد ومحمد بن عمرو عن وفادة زياد وهو فتى على أمير المؤمنين عمر من قبل أبى موسى الأشعرى فى يوم جلولاء قالا : فلما نظر إليه عمر رأى له هيئة حسنة وعليه ثياب بيض من كتان قال له : ما هذه الثياب ؟ فأخبره . فقال : كم أثمانها ؟ فأخبره بشىء يسير ، وصدقه . فقال له : كم عطاؤك ؟ فقال : ألفان . فقال ما صنعت فى أول عطاء خرج ؟ فقال : اشتريت به والدتى فأعتقتها ، واشتريت بالثانى ربيبى عبيدًا فأعتقته ، فقال عمر : وفقت . وسأله عن الفرائض والسنن والقرآن فوجده عالمًا بالقرآن وأحكامه وفرائضه . فرد إلى أبى موسى ، وأمر أمراء البصرة أن يتبعوا رأيه . [خ] .

(٤٦٢) نقل الحافظ ابن عساكر عن الحافظ أبى نعيم أن زيادا كتب لأبى موسى الأشعرى ، ثم لعبد الله بن عامر بن كريز ، ثم للمغيرة بن شعبة ، ثم لعبد الله بن عباس كتب لهؤلاء كلهم على البصرة . وكان أمير المؤمنين علىٌّ أراد أن يوليه البصرة فأشار زياد عليه أن يوليها عبد الله بن عباس ووعده بأن يشير عليه ويعينه . [خ] .

سفيان : والله إنى لأعرف الذى وضعه فى رحم أمه ، فقال له على : ومن ؟ قال : أنا . قال : مهلا يا أبا سفيان . فقال أبو سفيان أبياتًا من الشعر :

أما والله لولا خوف شخص (٤٦٣) يرانى يا على من الأعادى
لأظهر أمره صخر بن حرب ولم تكن المقالة عن زياد
وقد طالت مخاتلتى ثقيفًا وتركى فيهم ثمر الفؤاد

فذلك الذى حمل معاوية .

واستعمله علىٌّ على فارس ، وحمى ، وجبى ، وفتح ، وأصلح .

وكاتبه معاوية يروم إفساده ، فوجه (زياد) بكتابه إلي على بشعر ، فكتب إليه على : « إنى وليتك : ما وليتك وأنت أهل لذلك عندى . ولن يدرك ما تريد بما أنت فيه إلا بالصبر واليقين . وإنما كانت من أبى سفيان فلتة [ومن] عمر ، لا تستحق بها نسبا ولا ميراثا . وإن معاوية يأتى المؤمن من بين يديه ومن خلفه » . فلما قرأ زياد الكتاب قال : « شهد لى أبو حسن ورب الكعبة » . فذلك الذى جرأ زيادًا ومعاوية بما صنعا . ثم ادعاه معاوية سنة أربع وأربعين، وزوج معاوية ابنته من ابنه محمد . وبلغ الخبر أبا بكرة ـ أخاه لأمه ـ فآلى يمينًا ألا يكلمه أبدًا ، وقال : « هذا زنى أمه ، وانتفى من أبيه . والله ما رأت سمية أبا سفيان قط ، وكيف يفعل بأم حبيبة (٤٦٤) : أيراها فيهتك حرمة رسول الله ، وإن حجبته فضحته » . فقال زياد: جزى الله أبا بكرة خيرًا ، فإنه لم يدع النصيحة فى حال . وتكلم فيه الشعراء، ورووا عن سعيد بن المسيب أنه قال : أول قضاء كان فى الإسلام بالباطل استلحاق زياد .

قال القاضى أبو بكر ﷺ : قد بينا فى غير موضع هذا الخبر ، وتكلمنا عليه بما

---

(٤٦٣) يعنى عمر . [خ] .

(٤٦٤) هى أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان وأخت معاوية . [خ] .

يغنى عن إعادته ، ولكن لا بد فى هذه الحالة من بيان المقصود منه فنقول :

كل ما ذكرتم لا ننفيه ولا نثبته لأنه لا يحتاج إليه . والذى ندريه حقًا ونقطع عليه علمًا أن زيادًا من الصحابة بالمولد والرؤية (٤٦٥) ، لا بالتفقه والمعرفة . وأما أبوه فما علمنا له أبا قبل دعوى معاوية على التحقيق (٤٦٦) ، وإنما هى أقوال غائرة من المؤرخين . وأما شراؤه له فمراعاة للحضانة ، فإنه حضنه عند [أمه] إذ دخل عليه (فيه شبهة) ، بالحضانة إليه إن كان ذلك .

وأما قولهم : إن أبا عثمان (النهدى) غبطه بذلك، فهو بعيد على أبى عثمان ، فإنه ليس فى أن يبتاع أحد حاضنه أو أباه فيعتقه من المزية بحيث يغبطه عليه أبو عثمان وأمثاله ؛ لأن هذه مرتبة يدركها الغنى والفقير والشريف والوضيع ، ولو بذل من المال ما يعظم قدره ، فيدرى به قدر مروءته فى إهانة الكثير العظيم ، فى صلة الولى الحميم . وإنما ساقوا هذه الحكاية ليجعلوا له أبًا ، ويكون بمنزلة من انتفى من أبيه .

وأما استعمال عمر له فصحيح ، وناهيك بذلك تزكية وشرفًا ودينًا .

وأما قولهم: إن عمر عزله؛ لأنه لم يشهد بباطل [فباطل]، بل روى أنه لما شهد أصحابه الثلاثة (٤٦٧) وعمر يقول للمغيرة : ذهب ربعك ، ذهب نصفك ، ذهب ثلاثة أرباعك ، فلما جاء زياد قال له : إنى أراك صبيح الوجه ، وإنى لأرجو أن لا يفضح الله على يديك رجلا من أصحاب محمدﷺ .

---

(٤٦٥) ترجم له الحافظ ابن حجر فى (الإصابة) والحافظ أبو عمر بن عبد البر فى (الاستيعاب) ونقل فى مولده أنه ولد عام الفتح ، وقيل عام الهجرة ، وقيل يوم بدر. قال ابن حجر : وجزم ابن عساكر بأنه أدرك النبىﷺ ولم يره . [خ] .

(٤٦٦) من الثابت أن الحارث بن كلدة اعترف بأبوته لنافع أخى زياد لأمه فصار يقال له نافع ابن الحارث بن كلدة . ولا يعرف التاريخ أن عبيدا الثقفى أو الحارث بن كلدة اعترفا بزياد . [خ] .

(٤٦٧) أصحابه الثلاثة فى الشهادة على المغيرة أخواه لأمه : نفيع ، ونافع الذى ينسب إلى الحارث بن كلدة ، والثالث شبل بن معبد .

وأما خطبته التي ذكروا أنه عجب منها عمرو ، فما كان عنده فضل علم ولا فصاحة يفوق بها عمرا فمن فوقه أو دونه . وقد أدخل له الشيخ المفترى (٤٦٨) خطبًا ليست فى الحد المذكور .

وأما قولهم: إن أبا سفيان اعترف به ، وقال شعرًا فيه ، فلا يرتاب ذو تحصيل فى أن أبا سفيان لو اعترف به فى حياة عمر لم يخف شيئًا ، لأن الحال لم يكن تخلو من أحد قسمين : إما أن يرى عمر الإلاطته به (٤٦٩) كما روى عنه فى غيره فيمضى ذلك ، أو يرد ذلك فلا يلزم أبا سفيان شيء باقتراف ما كان فى الجاهلية . فذكرهم هذه الحكاية المخترعة الباردة المتهافتة الخارجة عن حد الدين والتحصيل لا معنى لها(٤٧٠) .

وأما تولية علىٍّ له فتزكية .

وأما بعث معاوية إليه ليكون معه فصحيح فى الجملة . وأما تفصيل ما كتب معاوية ، أو كتب زياد به إلى على ، أو جاوب به علىٌّ زيادًا ، فهذا كله مصنوع.

وأما قول على : « إنما كانت من أبى سفيان فلتة (زمن عمر) لا تستحق بها نسبا» فلو صح لكان ذلك شهادة ، كما روى عن زياد ، ولم يكن ذلك بمبطل لما فعل معاوية، لأنها مسألة اجتهاد بين العلماء : فرأى على شيئًا ، ورأى معاوية وغيره ، غيره .

(**وأما نكتة الكلام**) وهو القول فى استلحاق معاوية زيادًا وأخذ الناس عليه فى ذلك ، فأى أخذ عليه فيه إن كان سمع ذلك من أبيه ؟ وأى عار على أبى سفيان فى أن يليط بنفسه ولد زنا كان فى الجاهلية . فمعلوم أن سمية لم تكن لأبى سفيان ، كما لم تكن وليدة زمعة لعتبة ، ولكن كان لعتبة منازع تعين القضاء له ، ولم يكن

---

(٤٦٨) لعله يريد الجاحظ ، وأعظم خطبه التى أوردها له فى (البيان والتبيين) خطبته التى تسمى (البتراء) وهي فى أوائل الجزء الثانى .

(٤٦٩) أى إلحاقه وإلصاقه .

(٤٧٠) كذا فى جميع النسخ ، وكتبها الشيخ محب الدين [له] س .

لمعاوية منازع فى زياد .

اللهم إن هاهنا نكتة اختلف العلماء فيها ، وهى أن الأخ إذا استلحق أخًا يقول هو ابن أبى ولم يكن له منازع بل كان وحده ، فقال مالك : يرث ولا يثبت النسب. وقال الشافعى - فى آخرين - يثبت النسب ويأخذ المال ، هذا إذا كان المقر به غير معروف النسب . واحتج الشافعى بقول النبى ﷺ « هو لك يا عبد بن زمعة ، الولد للفراش وللعاهر الحجر (٤٧١) » فقضى بكونه للفراش وبإثبات النسب . قلنا: هذا جهل عظيم ، وذلك أن قوله : إن النبى ﷺ قضى بكونه للفراش صحيح ، وأما قوله بثبوت النسب فباطل ، لأن عبدًا ادعى سببين : أحدهما الأخوة ، والثانى ولادة الفراش . فلو قال النبى ﷺ : هو أخوك ، الولد للفراش . لكان إثباتًا للحكم وذكرًا للعلة . بيد أن النبى ﷺ عدل عن الأخوة ولم يتعرض لها ، وأعرض عن النسب ولم يصرح به ، وإنما [هو] فى الصحيح فى لفظ « هو أخوك » وفى آخر « هو لك» ، معناه فأنت أعلم به . وقد مهدنا ذلك فى مسائل الخلاف (٤٧٢) .

فالحارث بن كلدة لم يدّع زيادًا ولا كان إليه منسوبًا ، وإنما كان ابن أمته ولد على فراشه - أى فى داره - فكل من ادعاه فهو له ؛ إلا أن يعارضه من هو أولى به منه ، فلم يكن على معاوية فى ذلك مغمز ، بل فعل فيه الحق على مذهب مالك .

فإن قيل : فلم أنكر عليه الصحابة ؟

قلنا : لأنها مسألة اجتهاد فمن رأى أن النسب لا يلحق بالوارث الواحد أنكر ذلك وعظمّه .

فإن قيل : ولم لعنوه ، وكانوا يحتجون بقول النبى ﷺ : « ملعون من انتسب لغير أبيه ، أو انتمى إلى غير مواليه » ؟ (٤٧٣) .

---

(٤٧١) رواه البخارى ومسلم .

(٤٧٢) روى نحوه البخارى ومسلم وغيره .

(٤٧٣) وأهم ذلك - عندهم - تسببه فى قتل حجر بن عدى ، وقد مضى الكلام عليه .

قلنا : إنما لعنه من لعنه لوجهين : أحدهما لأنه أثبت نسبه من هذا الطريق ، ومن لم ير لعنه لهذا لعنه لغيره . وكان زياد أهلا أن يلعن - عندهم - لما أحدث بعد استلحاق معاوية (٤٧٤) .

فإن قيل : جعل النبى ﷺ للزنا حرمة ، ورتب عليها حكما حين قال : «احتجبى منه يا سودة» (٤٧٥) ، وهذا يدل على أن الزنا يتعلق به من حرمة الوطء ما يتعلق بالنكاح الصحيح . هكذا قال الكوفيون . ومالك فى رواية ابن القاسم يساعدهم على المسألة ولا يساعدهم على دليلها من هذا الوجه ، وقد بيناها فى كتاب النكاح . وقال الشافعى : العذر فى أمر النبى ﷺ لسودة بالاحتجاب مع ثبوت نسبه من زمعة وصحة أخوته لها بدعوي عبد أن ذلك تعظيم لحرمة أزواج النبى ﷺ ؛ لأنهن لم يكن كأحد من النساء في شرفهن وفضلهن .

قلنا : لو كان أخاها بنسب ثابت صحيح كما قلتم ، ويكون قول النبى ﷺ «الولد للفراش» تحقيقًا للنسب ، لما منع النبى ﷺ سودة منه ، كما لم يمنع عائشة من الرجل الذى قالت هو أخى من الرضاعة ، وإنما قال « انظرن من إخوانكن » (١) .

---

(٤٧٤) مؤلف من مؤلفاته يقع فى عشرين مجلدا يعتبر فى حكم المفقود . [س] .

(٤٧٥) فى كتاب الأقضية من (موطأ مالك) ب ٢١ ص ٧٤٠ عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : كان عتبة بن أبى وقاص عهد إلى أخيه سعد بن أبى وقاص أن ابن وليدة زمعة منى (جاريته) ، فاقبضه إليك . قالت: فلما كان عام الفتح أخذه سعد وقال : ابن أخى ، قد كان عهد إلى فيه . فقام إليه عبد بن زمعة فقال : أخى، وابن وليدة أبى ، ولد على فراشه فتساوقا إلى رسول الله ﷺ ، فقال سعد : يا رسول الله ، ابن أخى ، قد كان عهد إلىَّ فيه . وقال عبد بن زمعة : أخى ، وابن وليدة أبي ، ولد على فراشه . فقال ﷺ « **هو لك يا عبد بن زمعة** » . ثم قال ﷺ « **الولد للفراش ، وللعاهر الحجر** » . ثم قال لسودة بنت زمعة « احتجبى منه » لما رأى من شبهه بعتبة بن أبى وقاص . قالت : فما رآها حتى لقى الله عز وجل . وأخرجه البخارى (ك ٣٤ ب ٣) ومسلم (ك ١٧ ب ١٠ ح ٣٦) . [خ] .

---

(١) رواه البخارى (٢٦٤٧) (٥١٠٢) . (ع) .

وأما ما روى عن سعيد بن المسيب ، فأخبر عن مذهبه فى أن هذا الاستلحاق ليس بصحيح ، وكذلك رأى غيره من الصحابة والتابعين . وقد صارت المسألة إلى الخلاف بين الأمة وفقهاء الأمصار ، فخرجت من حد الانتقاد إلى حد الاعتقاد . وقد صرح مالك فى كتاب الإسلام وهو (الموطأ) بنسبه فقال فى دولة بنى العباس « زياد ابن أبى سفيان » ، ولم يقل كما يقول المخاذل « زياد ابن أبيه » ، هذا على أنه لا يرى النسب يثبت بقول واحد . ولكن فى ذلك فقه بديع لم يتفطن له أحد ، وهو أنها لما كانت مسألة خلاف ، ونفذ الحكم فيها بأحد الوجهين ، لم يكن لها رجوع فإن حكم القاضى فى مسائل الخلاف بأحد القولين يمضيها ويرفع الخلاف فيها ، والله أعلم .

وأما روايتهم أن عمر قال « كرهت أن أحمل فضل عقلك على الناس » فهذه زيادة ليس لها أصل ، من ناقص عقل . وأى عقل كان لزياد يزيد به على الناس فى أيام عمر (٤٧٦) ، و [غلام] كل واحد من الصحابة كان أعقل من زياد وأعلم منه ، ولهذا كل من كمل عقله أكثر من الآخر فهو أولى أن يختلط مع الناس . ويقولون : [إنه] كان داهية ، وهى كلمة واهية . الدهاء والأرب هو المعرفة بالمعانى ، والاستدلال على العواقب بالمبادئ . وكل أحد من الصحابة والتابعين فوق زياد . وتلك الروايات التى يروى المؤرخون ـ من كذبهم ـ فى حيل الحرب والفتك بالناس ، كل أحد اليوم يقدر على مثلها وأكثر منها ، والحيلة إنما تكون بديعة وتروى إذا وافقت الدين ، وأما كل حكاية تخالف الدين فليس فى روايتها [ولا فى رواتها] خير ولا عقل . وكل الناس كما قدمنا ـ وخذ من ولاة بنى أمية خاصة ـ أعقل من زياد وأفصح منه . فلا تلتفتوا إلى ما روى من الأباطيل .

* * *

(٤٧٦) لأنه كان لما دخل على عمر فى السابعة عشرة من عمره على ما نقله البخارى فى تاريخه الأوسط عن يونس بن حبيب عن آل زياد . [خ] .

نكتة

[الولايات] والعزلات لها معان وحقائق لا يعلمها كثير من الناس . لقد علمتم أن رسول الله ﷺ مات عن زهاء اثنى عشر ألفًا من الصحابة معلومين . منهم ألفان أو نحوهما مشاهيرفى الجلالة ، ولى منهم أبو بكر سعدًا وأبا عبيدة ويزيد وخالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل ونفرًا غيرهم فوقهم ، وولى أنس بن مالك ابن عشرين سنة على البحرين اقتداء بالنبى ﷺ فى عتاب (٤٧٧) . ومتى كان استوفى المشيخة حتى يأخذ الشبان . وولى عمر أيضًا كذلك ، وبادر بعزل خالد . وذلك كله لفقه عظيم ومعارف بديعة بيانها فى موضعها من كتب الإمامة والسياسة من الأصول ، فخذوا فى فن غير هذا ، فليس هذا الباب ، مما تلوكه أشداق أهل الآداب .

وأما ما روى عن معاوية أنه استدعى شهودًا فشهد السلولى وسواه (٤٧٨) فَسَل من الحق ، ما روى عن السلولى ، فإنه لم يكن قط . وأسعد بإسقاط ما روى فى القصة سعيد أو سعد . وأما كلام أبى بكرة ـ أخيه لأمه فيه فغير ضائر له ، لأن ذلك رأى أبى بكرة واجتهاد . وأما قولهم فيها عن أبى بكرة أنه زنّى أمه ، فلو كان ذلك صحيحًا لم يضرّ أمه ما جرى فى الجاهلية فى الدين ، فإن الله عفا عن [أمر] الجاهلية كلها بالإسلام ، وأسقط الإثم والعار منه ، فلا يذكره إلا جاهل به .

---

(٤٧٧) عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية (انظر ص ١٨١) . [خ] .

(٤٧٨) السلولى مالك بن ربيعة أبو مريم ، وكان ذلك سنة ٤٤ ، وكان معه فى الشهادة زياد ابن أسماء الحرمازى والمنذر بن الزبير ـ فيما ذكر المدائني بأسانيده ـ وجويرية بنت أبى سفيان والمسور بن قدامة الباهلى وابن أبى نصر الثقفى وزيد بن نفيل الأزدى وشعبة بن العلقم المازنى ورجل من بنى عمرو بن شيبان ورجل من بنى المصطلق ، شهدوا كلهم على أبى سفيان أن زيادًا ابنه ، إلا المنذر فشهد أنه سمع عليًا يقول : أشهد أن أبا سفيان قال ذلك . فخطب معاوية فاستلحق زيادا ، وتكلم زياد فقال : إن كان ما شهد به الشهود حقًا فالحمد لله ، وإن كان باطلا فقد جعلتهم بينى وبين الله . [خ].

قال القاضى أبو بكر رضي الله عنه : والناس إذا لم يجدوا عيبا لأحد وغلبهم الحسد عليه وعداوتهم له أحدثوا له عيوبا . فاقبلوا الوصية ،ولا تلتفتوا إلا إلى ما صح من الأخبار ، واجتنبوا ـ كما ذكرت لكم ـ أهل التواريخ ، فإنهم ذكروا عن السلف أخبارا صحيحة يسيرة ليتوسلوا بذلك إلى رواية الأباطيل ، فيقذفوا ـ كما قدمنا ـ فى قلوب الناس ما لا يرضاه الله تعالى ، وليحتقروا السلف ويهونوا الدين ، وهو أعز من ذلك ، وهم أكرم منا ، فرضى الله عن جميعهم .

ومن نظر إلى أفعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الهتوك التى يختلقها أهل التواريخ فيدسونها فى قلوب الضعفاء ، وهذا زياد لما أحسن المنية استخلف سمرة بن جندب من كبار الصحابة فقبل خلافته ، وكيف يظن به ـ على منزلته ـ أنه يقبل ولاية ظالم لغير رشدة ، وهو على ما هو عليه من الصحبة ، وذلك من غير إكراه ولا تقية؟ إن هذا لهو الدليل المبين . فمع من تحبون أن تكونوا : مع سمرة بن جندب ، أو مع المسعودى والمبرد وابن قتيبة ونظرائهم (٤٧٩) ؟ وهذا غاية فى البيان .

* * *

---

(٤٧٩) حكم القاضى أبو بكر على ابن قتيبة هذا الحكم القاسى وهو يظن أن كتاب (الإمامة والسياسة) من تأليفه كما سيأتى . وكتاب الإمامة والسياسة فيه أمور وقعت بعد موت ابن قتيبة ، فدل ذلك على أنه مدسوس عليه من خبيث صاحب هوى . ولو عرف المؤلف هذه الحقيقة لوضع الجاحظ فى موضع ابن قتيبة . [خ] .

قاصمة

كانت الجاهلية مبنية على العصبية ، متعاملة بينها بالحمية . فلما جاء الإسلام بالحق ، وأظهر الله منته على الخلق ، قال الله سبحانه : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران : ١٠٣]. وقال لنبيه : ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال : ٦٣] فكانت بركة النبى ﷺ تجمعهم ، وتجمع شملهم ، وتصلح قلوبهم ، وتمحو ضغائنهم .

واستأثر الله برسوله ﷺ ، ونفرت النفوس ، وتماسكت الظواهر منجرة ، ما دام الميزان قائما . فلما رفع الميزان ـ كما تقدم ذكره فى الحديث ـ أخذ الله القلوب عن الألفة ، ونشر جناحًا من التقاطع ، حتى سوى جناحين بقتل عثمان ، فطار فى الآفاق ، واتصل الهرج إلى يوم المساق. وصارت الخلائق عزين[(٤٨١)] ، وفى واد من العصبية يهيمون : فمنهم بكرية ، وعمرية ، وعثمانية ، وعلوية ، وعباسية ـ كل تزعم أن الحق معها وفى صاحبها ، والباقى ظلوم غشوم مقتر من الخير عديم . وليس ذلك بمذهب ، ولا فيه مقالة، وإنما هى حماقات وجهالات، أو دسائس للضلالات ، حتى تضمحل الشريعة ، وتهزأ الملحدة من الملة ، ويلهو بهم الشيطان ويلعب ، وقد سار بهم فى غير مسير ولا مذهب .

قالت البكرية ، أبو بكر نص عليه رسول الله ﷺ فى الصلاة ، ورضيته الأمة للدنيا ، وكان عند النبى ﷺ بتلك المنزلة العليا ، والمحبة الخالصة . وولى فعدل ، واختار فأجاد . إلا أنه أوهم فى عمر فإنه أمره غليظ ، وفظاظته غلبت . وذكروا معايب . وأما عثمان فلم يخف ما عمل وكذلك على . وأما العباس فغير مذكور.

وقالت العمرية : أما أبو بكر ففاضل ضعيف ، وعمر إمام عدل قوى بمدح النبى ﷺ له فى حديث الرؤيا والدلو والعبقرى كما تقدم . وأما عثمان فخرج عن الطريق:

---

(٤٨١) جمع عزة : العصبة من الناس .

ما اختار واليا ، ولا كف أقاربه ؛ ولا اتبع سنن من كان قبله . وأما عليٌّ فجرىء على الدماء . لقد سمعت فى مجالس أن ابن جريج (٤٨٣) كان يقدم عمر على أبى بكر وسمعت الطرطوشى يقول :لو قال أحد بتقديم عمر لتبعته .

وقالت العثمانية : عثمان له السوابق المتقدمة ، والفضائل والفواضل فى الذات والمال ، وقتل مظلوما .

وقالت العلوية : على ابن عمه وصهره وأبو سبطى النبى ﷺ وولد النبى ﷺ حضانة .

وقالت العباسية : هو أبو النبى ﷺ وأولاهم بالتقديم بعده . وطولوا فى ذلك من الكلام ما لا معنى لذكره لدناءته (٤٨٥) . ورووا أحاديث لا يحل لنا أن نذكرها لعظيم الافتراء فيها ودناءة رواتها .

وأكثر الملحدة على التعلق بأهل البيت (٤٨٦) ، وتقدمة عليٍّ على جميع الخلق، حتى إن الرافضة انقسمت إلى عشرين فرقة أعظمهم بأسًا من يقول: إن عليًا هو الله. والغرابية يقولون: إنه رسول الله لكن جبريل عدل بالرسالة عنه إلى محمد حميةً منه معه .. فى كفر بارد لا تسخنه إلا حرارة السيف ، فأما دفء المناظرة فلا يؤثر فيه .

* * *

---

(٤٨٣) عبد الملك بن عبد العزيز المكى أحد الأعلام توفى سنة ١٥٠ . [خ] .

(٤٨٥) وأكثر ذلك كان فى زمن دولتهم . [خ] .

(٤٨٦) يتخذونهم ذريعة ، ويطعنون فى كثير من أفاضلهم ، ويعرضون بمثل الإمام زيد . ثم إنهم يخالفون صريح شريعة جد أهل البيت بدعوى العصمة والتأليه الفعلى لبعض أفرادهم . [خ] .

عاصمة

إنما ذكرت لكم هذا لتحترزوا من الخلق ، وخاصة من المفسرين ، والمؤرخين ، وأهل الآداب ، فإنهم أهل جهالة (٤٨٧) بحرمات الدين ، أو على بدعه مصرين ، فلا تبالوا بما رووا ، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث ، ولا تسمعوا لمؤرخ كلاما إلا للطبرى (٤٨٨) ، (٤٨٩) ، وغير ذلك هو الموت الأحمر ، والداء الأكبر ، فإنهم ينشئون أحاديث استحقار الصحابة والسلف (٤٩٠) ، والاستخفاف بهم ، واختراع

---

(٤٨٧) يقصد بذلك المفسرين الجاهلين بعلم الحديث ، ما دام أن الرسول يشرح القرآن . وخير التفاسير : تفسير الإمام ابن كثير . [م] .

(٤٨٨) لعل القاضى ابن العربى قصد من كلامه أن تاريخ الطبرى ذكر حوادثه مسندة إلى رجالها ، وفيهم الصادق وفيهم الكاذب . ويستطيع المؤرخ العالم بالرجال تمييز الحق من الباطل . أما غير العالم بعلم الأسانيد ، فيضل ضلالا بعيدًا بقراءته لتاريخ الطبرى ، فيكون مثله مثل حاطب ليل يحمل الأفعى وهو لا يدري وفى ذلك هلاكه وضلاله .

وقد ناقشنا بعض أساتذة التاريخ فى بعض الجامعات العربية وذكرت لهم خطأ ما كتبوا ، فكان يؤيدون كلامهم بأنهم إنما كان مصدرهم تاريخ الطبرى . [م] .

(٤٨٩) ومع ذلك فالطبرى ذكر مصادر أخباره وسمي رواتها لتكون من أمرهم على بينة ، وقال فى آخر مقدمة كتابه : فما يكن فى كتابى هذا من خبر يستنكره قارئه من أجل أنه لم يعرف له وجها فى الصحة فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا . [خ] .

(٤٩٠) ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : (من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب) .

قال ﷺ : « لا تسبوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » مخرج من الصحيحين .

ففى هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضًا بعد رسول الله ﷺ =

الاسترسال فى الأقوال والأفعال عنهم ،وخروج مقاصدهم عن الدين إلى الدنيا ، وعن الحق إلى الهوى . فإذا قاطعتم أهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول ، سلمتم من هذه الحبائل ، ولم تطووا كشحا على هذه الغوائل . ومن أشد شيء على

= وسبهم وافترى عليهم وعابهم وكفرهم واجترأ عليهم .

وفي الحديث : « حب الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق » (١) .

ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضًا . ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا .

فمن طعن فيهم أو سبهم ، فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين ، لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد عليهم وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم . وما ذكره الرسول ﷺ فمن ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم، ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول والطعن فى الوسائط طعن فى الأصل والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول . وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد فى عقيدته .

وقد نص النبى ﷺ فى حديث العرباض بن سارية حيث قال : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور » (٢) (الحديث) .

وقال تعالى : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ الآية . لا خلاف أيضًا أن ذلك فى أبى بكر رضي الله عنه شهدت له الربوبية بالصحبة وبشره بالسكينة وحلاه بثانى اثنين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (من يكون أفضل من ثانى اثنين الله ثالثهما) وقال تعالى: (والذى جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون) قال جعفر الصادق : لا خلاف أن الذى جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذى صدق به أبو بكر رضي الله عنه وأى منقبة أبلغ من ذلك فيهم رضي الله عنهم جميعًا. [م] .

---

(١) بلفظ « آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار » متفق عليه .

(٢) صحيح رواه أحمد (٤/١٢٦ ، ١٢٧) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذى (٢٦٧٦)، والدارمى (١/ ٤٤)، والحاكم (١/٩٦ ، ٩٧ ، ٣/ ٣٨٠)، والبيهقى (١٠/ ١١٤)، والطبرانى (١٨/ ٢٤٧ ، ٢٤٧) وصححه الألبانى .

الناس جاهل عاقل (٤٩١)، أو مبتدع محتال . فأما الجاهل فهو ابن قتيبة ، فلم يبق ولم يذر للصحابة رسما فى كتاب (الإمامة والسياسة) إن صح عنهم جميع ما فيه (٤٩٢)وكالمبرد فى كتابه الأدبى (٤٩٣) . وأين عقله من عقل ثعلب الإمام المتقدم فى أماليه ، فإنه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأمة وأما المبتدع المحتال فالمسعودى ، فإنه يأتى بها متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك ، وأما البدعة فلا شك فيه (٤٩٤) . فإذا صنتم أسماعكم وأبصاركم عن مطالعة الباطل ، ولم تسمعوا فى

---

(٤٩١)هكذا فى الأصل ، ولعل الصحيح : « غافل » . ومثل السعودى فى الدس على التاريخ مدفوعًا بالتشيع المقوت الأصفهانى فى كتابه الأغانى فإنه ينسب إلى يزيد شرب الخمور وعشق النهود وأنه مات بين العاشقات فعلى الأصفهانى ما يستحق على افترائه وكذبه . [م] .

(٤٩٢)لم يصح عنه شىء مما فيه . ولو صحت نسبة هذا الكتاب للإمام الحجة الثبت أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة لكان كما قال عنه ابن العربى ، لأن كتاب الإمامة والسياسة مشحون بالجهل والغباوة والركة والكذب والتزوير . ولما نشرت لابن قتيبة كتاب (الميسر والقداح) قبل أكثر من ربع قرن ، وصدرته بترجمة حافلة له ، وسميت مؤلفاته ، وذكرت (فى ص ٢٦ ، ٢٧) مآخذ العلماء على كتاب الإمامة والسياسة ، وأزيد الآن على ما ذكرته فى (الميسر والقداح) أن مؤلف الإمامة والسياسة يروى كثيرا عن اثنين من كبار علماء مصر وابن قتيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالمين ، فدل ذلك كله على أن الكتاب مدسوس عليه . [خ] .

(٤٩٣)المبرد ينزع إلى شىء من رأى الخوارج ، وله فيهم هوى . وأن أمامته فى اللغة والأدب لا تغطى على ضعفه في علم الرواية والإسناد .

(٤٩٤)على بن الحسين المسعودى يعده الشيعة من شيوخهم وكبارهم ، ويذكر له المامقانى فى تنقيح المقال (٢/ ٢٨٢ ، ٢٨٣) مؤلفات فى الوصاية وعصمة الإمام وغير ذلك مما يكشف عن عصبيته والتزامه غير سبيل أهل السنة المحمدية . ومن طبيعة التشيع والتحزب والتعصب البعد بصاحبه عن الاعتدال والإنصاف [خ] .

خليفة ممن ينسب إليه ما لا يليق ويذكر (عنه) ما لا يجوز نقله ، كنتم على منهج السلف سائرين، وعن سبيل الباطل ناكبين .

فهذا مالك رضي الله عنه قد احتج بقضاء عبد الملك بن مروان فى موطئه ، وأبرزه فى جملة قواعد الشريعة (٤٩٥) .

وقال فى روايته: « عن زياد بن أبى سفيان » ، فنسبه إليه وقد علم قصته ، ولو كان عنده ما يقول العوام حقًا لما رضى أن ينسبه ولا ذكره فى كتابه الذى أسسه للإسلام (٤٩٦)، وقد جمع ذلك كله فى أيام بنى العباس والدولة لهم والحكم بأيديهم

(*)لو إذا كان أبو حامد الغزالى على جلالته فى العلوم الشرعية والعقلية لم يتجاوز له العلماء عن ضعفه فى علوم الإسناد فأحرى ألا يتجاوزوا عن مثل ذلك للمبرد. وعلى كل حال فكل خبر مما مضى أو سيأتى - فى أمتنا أو فى أى أمة غيرها - يحتمل الصدق والكذب حتى يثبت صدقة أو كذبه على محك الاختبار وبالبحث العلمى . [م] .

(**)ليس هذا الكلام على إطلاقه ، فإن للغزالى عثرات رهيبة فى كثير مما ذهب إليه فى العقليات وغيرها ومن أراد التحقيق فليراجع كتاب « تلبيس إبليس » للإمام ابن الجوزى وفتاوى شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمهما الله . [م] .

(٤٩٥)من ذلك ما جاء فى (باب المستكرهة من النساء) بكتاب الأقضية من الموطأ (ص ٧٣٤) : حدثنى مالك عن ابن شهاب أن عبد الملك بن مروان قضى فى امرأة أصيبت مستكرهة بصداقها على من فعل ذلك بها . وفى كتاب المكاتب من الموطأ (ص ٧٨٨) قضاء آخر لعبد الملك . وفى كتاب العقول من الموطأ (ص ٨٧٢) قضاء له أيضا . أما أبوه مروان بن الحكم فأقضيته وفتاواه كثيرة فى الموطأ . . وغيره من كتب السنة المتداولة فى أيدى أئمة المسلمين يعملون بها . وانظر لورع مروان وابنه عبد الملك حديث مالك عن ابن أبى عبلة في كتاب النكاح من الموطأ (ص ٥٤٠) . [خ] .

(٤٩٦)وعامر بن شراحيل الشعبى كان من أئمة المسلمين كذلك، بل إن مالكا كان يراه إمامًا له. وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة زياد من تاريخ دمشق (٥/ ٤٠٦) أن الشعبى قال : أتت زيادًا قضية فى رجل مات وترك عمة وخالة فقال : « لأقضين=

فما غيروا عليه ولا أنكروا ذلك عنه لفضل علومهم ومعرفتهم بأن مسألة زياد مسألة قد اختلف الناس فيها فمنهم من جوزها ومنهم من منعها ، فلم يكن لاعتراضهم إليها سبيل .

وكذلك أعجبهم ـ حين قرأ الخليفة على مالك الموطأ ـ ذكر عبد الملك بن مروان فيه وإذكاره بقضائه ، لأنه إذا احتج العلماء بقضائه فسيحتج بقضائه أيضًا مثله ، وإذا طعن فيه طعن فيه بمثله (٤٩٧) .

وأخرج البخاري (٤٩٨) عن عبد الله بن دينار قال : شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان كتب : إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله،ما استطعت . وإن بَنِيَّ قد أقروا بمثل ذلك .

وهذا المأمون كان يقول بخلق القرآن ، وكذلك الواثق ، وأظهروا بدعتهم ، وصارت مسألة معلومة إذا ابتدع القاضي أو الإمام هل تصح ولايته وتنفذ أحكامه أم

= بينكم بقضاء سمعته من عمر بن الخطاب » وذلك أنه جعل العمة بمنزلة الأخ والخالة بمنزلة الأخت . [خ] .

(٤٩٧) وممن روى عن عبد الملك بن مروان البخاري في كتابه (الأدب المفرد) روي عن عبد الملك الإمام الزهري وعروة بن الزبير ، وخالد بن معدان من فقهاء التابعين وعبّادهم، ورجاء بن حيوة أحد الأعلام . قال نافع مولى ابن عمر : لقد رأيت المدينة وما فيها شاب أشد تشميرًا ولا أفقه ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان . وروى الأعمش عن أبي الزناد أن فقهاء المدينة كانوا أربعة : سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل الإمارة . وقال الشعبي : ما جالست أحدًا إلا وجدت لي الفضل عليه ، إلا عبد الملك بن مروان فإني ما ذاكرته حديثًا إلا زادني منه ، ولا شعرا إلا زادني فيه (البداية والنهاية ٩ / ٦٢ ، ٦٣) . (خ).

(٤٩٨) في كتاب الأحكام من صحيحه (ك ٩٣ ب ٤٣ ج ٨ ص ١٢٢) . وانظر السنن الكبرى للبيهقي ٨ / ١٤٧ . (خ) .

هى مسألة معروفة . وهذا أشد من برودات ذكرها أصحاب التواريخ من أن فلانًا الخليفة شرب الخمر أو غنى أو فسق أو زنى، فإن هذا القول فى القرآن بدعة أو كفر ـ على اختلاف العلماء فيه ـ قد اشتهروا به ، وهذه المعاصى لم يتظاهروا بها إن كانوا فعلوها فكيف يثبت ذلك عليهم بأقوال المغنين والبراد من المؤرخين (الذين) قصدوا بذكر ذلك عنهم تسهيل المعاصى على الناس وليقولوا إذا كان خلفاؤنا يفعلون هذا فما يستبعد ذلك منا . وساعدهم الرؤساء على إشاعة هذه الكتب وقراءتها لرغبتهم فى مثل أفعالهم حتى صار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا ، وحتى سمحوا للجاحظ (٤٩٩)

---

(٤٩٩) قال ابن قتيبة يصف الجاحظ وتلاعبه ونفاقه :

تجده يحتج مرة للعثمانية على الرافضة، ومرة للزيدية على العثمانية وأهل السنة .

ومرة يفضل عليًا ﷺ ، ومرة يؤخره ، ويقول : قال رسول الله ﷺ ، ويتبعه قال : الجماز ، وقال إسماعيل بن غزوان : كذا وكذا من الفواحش .

ويجل رسول الله ﷺ عن أن يذكر فى كتاب ذكرا فيه فكيف فى ورقة ، أو بعد سطر وسطرين!

ويعمل كتابًا ، يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين . فإذا صار إلى الرد عليهم ، تجوز فى الحجة ، كأنه إنما أراد تنبيههم على ما لا يعرفون ، وتشكيك الضعفة من المسلمين .

وتجده يقصد فى كتبه للمضاحيك والعبث ، يريد بذلك استمالة الأحداث ، وشرّاب النبيذ .

ويستهزئ من الحديث ، استهزاء ، لا يخفى على أهل العلم . كذكره كبد الحوت ، وقرن الشيطان ، وذكر الحجر الأسود وأنه كان أبيض ، فسوّده المشركون ، وقد كان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا .

ويذكر الصحيفة التى كان فيها المنزل فى الرضاع ، تحت سرير عائشة ، فأكلتها الشاة .

وهو ـ مع هذا ـ من أكذب الأمة وأوضعهم لحديث ، وأنصرهم لباطل . .

(تأويل مختلف الحديث ص ٥٩ ـ ٦٠) . [خ] .

أن تقرأ كتبه فى المساجد وفيها من الباطل والكذب والمناكير ونسبة الأنبياء إلى أنهم ولدوا لغير رشدة كما قال فى إسحاق ﷺ فى كتاب الضلال والتضليل ، وكما مكنوا من قراءة كتب الفلاسفة (٥٠٠) فى إنكار الصانع وإبطال الشرائع لما لوزرائهم

---

(٥٠٠) أن قصة المسلمين مع الفلسفة اليونانية قصة مليئة بالفواجع والنكبات . والغريب ـ والغريب جداً ـ أنه لا يزال الكثير من مثقفينا يعتقد أن سبب نهضة المسلمين يعود إلى هذه الفلسفة ، مع أنها كانت من أعظم أسباب نزاعهم وبعدهم عن دينهم وضياع مجدهم ، وقد تحقق فيهم خبر أحد الأحبار : وتفصيل ذلك ـ كما رواه العلامة الشيخ محمد السفارينى : « قال العلماء إن المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى ـ أظنه صاحب جزيرة قبرص ـ طلب منه خزانة كتب اليونان ، وكانت عندهم مجموعة فى بيت لا يظهر عليه أحد، فجمع الملك خواصه من ذوى الرأى واستشارهم فى ذلك، فكلهم أشاروا بعدم تجهيزها إليه إلا واحد، فإنه قال: جهزها إليهم! فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها !! » لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية فى عقد الفرقة المرضية ج ١ ص٩ .

ومن الجدير بالذكر أن أولئك النصارى قد طمروا هذه الفلسفة تحت الأرض تخلصاً من شرها لما لمسوه من فسادها وهدمها للدين والفضيلة !

أجل قد تحقق في المسلمين تنبؤ الحبر ، فما كاد علماء المسلمين ـ بعد أن بلغ مجد الإسلام ذروته فى القوة والفتح والعلم ـ يشتغلون بفلسفة اليونان ، حتى راحوا يؤولون نصوص الشريعة الإسلامية حتي تتفق مع هذه الفلسفة فمسخوا الإسلام وأخذوا يزعمون أن للإسلام ظاهرًا وباطنًا ، ظاهره للعامة ،وباطنه للعلماء والحكماء، وأخذوا يشتغلون بعلم الكلام يسمونه ظلمًا وعدوانًا بعلم التوحيد ، ولا يكاد يكون فيه من التوحيد إلا الاسم ، أما محتواه ، فهو الفلسفة ـ نفسها وقد حرم دراسته كبار علماء السلف وأئمة المذاهب أمثال مالك والشافعى وابن حنبل رضي الله عنهم .

قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى : « ما أظن الله يغفل عن المأمون ، ولا بد أن يعاقبَه على ما أدخله على هذه الأمة !» .

وقد انبرى هذا الإمام العظيم للفلاسفة المنحرفين المتصفين بالمسلمين الذين نهلوا=

وخواصهم فى ذلك من الأغراض الفاسدة والمقاصد الباطلة ، فإن زل فقيه أو أساء

= من حماة الفلسفة اليونانية وأثبت زيفهم وضلالهم وانحرافهم فى كثير من كتبه التى دخل فيها التاريخ ، وحق لكليات الفلسفة فى البلدان العربية والإسلامية دراسة آرائه وردوده على الفلسفة اليونانية وعلى الذين اعتنقوها من المسلمين .

ولم ينج من هذا الضلال والانحراف إلا السلفيون المستمسكون بهدى الرسول ﷺ الذين عصمهم الله سبحانه لتمسكهم بنصوص الشريعة الثابتة ، فكانوا فى وجه تيار الفلسفة الجارف وعاصفته الهوجاء كالجبل الأشم ، وكالصخرة الصلدة .

وكان يزيدها مر الليالى جدة وتقادم الأيام حسن شباب ! فكانوا يمسكون بكتاب الله وسنة نبيه دون تأويل ولا تعطيل فى أسماء الله وصفاته .

ومن قال إن الشهب أكبرها ألسنا بغير دليل كذبته الدلائل !

وقد تحدث رسول الله ﷺ عن الاختلاف الذى سيقع بين المسلمين وعن طريقة النجاة منه فقال :

(ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة !! وهى من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى) (١) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة عن أبى هريرة بسند صحيح .

أن أهل القرآن والحديث رحم الله موتاهم وبارك فى أحيائهم وأمدهم بقوته وتوفيقه ، هم مصابيح الهدي والدعاة إلى الرشاد والتقى ، من عاداهم هلك ، ومن تركهم ضل ، وهم المنصورون على خصومهم ، بشرهم بذلك النبى ﷺ فقال :

« لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، ولا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله ، وهم ظاهرون على الناس ! » (٢) رواه البخارى ومسلم ـ، وقد ذكر الإمام أحمد بن حنبل وابن المبارك وسفيان الثورى وغيرهم من كبار العلماء بأن هذه الطائفة هم أهل الحديث الذين يتعاهدون مذهب الرسول ﷺ ويذبون عنه الظلم ، لولاهم لأهلك الناس المعتزلة وأهل الرأى . =

(١) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٣٣٢) وأبو داود (٤٠٥٩) والبيهقى (١/ ٢٠٨) وصححه الألبانى .

(٢) رواه البخارى (٩/ ١٢٥)، ومسلم فى الإمارة (٥٣) رقم (٧٠) ، وأبو داود والترمذى (٢٢٢٩)، وابن ماجه (٦) وأحمد (٤/٩٧) ، والبيهقي (٩/ ١٨١) .

العبارة عالم:

= حسبهم شرفًا وفخرًا أنهم جعلوا السنة نبراسًا لهم فكانوا هداة مهديين وغدوا مصابيح الهدى .

نقلا عن مجلة التمدن الإسلامى مجلد ٣٣ (٩ ـ ١٢) ص ١٩١ ، ١٩٢ .

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

وقد كانوا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة ، قال مالك رحمه الله : « السنة مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك » وهذا حق ، فإن سفينة نوح إنما ركبها من صدَّق المرسلين واتبعهم ، وأن من لم يركبها فقد كذب المرسلين . واتباع السنة هو اتباع الرسالة التي جاءت من عند الله .

وهكذا إذا تدبر المؤمن العالم سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الأمم التى فيها ضلال وكفر ، وجد القرآن والسنة كاشفين لأحوالهم ، مبينين لحقهم ، مميزين بين حق ذلك وباطله ، والصحابة كانوا أعلم الخلق بذلك ، كما كانوا أقوم الخلق بجهاد الكفار والمنافقين ، كما قال فيهم عبد الله بن مسعود ، « من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات ـ يقصد الصحابة ـ فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بدينهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم . (فتاوى ابن تيمية ٤/١٣٧ ـ ١٣٨) .

فأخبر عنهم بكمال بر القلوب ، وعمق العلم ، وهذه قليل فى المتأخرين .

وما أحسن ما قاله الإمام أحمد : « السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبى ﷺ (المصدر السابق ص ١٥٥) » .

نعود بعد هذا الاستطراد إلى المأمون فنقول :

ومع كل الطامات له وقد ذكرنا بعضها فيما سبق ، يعتقد بعضهم أن عصره كان عصرًا ذهبيًا فى تاريخ المسلمين ، وكم كنا نود أن نتحدث عن محاربته لأهل السنة وتعذيبه لهم وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالي ورضى عنه، وإكرامه لأصحاب الاعتزال والزنادقة ، غير أن المقام لا يتسع لذلك . [م] .

يكن ما أساء النار فى رأس كبكبا [٥٠١] .

وبالوقوف على هذه الفصول [٥٠٢] تحسن نياتكم ، وتسلم [من] التغير قلوبكم على من سبق .

وقد بينت لكم أنكم لا تقبلون على أنفسكم فى دينار ، بل فى درهم ، إلا عدلا

---

(٥٠١) كبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها . والشعر للأعشى ، تمامه :

ومن يغترب عن قومه لا يزل يرى مصـارع مظلـوم مجـرراً ومسحبا

وتدفن منه الصالحات ، وإن يسئ يكـن ما أسـاء النار فى رأس كبكبا

[خ].

(٥٠٢) لا شك أن هذا الكتاب القيم سيحدث انقلابًا عظيمًا فى نفوس قرائه ، وسيزيل من أفكارهم ما علق فيها من الدسائس التى ثبت لهم كذبها . وقد تلقوها فى كتب التاريخ التى لا يزال أبناؤنا ـ ويا للأسف ـ يتدارسونها ، فسممتهم ، وهى من وضع خصوم الإسلام .

كل ما عزاه أعداء الصحابة . . رضوان الله عليهم أورده القاضى أبو بكر بن العربى وسماه (قواصم) وأجاب عن كل قاصمة بعاصمة من الحق عن أصدق المصادر ، وأصحها بعد كتاب الله . ومن ذلك تألف كتاب « العواصم من القواصم » الذى علقنا عليه بما لم يترك مقالا لقائل ، فارجع إليه لتطهير قلبك من الغل على الذين آمنوا من تلاميذ محمد ﷺ ، وخاصة أحبابه . فإن أعداءهم شحنوا الكتب بالأكاذيب التى انتشرت وأفسدت قلوب بعض المسلمين على سلفهم الأول ، إلى أن أظهر الله ـ سبحانه ـ الحق بكتاب : « العواصم من القواصم » فانتفع به الكثيرون ولله الحمد والمنة .

وستعجب ـ أيها القارئ ـ بعد الاطلاع على الحقائق التاريخية هناك كيف أن الأمة الإسلامية ذهبت ضحية لشرذمة من الطغام الخارجين على أعدل عصور الإسلام وأسعدها منذ كذبوا ، ثم كذبوا ، حتى انخدع الناس بأكاذيبهم ، فظنوا سحرها =

بريئا من التهم ، سليما من الشهوة . فكيف نقبلون فى أحوال السلف [٥٠٣] وما جرى بين الأوائل ممن ليس له مرتبة فى الدين ، فكيف فى العدالة !

= حقيقة ، ولكن ما لبثت الوقائع أن تبينت كما هى ، فجاء الحق وزهق الباطل ، أن الباطل كان زهوقا . (محب الدين الخطيب المنتقى ص ٣٧٤) . م

(٥٠٣) جاء فى العقيدة الطحاوية وشرحها .

وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين ـ أهل الخير والأثر ، وأهل الفقه والنظر ـ لا يذكرون إلا بالجميل ، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) ﴾ [النساء : ١١٥] فيجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن ، خصوصًا الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم ـ فيما إذا بلغونا عن الرسول ـ يهتدى بهم فى ظلمات البر والبحر . وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم إذا كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ علماؤها شرارها ، إلا المسلمين ، فإن علماءهم خيارهم . فإنهم خلفاء الرسول ﷺ فى أمته . والمحيون لما مات من سنته . فبهم قام الكتاب ، وبه قاموا . وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا . وكلهم متفقون اتفاقًا يقينًا على وجوب اتباع الرسول ﷺ .

ولكن إذا وجد لواحد منهم قول جاء حديث صحيح بخلافه ، فلا بد له فى تركه من عذر ، وجماع الأعذار ثلاثة أصناف (*) ، **أحدها** : عدم اعتقاده أن النبى ، قاله . **والثانى** : عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول . **الثالث** : اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ فلهم الفضل علينا ، والمنة بالسبق ، وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا ، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا ، فرضى الله عنهم ، وأرضاهم . (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا إنك رؤوف رحيم) [الحشر : ١٠] . [م] .

(*) ومن أراد الوقوف على مزيد من المعرفة فليقرأ الكتاب الفذ « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [س] .

رحم الله عمر بن العزيز حيث قال : وقد تكلموا فى الذى جرى بين الصحابة : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤) ﴾ (٥٠٤) [البقرة: ١٣٤] .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

---

(٥٠٤)وسئل الإمام ابن تيمية رحمه الله عما شجر بين الصحابة : على ومعاوية ، وطلحة ، وعائشة هل يطالبون به أم لا ؟

فأجاب : قد ثبت بالنصوص الصحيحة أن عثمان وعليًا وطلحة والزبير وعائشة من أهل الجنة. بل قد ثبت فى الصحيح : أنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة.

وأبو موسى الأشعرى ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبى سفيان ، هم من الصحابة ، ولهم فضائل ومحاسن .

وما يحكى عنهم كثير منه كذب . والصدق منه كانوا فيه مجتهدين . فالمجتهد إذا أصاب فله أجران، وأن أخطأ فله أجر ، وخطؤه يغفر له .

وإن قدر أن لهم ذنوبًا فالذنوب لا توجب دخول النار مطلقًا ، إلا إذا انتفت الأسباب المانعة من ذلك وهى عشرة . منها : التوبة ، ومنها الاستغفار ، ومنها الحسنات الماحية ، ومنها المصائب المكفرة ، ومنها شفاعة النبى ﷺ ، ومنها شفاعة غيره ، ومنها دعاء المؤمنين ، ومنها ما يهدى للميت من الثواب والصدقة والعتق ، ومنها فتنة القبر ، ومنها أهوال القيامة .

وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال : « خير القرون القرن الذى بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » (١) .

وحينئذ فمن جزم في واحد من هؤلاء بأن له ذنبًا يدخل به النار قطعًا ، فهو كاذب مفتر ، فإنه لو قال : لا علم له به ، لكان معطلا ، فكيف إذا قال : ما دلت الدلائل الكثيرة على نقيضه ؟ فمن تكلم فيما شجر بينهم ـ وقد نهى الله عنه : من ذمهم أو التعصب لبعضهم بالباطل ، فهو ظالم معتد . =

---

(١) رواه الترمذى (٢٣٠٢ ، ٢٣٠٣)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٧٢)، ورواه البخارى بلفظ (خير الناس) (٣/ ٢٢٤ ، ٨/ ١١٣) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢١٢) والترمذى (٣٨٥٩ ، ٥٢٢١)، وأحمد (١/ ٣٧٨) (ع).

. . . .

= وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: « تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين ، تصلهم أولى الطائفتين بالحق » وقد ثبت عنه فى الصحيح أنه قال عن الحسن: « إن ابنى هذا سيد ،وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » [(١)].

وفى الصحيحين عن عمار : أنه قال : (تقتله الفئة الباغية) [(٢)] . وقد قال تعالى : **﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ⑨﴾** [الحجرات].

فثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف على أنهم مؤمنون مسلمون ، وإن على ابن أبى طالب والذين معه كانوا أولى بالحق من الطائفة المقابلة له ، والله أعلم . (الفتاوى ٤ / ٤٣٢ ، ٤٣٣) .

وما أحسن ما قاله الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : « . . إنى لست من حربهم فى شىء : يعنى أن ما تنازع فيه علىٌّ وإخوانه لا أدخل بينهم فيه ، ما بينهم من الاجتهاد والتأويل الذى هم أعلم به منى . وليس ذلك من مسائل العلم التى تعنينى حتى أعرف حقيقة حال كل واحد منهم . وأنا مأمور بالاستغفار لهم ، وأن يكون قلبى لهم سليمًا ، ومأمور بمحبتهم وموالاتهم ، ولهم من السوابق والفضائل مالا يهدر » [م] .

(١) صحيح تقدم تخريجه (ع) .
(٢) صحيح تقدم تخريجه (ع) .

ملاحق (*)

أضفنا إلى مباحث هذا الكتاب الملاحق التالية زيادة فى الإيضاح وإتماما للفائدة:

-١-

قد أطلق جلال الدين السيوطى فى كتابه : « تاريخ الخلفاء » اسم الدولة الخبيثة على الفاطميين ، فقال : ولم أورد أحدًا من الخلفاء العبيديين ، لأن إمامتهم غير صحيحة لأمور :

منها : أنهم غير قرشيين ، وإنما سمتهم بالفاطميين جهلة العوام ، وإلا فجدهم مجوسى . قال القاضى عبد الجبار البصرى : اسم جد الخلفاء المصريين سعيد ، وكان أبوه يهوديًا حدادًا نشابة . وقال القاضى أبو بكر الباقلانى : القداح جد عبيد الله الذي يسمى بالمهدى كان مجوسيًا ، ودخل عبيد الله المغرب ، وادعى أنه ينسب إلى علي بن أبى طالب رضي الله عنه ، ولم يعرفه أحد من علماء النسب ! وسماهم جهلة الناس الفاطميين .وقال ابن خلكان : أكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدى عبيد الله جد خلفاء مصر،حتى إن العزيز بالله ابن المعز فى أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة، فوجد هناك ورقة فيها هذه الأبيات :

إنا سمعنا نسبًا منكرًا ... يتلى على المنبر الجامع
إن كنت فيما تدعى صادقًا ... فاذكر أبا بعد الأب السابع
وإن ترد تحقيق ما قلته ... فانسب لنا نفسك كالطائع
أو لا دع الأنساب مستورة ... وادخل بنا فى النسب الواسع
وإن أنساب بنى هاشم ... يقصر عنها طمع الطامع !

وكتب العزيز إلى الأموى صاحب الأندلس كتابًا سبه فيه ، وهجاه ، فكتب إليه

(*) أضافها الأستاذ محمود مهدى الإستانبولى ـ حفظه الله .

الأموى : « أما بعد فإنك عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك » ـ يعنى أنه دعى لا نعرف قبيلته ، وما أحسن ما قال حفيده المعز صاحب القاهرة : وقد سأله ابن طباطبا عن نسبهم ، فجذب نصف سيفه من الغمد وقال : هذا نسبي ، ونثر على الأمراء والحاضرين الذهب وقال : هذا حسبى .

ومنها : أن أكثرهم زنادقة خارجون عن الإسلام، ومنهم من أظهر سبَّ الأنبياء ، ومنهم من أباح الخمر ، ومنهم من أمر بالسجود له ! والخيِّر منهم رافضى خبيث لئيم يأمر بسب الصحابة رضي الله عنهم . ومثل هؤلاء لا تنعقد لهم بيعة ، ولا تصح لهم إمامة .

قال القاضى أبو بكر الباقلانى : كان المهدى عبيد الله باطنيًا خبيثًا حريصًا على إزالة ملة الإسلام ، أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق ، وجاء أولاده على أسلوبه: أباحوا الخمور والفروج ، وأشاعوا الرفض .

وقال الذهبى : كان القائم بن المهدى شرًا من أبيه زنديقًا ملعونًا أظهر سبَّ الأنبياء، وقال : وكان العبيديون شرًا من التتار على ملة الإسلام !

وقال أبو الحسن القابسى : إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعبَّاد أربعة آلاف رجل ليردوهم عن الترضى عن الصحابة ، فاختاروا الموت .

قال القاضى عياض : سئل أبو محمد القيروانى الكيزانى من علماء المالكية عمن أكرهه بنو عبيد ـ يعنى مصر ـ على الدخول فى دعوتهم أو يقتل ؟

قال : يختار القتل ! ولا يعذر أحد فى هذا الأمر ، . . لأن المقام فى موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع وهو لا يجوز .

وقال ابن خلكان : وقد كانوا يدَّعون علم المغيبات ، وأخبارهم فى ذلك مشهورة، حتى إن العزيز صعد يومًا المنبر ، فرأى ورقة فيها مكتوب :

إن كنت أعطيت علم غيب　　بيِّن لنا كاتب البطاقة !!

بالظلم والجور قد رضينا　　وليس بالكفر والحماقة

وكتبت إليه امرأة قصة فيها : بالذى أعزَّ اليهود بميشا ، والنصارى بابن نسطور ، وأذل المسلمين بك ، إلا نظرت فى أمرى . وكان ميشا اليهودى عاملا بالشام ، وابن نسطور النصرانى بدمشق .

ومنها : إن مبايعتهم صدرت والإمام العباسى قائم موجود سابق البيعة ، فلا تصح ، إذ لا تصح البيعة لإمامين فى وقت واحد ، والصحيح المتقدم (تاريخ الخلفاء ص ٤ ـ ٦ باختصار) .

وقد بنى العبيديون الجامع الأزهر لينشروا فيه ما يسمى بمذهب الرفض ، وكانوا يجبرون المسلمين على اعتناقه ولما قضى السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ورضى عنه على ملكهم أبطل ذلك وقرر بدلا منه المذهب الشافعى .

-٢-

لما كان غرضنا من نشر كتاب « العواصم من القواصم » الدفاع عن الصحابة رضوان الله عليهم وتبرئتهم مما نسبه إليهم المفسدون والمضللون ، رأينا أن ننقل موجز البحث التالى للأستاذ محب الدين الخطيب وهو بعنوان : « حملة رسالة الإسلام الأولون ، وما كانوا عليه من المحبة والتعاون على الحق والخير ، وكيف شوَّه المغرضون جمال سيرتهم » وكل ذلك إتمامًا لبحث هذا الكتاب :

قال النبى ﷺ : « بدأ الإسلام غريبًا ، وسيعود غريبًا كما بدأ ، فطوبى للغرباء»[1] رواه مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه وقد سئل ﷺ عن الغرباء فقال : «الذين يحيون ما أمات الناس من سنتى» .

ومن غربة الإسلام بعد البطون الثلاثة الأولى ، وهى القرون التى شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية فى قوله : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم» ـ قال عمران بن حصين : فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا[2] .

(١) رواه مسلم في الإيمان (٢٣٢)، وابن ماجة (٣٩٨٦ ، ٣٩٨٨)، وأحمد (٤/ ٧٣) (ع) .
(٢) صحيح وتقدم تخريجه قريبا (ع) .

وتحديد ذلك إلى نهاية الدولة الأموية ، وقد يلتحق به زمن الخلفاء الأولين من بني العباس .

أجل ومن غربة الإسلام ، ظهور مؤلفين شوهوا التاريخ تقربًا للشيطان أو الحكام، فزعموا أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يكونوا إخوانًا في الله ، ولم يكونوا رحماء بينهم، وإنما كانوا أعداء يلعن بعضهم بعضًا ، ويمكر بعضهم ببعض ، وينافق بعضهم لبعض ، ويتآمر بعضهم على بعض ، بغيًا وعدوانًا .

لقد كذبوا (*) ، وكان أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ أسمى من ذلك وأنبل . وكانت بنو هاشم وبنو أمية أوفى من ذلك لإسلامهما ورحمهما وقرابتهما ، وأوثق صلة وأعظم تعاونًا على الحق والخير .

حدثني بعض الذين لقيتهم فى ثغر البصرة لما كنت معتقلا في سجن الإنجليز سنة ١٣٣٢ هـ أن رجلا من العرب يعرفونه ، كان يتنقل بين بعض قرى إيران فقتله القرويون لما علموا أن اسمه (عمر) قلت : وأى بأس يرونه باسم (عمر) ؟ قالوا حبًا بأمير المؤمنين على : قلت : وكيف يكونون من شيعة على ، وهم يجهلون أن عليًا سمى أبناءه ـ بعد الحسن والحسين ومحمد ابن الحنيفة ـ بأسماء أصدقائه وإخوانه فى الله (أبى بكر) و(عمر) و (عثمان) رضوان الله تعالى عليهم جميعًا . وأم كلثوم الكبرى بنت على بن أبى طالب كانت زوجة لعمر بن الخطاب ، ولدت له زيدًا ورقية . . وعبد الله بن جعفر الملقب بذى الجناحين ابن أبى طالب سمى أحد بنيه باسم (أبى بكر) وسمى ابنًا آخر له باسم (معاوية)، ومعاوية هذا ـ أى ابن عبد الله ابن جعفر ابن أبى طالب سمى أحد بنيه باسم : (يزيد) ، عمر بن على بن أبى طالب كان من نسله عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب سمى أحد بنيه (أبا بكر) وآخر باسم (عمر) وثالثًا باسم (طلحة) . وزين

(*) من أعظم الأدلة على كذبهم ثناء الله سبحانه فى القرآن على الصحابة في آيات كثيرة ـ ذكر بعضها فى أول هذا الكتاب ـ وقد قال تعالى فى وصفهم :﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

العابدين على بن الحسين سمى أحد أولاده باسم أمير المؤمنين (عمر) تيمنًا وتبركًا .

فهل يعقل أن هؤلاء الأقارب المتلاحمين الذين يتخيرون مثل هذه الأمهات لأنسالهم ، ومثل هذه الأسماء لفلذات أكبادهم ، كانوا على غير ما أراده الله تعالى لهم من الأخوة فى الإسلام والمحبة فى الله ، والتعاون على البر والتقوى (*) !!

لقد تواتر عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة : « خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر » روى المحدثون والمؤرخون هذا عنه من أكثر من ثمانين وجهًا . ورواه البخارى وغيره . وكان على رضي الله عنه يقول : « لا أوتى بأحد يفضلنى على أبى بكر وعمر إلا ضربته حد المفترى . . » ولهذا كان الشيعة المتقدمون متفقين على تفضيل أبى بكر وعمر . نقل القاضى عبد الجبار الهمدانى فى كتاب : (تثبيت دلائل النبوة) أن أبا القاسم نصر بن الصباح البلخى قال فى (كتاب النقض على ابن الراوندى) : سأل شريك بن عبد الله فقال له : أيهما أفضل : أبو بكر أو علىّ ؟ فقال له : أبو بكر . فقال السائل : تقول هذا وأنت شيعى ؟! فقال له : نعم: من لم يقل هذا فليس شيعيًا !! والله لقد رقى هذه الأعواد على فقال : « ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، فكيف نرد قوله ، وكيف نكذبه ؟ والله ما كان كذابًا » .

وأن خطبة أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى نعت صديقه وإمامه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بكر يوم وفاته ، من بليغ ما كان يستظهره الناس فى الأجيال الماضية . وفى خلافة عمر دخل علىّ فى بيعته أيضًا ، وكان من أعظم أعوانه على الحق . وكان يذكره بالخير ويثنى عليه فى كل مناسبة ، وقد علمت أنه بعد أخيه وصهره عمر سمى ولدين من أولاده باسميهما ، ثم سمى ثالثًا باسم عثمان لعظيم مكانته عنده ، ولأنه كان إمامه ما عاش . اهـ . باختصار .

(*) من الرافضة من ينكر كل ذلك ، ومنهم من لا يستطيع إنكارها ، لأن التاريخ يلقمه حجرًا بل حجارة ، فيروح ويزعم أن آل البيت أمثال علي والحسن وزين العابدين إنما فعلوا ذلك تقية . وهم بذلك يطعنون بشجاعتهم وبطولتهم وإخلاصهم ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا !

-٣٠-

إن كتاب « نهج البلاغة » هو من الكتب المعتمدة عند الشيعة ، وينسبونه إلى علي بن أبي طالب ﷺ ، والحقيقة أن بعضه له ، والأكثر من وضع الرضى والمرتضى الشيعيين ، وفيه من الدس والافتراء الشيء الكثير . وقد رأينا أن ننقل عن هذا الكتاب بعض شهادات على فى الثناء على أبى بكر وعمر وغيرهم من الصحابة ﷺ ، كما رأينا أن ننقل أيضا عن بعض كتب الشيعة المعتبرة لديهم شهادات أخرى لبعض آل البيت المتقدمين فى الصاحبين ، مع بعض التعليقات من كتاب التحفة الاثنى عشرية للشاه عبد العزيز الدهلوى مما يلقم أعداء الصحابة حجرًا ويخرسهم إلى الأبد!

١ ـ **جاء في نهج البلاغة** : أن عمر بن الخطاب لما استشار عليا ﷺ عند انطلاقه لقتال فارس ، وقد جمعوا للقتال فرفض على ذهاب الخليفة عمر نفسه للاشتراك فى هذا القتال خوفًا على حياته وقال له : « إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة ، وهو دين الله تعالى الذى أظهره وجنده الذى أعده وأمده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيثما طلع ، ونحن على وعد من الله تعالى حيث قال عز اسمه ، (وعد الله الذين آمنوا) وتلا الآية ، والله تعالى منجز وعده وناصر جنده ، ومكان القيم بالأمر فى الإسلام ، مكان النظام من الخرز ، فإن انقطع النظام تفرق الخرز ، ورب متفرق لم يجتمع . والعرب اليوم ، وإن كانوا قليلا فهم كثيرون بالإسلام عزيزون بالاجتماع ، فكن قطبًا واستدر الرحى بالعرب وأصلهم دونك نار الحرب ، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتفضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها .

إن العجم إن ينظروا إليك غدًا يقولوا : هذا أصل العرب ، فإذا قطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك . . ا . هـ باختصار فتدبر ـ أيها القارئ ـ منصفًا فقد ارتفع الإشكال واتضح الحال ، والحمد لله رب العالمين .

٢ ـ **وجاء فى نهج البلاغة أيضًا عن على بن أبى طالب** ﷺ : « لله بلاد أبى بكر لقد قوم الأود ، وداوى العلل ، وأق [illegible] ة ، وخلف البدعة ، وذهب نقى الثوب ، قليل العيب ، أصاب خيرها واتقى شرها ، أدى لله طاعة واتقاه بحقه » .

جاء في كتاب التحفة الاثنى عشرية : وقد حذف الشريف الرضى صاحب « نهج البلاغة » حفظاً لمذهبه . لفظ « أبى بكر » وأثبت بدله : « فلان » وتأبى الأوصاف إلا أبا بكر . ولهذا الإيهام اختلف الشراح ، فقال البعض هو أبو بكر ، والبعض: هو عمر ، ورجح الأكثر الأول ، وهو الأظهر .

٣ـ إن أمير المؤمنين على ﷺ قد مدح الشيخين ـ أبى بكر وعمر ـ ودعا لهما حسبما ثبت عند الفريقين . وقد نقل شراح نهج البلاغة كتاب الأمير إلى معاوية . وقد قال فيه بعد ما ذكر أبا بكر وعمر : « لعمرى إن مكانهما لعظيم ، وإن المصاب بهما لجرح فى الإسلام شديد رحمهما الله تعالى وجزاهما بأحسن ما عملا » .

قال صاحب التحفة الاثنى عشرية تعليقًا على هذا الكلام : فكيف يتصور صدور مثل ذلك عن المعصوم ـ بنظر الشيعة ـ لو كانا غاصبين ظالمين ؟! معاذ الله من ذلك ، ونسأله سبحانه العصمة عما يعتقده أولئك .

٤ـ وأورد المرتضى فى (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين علىٍّ من كتابه الذى كتبه إلى معاوية وهو : أما بعد فإن بيعتى ـ يا معاوية ـ لزمتك ، وأنت بالشام ، فإنه بايعنى القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، على ما بايعوهم عليه . فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للنائب أن يرد . وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضا !! فإن خرج منهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه ، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى.

٥ـ وجاء فى الصحيفة الكاملة للسجاد من الدعاء للصحابة ومدح متابعتهم ، ولا احتمال للتقية فى الخلوات ، وبين يدى رب البريات ونصه : « اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون : (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) خير جزائك ، الذين قصدوا سمتهم ، وتحروا وجهتهم ، ومضوا فى قفوا أثرهم ، والائتمام بهداية منارهم ، يدينون بدينهم على شاكلهم ، ولم يتهم ريب فى قصدهم، ولم يختلج شك في صدورهم » إلي آخر ما قال .

٦ـ وأورد الكلينى في « الكافى » وهو من كتب الشيعة كالبخارى عند السنيين فى باب السبق إلى الإيمان بروايات أبى عمرو الزبيرى عن أبى عبد الله أنه قال : قلت له: إن للإيمان درجات ومنازل يتفاضل المؤمنون فيها عند الله قال نعم . قلت صفه لى رحمك الله حتى أفهمه . قال : إن الله سبق بين المؤمنين كما يستبق الخيل يوم الرهان، ثم فضلهم على درجاتهم فى السبق إليه ، فجعل كل امرئ منهم على درجة سبقه، لا ينقصه فيها من حقه ، ولا يتقدم مسبوق ، ولا مفضول فاضلا ، تتفاضل بذلك أوائل الأمة وأواخرها .

هذه بعض الأدلة على سمو إيمان الصحابة وفضلهم بصورة عامة وفضل أبى بكر

وعمر بصورة خاصة نقلناها من مصادر شيعية موثوقة لديهم ، غير أن بعض علمائهم ـ ويا للأسف ـ يؤولونها بتأويلات تبعث على التقزز والتقيؤ مما لا يقول به عاقل فضلا عن عالم ، ليزيدوا أتباعهم ضلالا فوق ضلالهم فنعوذ بالله من الكفر والعناد!

ـ ٤ ـ

كنا ذكرنا فيما سبق صفحة ١٦٣ صحة حديث الحوأب بإيجاز ونظرًا لأهمية الموضوع نزيده إيضاحًا فيما يلى نقلا عن كتاب الأحاديث الصحيحة لشيخنا محدث الديار الشامية ناصر الدين الألبانى (٥ / ٤٧٤) بشيء من الاختصار ، وهو فى كلامه يرد على الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى :

ونحن وإن كنا نوافقه على إنكار ثبوت تلك الشهادة (يريد ما زعمته الرافضة من دعوى شهادة الزبير وطلحة أنه ليس هذا ماء الحوأب ، وخمسون رجلا إليهم ، وكانت أول شهادة زور دارت فى الإسلام) فإنه مما صان الله تبارك وتعالى أصحابه ﷺ منها لا سيما من كان منهم من العشرة المبشرين بالجنة . . فإننا لننكر عليه قوله : « ولا قال النبى ﷺ ذلك الحديث » كيف وهو قد ثبت عنه ﷺ بالسند الصحيح فى عدة مصادر من كتب السنة المعروفة عند أهل العلم ؟!

ثم قال الشيخ ، بعدما ذكر خطأ تضعيف الحديث المذكور:

بيد أن هذا مع بعده عن الصواب ، والانحراف عن التحقيق العلمى الصحيح فإنه هين بجانب قول صديقنا الأستاذ (سعيد الأفغانى) فى تعليقه على قول الحافظ الذهبى المتقدم فى « سير أعلام النبلاء : وهذا حديث صحيح الإسناد » :

« فى النفس من صحة هذا الحديث شيء ، ولأمر ما أهمله أصحاب الصحاح وفى « معجم البلدان » مادة (حوأب) أن صاحبه الخطاب سلمى بنت مالك الفزارية، وكانت سبية وهبت لعائشة ، وهى المقصودة بخطاب الرسول الذى زعموه . . ومن العجيب أن يصرف بعض الناس هذه القصة إلى السيدة عائشة إرضاء لبعض الأهواء العصبية » .

وفى هذا الكلام مؤاخذات :

الأولى : يظن الأستاذ الصديق أن إهمال أصحاب (الصحاح) لحديث ما إنما هو لعلة فيه . وهذا خطأ بيِّن عند كل من قرأ شيئًا من علم المصطلح ، وتراجم أصحاب (الصحاح) فإنهم لم يتعمدوا جمع كل ما صح عندهم في « صحاحهم» .

الثانية: هذا إن كان يعني « الصحاح» الكتب الستة لكن هذا الإطلاق «غير صحيح » ، لأن السنن الأربعة من الكتب الستة ليست من «الصحاح» لا اصطلاحًا ، ولا واقعًا ، فإن فيها أحاديث كثيرة ضعيفة ، والترمذي ينبه إلى ضعفها في غالب الأحيان .

وإن كان يعني ما هو أعم من ذلك ، فليس بصحيح ، فقد عرفت من تخريجنا المتقدم أن ابن حبان أخرجه في « صحيحه » والحاكم في « المستدرك على الصحيحين».

الثالثة : وثوقه بما جاء في « معجم البلدان » بدون إسناد ، ومؤلفه ليس من أهل العلم بالحديث ، وعدم وثوقه بمسند الإمام أحمد ، وقد ساق الحديث بالسند الصحيح، ولا بتصحيح الحافظ النقاد الذهبي !!

الرابعة : جزمه أن صاحبة الخطاب سلمى بنت مالك بدون حجة ولا برهان سوى الثقة العمياء بمؤلف « معجم البلدان » .

الخامسة : أن الخبر الذي ذكره ووثق به لا يصح من قبل إسناده بل هو واهٍ جدًا (ولم يقبل به الخطيب نفسه رحمه الله) .

السادسة : قوله : « إرضاء لبعض الأهواء » .

وكأنه يشير بذلك إلى الشيعة الذين يبغضون السيدة عائشة رضي الله عنها ويفسقونها . . بسبب خروجها يوم الجمل . ولكن من هم الذين أشار إليهم بقوله : « بعض الناس » أهو الإمام أحمد . . والذهبي ، أم يحيى بن سعيد القطان شيخ الإمام أحمد وهو من الثقات الأثبات ، أم إسماعيل بن أبي خالد وهو مثله كما عرفت ، أم شيخه قيس بن أبي حازم وهو مثله في الثقة والضبط .

وللحديث شاهد يزداد به قوة ، وهو من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لنسائه :

« ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأديب (الكثير وبر الوجه) تخرج فينبحها كلاب الحوأب ، يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير ، ثم تنجو بعدما كادت » رواه البزار ورجاله « ثقات » .

قال الإمام الزيلعي في « نصب الراية » (٤/ ٦٩ ، ٧٠) وقد أظهرت عائشة الندم كما أخرجه ابن عبد البر في « كتاب الاستيعاب » عن ابن أبي عتيق ، وهو عبد

الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق : قال: قالت عائشة لابن عمر : يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهانى عن مسيرى ؟ قال : رأيت رجلا غلب عليك ـ يعنى الزبير ـ فقالت : أما والله لو نهيتنى ما خرجت ا . هـ ولهذا الأثر طريق أخرى صححها الذهبى فى سير أعلام النبلاء (٧٨ ، ٧٩) .

مما سبق ندرك صحة حديث الحوأب من عدة طرق ومن قبل كبار علماء الحديث، وقد رأى بعضهم فى هذا الحديث تخطئة لعائشة رضي الله عنها فحاول تضعيفه من غير علم !

ونقول بهذه المناسبة إن الله سبحانه نزه علماء السنة عن الكذب سواء كان ذلك من صالح أهل السنة أو ضدهم ، وهم بعكس كثير ممن يسمون بعلماء الرافضة وغيرهم الذين لا نكاد نجد كلمة صدق واحدة عندهم !

ومهما كان من شأن السيدة عائشة رضي الله عنها فإنها نفسها شعرت بخطئها كما تقدم معنا، ولها أجر المجتهد كما جاء فى الحديث .

المراجع

١-آراء أبي بكر ابن العربي - الكلامية - للدكتور عمار طالبي - طبع الجزائر.

١-الإصابة في تمييز الصحابة - للحافظ ابن حجر العسقلاني [٨٥٢ هـ] وبهامشها الاستيعاب لابن عبد البر .

٢-الأحكام السلطانية - للماوردي [٤٥٠هـ] .

٣-الإحكام في أصول الأحكام - لابن حزم الظاهري [٤٥٧ هـ] .

٤-الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - للعليمي [٥٩٢٧] .

٥-أنساب الأشراف - للبلاذري [٢٧٩ هـ] .

٦-البيان والتبيين - للجاحظ [٢٥٥ هـ] .

٧-البداية والنهاية - لابن كثير [٧٧٤هـ] .

٨-تاريخ الطبري - لأبي جعفر بن جرير الطبري [٣١٠ هـ] .

٩-تفسير الطبري - جامع البيان [٣١٠ هـ] .

١٠-التمهيد لأبي بكر الباقلاني [٤٠٣ هـ] .

١١-تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر [٥٧١ هـ] .

١٢-تذكرة الحفاظ - للذهبي - طبعة الهند ١٣٣١ هـ .

١٣-التمهيد والبيان في مقتل عثمان - لابن بكر الأشعري [٧٤١ هـ] مخطوط.

١٤-تهذيب التهذيب - لابن حجر العسقلاني [٨٥٢ هـ] .

١٥-تاج العروس - للمرتضى الحسيني [١٢٠٥ هـ] .

١٦-تنقيح المقال - للمامقاني [١٣٥١ هـ] .

١٧-تاريخ القرآن والمصاحب - للزنجاني - طبعة مصر سنة ١٣٥٤ هـ .

١٨-جامع الترمذي [السنن] - لأبي عيسى الترمذي [٢٧٩ هـ] .

١٩-خلاصة تهذيب الكمال - للخزرجي [٩٢٢هـ] .

٢٠ _ديوان ذى الرمة [١١٧ هـ] .

٢١ _ديوان الحطيئة [٢٧٥ هـ] .

٢٢ _الديباج المذهب ـ لابن فرحون [٧٩٩ هـ] .

٢٣ _الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم ـ لابن الوزير [٨٤٠ هـ] .

٢٤ _سنن أبى داود [٢٧٥ هـ] .

٢٥ _سنن النسائى [٣٠٢ هـ] .

٢٦ _سنن ابن ماجه [٢٧٣ هـ] .

٢٧ _سلسلة الأحاديث الصحيحة ـ للألبانى .

٢٨ _سلسلة الأحاديث الضعيفة ـ للألبانى .

٢٩ _السنن الكبرى ـ للبيهقى [٤٥٨ هـ] .

٣٠ _شذرات الذهب ـ لابن العماد [١٠٨٩ هـ] .

٣١ _شجرة النور الزكية ـ لمخلوف . طبع السلفية بمصر .

٣٢ _صحيح البخارى [٢٥٦ هـ] .

٣٣ _صحيح مسلم [٢٦١ هـ] .

٣٤ _طبقات ابن سعد [٢٣٠ هـ] .

٣٥ _طبقات الشافعية للسبكى [٧٧١هـ] .

٣٦ _العبر ـ لابن خلدون [٨٠٦ هـ] .

٣٧ _عثمان بن عفان ـ محمد الصادق عرجون [طبعة مصر ١٣٦٦ هـ] .

٣٨ _فتوح البلدان . للبلاذرى [٢٧٩ هـ] .

٣٩ _فتح البارى ـ لابن حجر العسقلانى [٨٥٢ هـ] .

فهرست ما رواه عن شيوخه ابن خير الأشبيلى [٥٧٥ هـ] .

٤٠ _فصل الخطاب للطبرسى . طبعة إيران [١٢٩٨ هـ] .

٤١ _الفصل فى الملل والنحل ـ لابن حزم [٤٥٧ هـ] .

٤٢ - كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف [١٨٢ هـ] .
٤٣ - كتاب الزهد ـ للإمام أحمد بن حنبل [٢٤١ هـ] .
٤٤ - كتاب العزلة ـ للخطابى [٣٨٨ هـ] .
٤٥ - الكفاية ـ للخطيب البغدادى [٤٦٣ هـ] .
٤٦ - لسان العرب ـ لابن منظور [٧١١ هـ] .
٤٧ - لسان الميزان لابن حجر العسقلانى [٨٥٢ هـ] .
٤٨ - موطأ مالك [١٧٩ هـ] .
٤٩ - منهاج السنة ـ لابن تيمية [٧٢٨ هـ] .
٥٠ - مسند الإمام أحمد [٢٤١ هـ] .
٥١ - الميسر والقداح ـ لابن قتيبة [٢٧٦ هـ] .
٥٢ - المنتقى من أحاديث الأحكام ـ للمجد ابن تيمية [٦٥٢ هـ] .
٥٣ - مشكاة المصابيح ـ بتحقيق الألبانى .
٥٤ - المنتقى من منهاج الاعتدال ـ لابن تيمية ـ والذهبي اختصره [٧٤٨ هـ] .
٥٥ - مجموع فتاوى ابن تيمية . جمع ابن قاسم ـ ٣٧ مجلدًا .
٥٦ - معجم البلدان ـ لياقوت [٦٢٦ هـ] .
٥٧ - نسب قريش ـ للزبيرى [٢٣٦ هـ] .
٥٨ - النهاية فى غريب الحديث ـ لابن الأثير [٦٠٦ هـ] .
٥٩ - وفيات الأعيان ـ لابن خلكان [٦٨١ هـ] .

فهرس الكتاب

الموضوع — الصفحة

قاصمة

عاصمة

خلافة علىٍ

قاصمة

عاصمة

قاصمة

عاصمة

قاصمة التحكيم

عاصمة

قاصمة

عاصمة

قاصمة

نكتة

نكتة

قاصمة

عاصمة

ملاحق